المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٧٨) المجلد (٦٣) العام [٦٧] ذو الحجة ١٤٢٢ هـ - فبراير / مارس ٢٠٠٢ م

الأشهر الحرم .. وحرمتها



المشكاة .. وحدة تاريخ





الهندسة الوراثية نعمة .. ام نقمة ؟!

الخط العربي في ذاكرة الغرب

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

مما قيل

ليشهدوا منافع لهم ..

خاطب الله تبارك وتعالى نبيه ابراهيم أبا الأنبياء عليه السلام قائلا : « وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم » الآية . وقد جاءت صيغة (منافع) في الآية الكريمة (مُنكَّرة) (بضم الميم وفتح النون وتشديد الكاف وفتحها) لتكون شاملة للمنافع الطيبة ..

وهذه المنافع إما شخصية أو عامة .. والعامة في طلائعها رفع مستوى الأمة الاسلامية من طريق استفادتها من هذا التجمع الفريد الذى يتكرر وجوده في أواخر كل عام هجري منذ صدر الاسلام الى الآن ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

ومن أهم ألوان هذه المنافع المتعددة الوجوه بالنسبة للعالم الاسلامي تفتيح الوعي للمسلمين واضاءة طريق المستقبل لهم ودفع الغوائل من أعداء الاسلام وخصومه عنهم ..

ان دارس مجريات التاريخ الاسلامي يجد فيه اهتمامات بناءة في مواسم الحج ، كثيرا ما تشمل الحجاج الوافدين ، والمواطنين الموفد عليهم معاً .. ومن ثمار تلك الاهتمامات هذا الفيض الطامي من كتب الرحلات التى كان ولايزال يقوم بها أفراد من ذوى المستوى الثقافي والأدبي والعلمي العالى يسجلون فيها خواطرهم وآراءهم ويدونون ملاحظاتهم وانتقاداتهم وثناءهم في اطار مشاهداتهم في الحج للأوضاع وفي نطاق سماعهم لمختلف الأنباء عن أحداث العالم الاسلامي ، السارة وغير السارة على السواء .

هذا وعلى كثرة ما طالعت من المراجع والمصادر التاريخية والاسلامية القديمة والحديثة فإني لم أجد فيها حديثاً عن «تجمعات» اسلامية ، من غير العلماء والأدباء في مواسم الحج تقام ، للنظر في شؤون المسلمين والكتابة عنها وذلك فيما يتعلق بشؤون الصناعة تقدماً أو تأخراً ، وفي شؤون الزراعة والاجتماع والطب والفلك وعلوم الكون والحياة والاحياء والمستحدثات من الفنون والرياضيات والرياضات والاختراعات وما شاكل ذلك .. وهذا مجال واسع وبالغ الأهمية بالنسبة لتطور حياة الأمة الاسلامية جمعاء وحياة هذه البلاد خاصة ، فأصحاب هذه المواهب الحيوية من المسلمين ومن المواطنين مدعوون ومطالبون بسد هذا الفراغ الكبير في حياة أمتنا الاسلامية العريقة .. على أن يتم ذلك في هذه البلاد وفي مواسم الحج بها .. لأنها أجمع لشمل المسلمين .

«عبدالقدوس الأنصاري»

ذو الحجة ١٣٩٧ هـ
ديسمبر ١٩٧٧ م

غلاف العدد



المركز الرئيسي

جدة الشرقية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل

فاكس: ٦٤٢٨٨٥٢ تليفون : ٦٤٢٧٨٣١

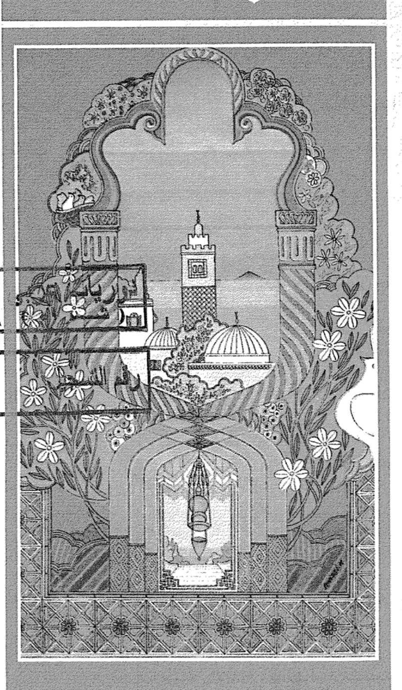
٦٤٣٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض: ص.ب ٢٩٠ تليفون : ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة :

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم
مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس
عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس
موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

لقطة



عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - جدة
تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ - فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥

فهرس العدد ٥٧٨ - المجلد : ٦٣ - العام : ٦٧

فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات م

□ الخط العربي منظومة إبداع شغلت أهل الفن طويلاً .

ص ٤٨

□ ناصر الدين (دينيه) أعجب بالشرق، فوهبه إبداعه .

ص ٥٢

□ بلاغة المقابلة عند الرافعى تقوم على التوفيق بين المؤتلف والمختلف .

ص ٥٨

□ حنا مينة : الإبداع عنده توليد مستمر لاشكال قديمه، وتنويع على نغمة واحدة .

ص ٦٨

□ تعدد الزوجات ليس ترفاً ومباهاة .. بل

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة




غلاف هن   غلاف السائح

.. فقرات مستلة .. فقرات مستلة ..

مسئولية وعدل .

ص ١١٠

☐ الطفل نتاج بيئته .. والقياد بيد الأسرة .

ص ١٢٤

☐ الهندسة الوراثية بين الايجاب والسلب تظل هاجس البشرية .

ص ١٥٠

أما بعد

الكل .. ركب موجة الارهاب

تحديد المصطلح ضرورة لازمة .. الكلمة إن لم يحدد مضمونها، والمقصود منها، وتؤطر فى اطارها، لاشك تدخل الناس فى متاهات لا حدود لها .

«الارهاب» .. هكذا ، كلمة أطلقت ولم تؤطر ..

حرب ضروس شرسة تشن على المسلمين اليوم تحت عنوات (الحرب على الإرهاب) .

وفى فلسطين المحتلة من أكثر من نصف قرن، يشن اليهود حرب إبادة على الشعب الفلسطيني بكامله، تحت مسمى الارهاب ايضا ..

حرب بالطائرات المقاتلة الضخمة، رالمروحيات والقاذفات والدبابات .. حرب لا تبقي ولا تذر ..

واذا ما رماهم الفلسطيني بحجر، أو فجر نفسه في ثكنة عسكرية ملأوا الدنيا ضجيجا ضد ما اسموه «الارهاب الفلسطيني» ..

نعم .. هكذا .. (الارهاب الفلسطيني) .. ومن ورائهم امريكا تنادي بوقف (الارهاب الفلسطيني) ..

وتدخل فى الخط المجموعة الاوربية .. حتى إنَّا لنسأل أليس فى القوم رجل رشيد .. ؟! .

هكذا .. اصبح المدافع عن نفسه وارضه وعرضه (إرهابيا) .. وذاك المغتصب للأرض (له حق الدفاع عن نفسه) .. !!!

هكذا !! .

كل ذلك ، يحدث تحت مسمى (محاربة الإرهاب) !!؟ .

لكن .. ماتعريف الارهاب فى عرف هؤلاء وأولئك .. ؟!! .

دعونا نقل ان الارهاب هو « اعتداء على حق الآخرين .. وهو عمل اجرامي على الأفراد والجماعات والممتلكات، بغرض إحداث اكبر ضرر على الآخر » ..

إذن الارهاب هو فساد فى الارض . وبالتالى هو عمل لايبرره منطق قويم، ولا فهم سليم ولا فطرة سوية ...

اذا سلمنا بهذا التعريف فى أدنى صياغاته، إذن، كيف يُبرّر لاسرائيل ماتقوم به من قتل يومي متعمد لاصحاب الارض فى فلسطين، منذ اكثر من خمسين عاما خلت .

وحتى يومنا هذا .. ؟؟ .

بأى حق ومنطق تدفع اليهم امريكا بالسلاح والعتاد . والمال .. ؟! .

وبأى حق ومنطق تستخدم حق النقض فى أى قرار يدين اسرائيل من قبل المجتمع الدولي، أو قرار يمكن ان يوفر حماية و – لو محدودة – للشعب الفلسطيني .. ؟!! .

بأى حق ومنطق تعتبر دفاع أهل الأرض المغتصبة والحقوق الضائعة، (إرهابا ..) ..

وأى دفاع متاح لهم !! .. انهم يحاولون دفع العدو عنهم بالحجر .. والعدو يمطرهم سعيرا .. صباح مساء ..

– المحرر –

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

مشاهد وعظات من كتب الرحلات الحجازية

من جملة النعم الجليلة، والمواهب الجميلة أن يسّر الله الطريق إلى الحج في هذا الزمان بعد أن كان رحلة صعبة محفوفة بالمخاطر العظيمات، مليئة بالعقبات، كثيرة التبعات، من دخل الحجاز فهو في حكم المفقود، ومن خرج منه فهو مولود، ليس على سبيل المبالغة والتهويل بل ما قيل فيه هو أقل من القليل .

ويكفي تصويراً لتلك المخاطر أن عدداً من علماء المسلمين أفتى بسقوط الحج عن المسلمين الذين يمرون بتلك البوادي المهلكة والأعراب المفسدة، حيث الطريق غير مأمون والسالك فيه أقرب إلى الهلاك منه إلى سلامة الوصول .

وقد سطّر كثير من علماء الحجاج ما وجدوه في تلك المسالك، ووصفوا ما وقفوا عليه من الصعوبات والمهالك، وقصوا قصصاً وروا أحداثاً جدير بجيلنا أن يطّلع عليها، ويتذكر نعمة الله – تعالى – عليه بتيسير المناسك وسبلها، وأصبح مَن كان يأتي في بضعة شهور محفوفة بالمخاطرات يأتي في بضع ساعات محفوفة بالنعيم والملذات .

وهؤلاء العلماء الذين سطروا هذه الرحلات كان أكثرهم أدباء فجاءت عباراتهم رقيقة، جزلة رصينة، فسطروا تلك الرحلات في أسلوب قصصي جذاب معجب، ولم تنقصهم الدقة ولا الأمانة العلمية فيما سطروه، فصارت تلك الرحلات سجلاً كاملاً لأحوال الأمة الإسلامية منذ القرن السادس – بداية التسطير الشامل لرحلات الحج، فيما وصلنا وفيما علمته – حتى القرن الرابع عشر .

هذا وقد منّ الله تعالى عليّ بقراءة جملة وافرة من تلك الرحلات، واصطفيت منها مشاهد وعبراً وعظات، وهأنذا أسوق بعضها إلى القراء الكرام، مرتبة بحسب مايمكنني الترتيب، مضمومة إلى النقاط التالية :

(١) المشاق التي كانت تواجه الحجاج

من المهم أن يطلع الناس اليوم على ما كان يواجه أسلافهم من مشاق عظيمة عندما كانوا يأتون إلى الحرمين، وذلك حتى يذكروا نعمة الله العظيمة عليهم بتسهيل الحج في هذا الزمان، وليعلموا مقدار عظم الإيمان الذي كان يحرك أسلافهم إلى الديار المقدسة متحملين من المشاق الهائلة مايفوق قدراتهم على الحقيقة لكنه الشوق والإيمان .

فهذا **القاسم بن يوسف التجيبّي** يقول في كتابه «المختار من الرحلات الحجازية» واصفاً المشاق التي يواجهها الحجاج راكبو البحر :

« قد دخلنا بعد مضي ساعة من يومنا مرسى بمقربة من عيذاب المذكورة يدعى بالجدير، ومن هذا المرسى يحرم الآن أكثر القاصدين إلى الحجاز الشريف من هذا الطريق، وفي الإحرام منه غرر عظيم وخطر، لما يتوقع من عدم مساعدة الريح لمن يحرم منه،



بقلم : **د. محمد عقيل موسى الشريف**

أستاذ متعاون بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة – السعودية

فيطول زمان إحرامه، فيلحقه الحرج بذلك، ولقد بلغني أن بعض المحرمين من أقام محرماً نحو سنة .

ثم لجئنا من الجدير ...فلما قاربنا التوسط بين بر الحجاز الشريف وبر عيذاب الوحش، عصفت علينا الريح، وجاء منها ما أشفينا به على التلف، وعظم الموج حتى حال بيننا وبين المركب المذكور، فلم نعلم من حيث ذهب، وأظلم البحر، واشتد سواده، وأرانا أهواله الفرعونية، سلط الله عليه اليبس، وأخافنا ما شاهدناه من الحال، وأجمع رأي الملاحين وربانهم على أن الرجوع إلى بر عيذاب الوحش أرجأ لسلامتنا، فكررنا راجعين طائعين وجلين، فيسر الله تعالى علينا، ودخلنا مرسى من مراسي بر عيذاب يعرف بالواسعة، فلم ينتفع بفأل اسمه، وضاقت علينا فيه الأرض بما رحبت، ولم يكن به ماء، ولا ظل، ولا أُنس، ولا وحش، ولا إنس، فأقمنا فيه يوماً وبعض آخر .

ثم أقلعنا منه فلما توسطنا الطريق مال أيضاً علينا البحر أشد من المرة الأولى، وعصفت الريح عصوفاً شديداً، وجاء منها ما لا قِبَل لأحد به، وعاينا الموت عياناً، وأيقنَّا بالتلف لا محالة، وضجّ الناس بالصياح والبكاء والتضرع إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء، وبهت الملاحون من شدة الهول، وهموا بإسلام(١) المركب، وأن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، وأجمع رأي الجميع على أن الرجوع إلى بر عيذاب الوحش أرجأ لنا أيضاً، فكررنا راجعين عوداً بعد بدء خائفين، وعلى الله تعالى في سلامتنا متوكلين، وقد بلغت القلوب الحناجر، وأحاط بنا الموج من كل جهة ومكان، ثم تداركنا الله تعالى بلطفه، ودخلنا مرسى من مراسي بر عيذاب المذكورة على مقربة من جزيرة سواكن يدعى بالمربوطة، وبعد استقرارنا فيه، ذكر لنا ربَّان مركبنا، وكان مقدماً في صناعته ماهراً فيها أن سلامتنا كانت مما يعد من النادر، وأن المركب قد اختلت ألواحه ودُسُره (٢)، وأن السفر لا يمكن فيه البتة .

فأرسينا بهذا المرسى، ولم نر قط مرسى أشد توحشاً منه، كان قريب القعر، بعيداً من البر، بقي بين المركب وبين البر نحو نصف ميل، وكان قعره طيناً، فكان أحدنا إذا نزل إليه كابد مشقة في نزوله، وساخت رجلاه في الطين إلى قرب ركبتيه، ولا يكاد أن يصل إلى البر إلا بشق النفس، فإذا وصل إلى البر لم يجد ماء ولا ظلاً ولا عمارة ولا حيواناً يدب على وجه الأرض، فأقمنا به أياماً أعظم الله بها الأجر ...» إلخ ما قاله – رحمه الله تعالى .

قال **الورثيلاني الجزائري** في كتابه «نزهة الأنظار» واصفاً ما يجري على الحجاج في البوادي المهلكة والصحاري المقفرة من شدائد ومصائب :

« ثم سرنا في تلك المضائق إلى الوادي المسمى الآن بوادي العقيق، بل تسميته بوادي العقوق أولى لتلصص أعرابه وجرأتهم على الناس بالسرقة .

ثم سرنا كذلك إلى أن وصلنا إلى النبط بين الظهر والعصر، وفيه آبار أربع محكمة البناء بالحجر والصخر، وماؤها عذب حلو طيب غزير لاينقطع مدده.

وفي هذا المنزل تنشرح النفس، وتمرح فيه؛ لطيب مائه وحلاوة مكانه، وطلاوة منظره، وقربه من الأماكن الشريفة والمآثر الطيبة كالينبع ونحوه .

ثم ارتحلنا منه أيضاً ليلاً – أي آخره – .

ثم سرنا كذلك إلى أن دخلنا وادي النار، وهذا الوادي قد وافق فيه الاسم المسمى؛ إذ لا يخلو من

شدة تقع للحاج فيه من عطش وموت ومرض، وهو واد كبير، ولا ماء هناك من النبط إلى الينبع، فإذا قبح الهواء مع الحرارة مات من الناس ألوف مؤلفة في أسرع مدة، فيأخذ الرجل الماء فلا يضعه من يده حتى يموت، وقد صار ذلك في رجوعنا .

نعم اشتد بنا العطش أنا وجماعة من الفضلاء كثيراً قرب وصولنا إلى النبط، وإذا بأعرابي أتانا بقربة ماء عذب، وأظنه من ماء المطر بارد كأنه من ماء الثلج، وسقى جميعنا لوجه الله العظيم، ولو طلب الدراهم لأخذ منا كثيراً؛ لقرب الموت والهلاك منا، فاستغربنا حال الرجل وما صدر منه إلينا من غير طلب شيء ولو دعوة خير؛ إذ عادة الأعراب لا يعطون شربة الماء إلا بفلوس كثيرة – لا سيما عند العطش – ونحن – والحمد لله – قد وقع بنا فضل عظيم وجود كريم » .

أما الرمال فقد كانت أكبر عائق يعوق أوائل السيارات التي خاضت في تلك البراري الموحشة، وهذا **الشيخ علي الطنطاوي** – رحمه الله تعالى – يبين تلك المصاعب في رحلته « إلى أرض النبوة» فيقول :

« هذه الرمال آفة السيارة وعلتها التي لا دواء لها؛ فإنها للينها وتهافتها لا تثبت تحت دواليب السيارة، فتغوص فيها كما تغوص في الماء، وتلبث فيها كأنما دفنت وهي في الحياة .

ولقد لقينا من هذه الرملة عناء تقل في وصفه مبالغات الشعراء، غرقت فيها السيارات، ومالها لا تغرق وقد قلت لك إنها رملة كالبحر، أفتمشي سيارة على وجه البحر؟ ولقد لبثنا إلى الليل نزيح الرمل من حول السيارة، ونرفعها رفعاً ثم ندفعها بعواتقنا دفعاً، ثم نجرها بالحبال، حتى إذا قلنا سارت عادت فغاصت، فلم نقطع الرملة حتى تقطعت أعمارنا » .

ويقول أيضاً في موضع آخر :

« مضت ساعة كاملة ونحن نعالج السيارة لنخرجها من الرمل، نرفعها طوراً بالآلة الرافعة وطوراً بأيدينا، ونزيح الرمال من طريقها. ثم نمد لها ألواحاً من الخشب لتمشي عليها، ونجرها بالحبال، وندفعها بالأيدي، حتى إذا سال منا العرق، ونال منا التعب مشيت على الألواح حتى إذا وصلت إلى نهايتها عادت فغاصت في الرمل إلى الأبواب، فأيسنا وبلغ منا الجهد، وهدنا الجوع والتعب، والحرّ والعطش، فألقينا أنفسنا على الرمل صامتين مطرقين، حيارى قانطين .

وتلفّت فلم أر إلا الرمال المحرقة تمتد إلى حيث لا يدرك البصر، متشابهة المناظر. متماثلة المشاهد :

في مَـهْـمَـه (٣) تشابهت أرجاؤه
كأن لون أرضه سماؤه

فرحت أفكر في هذه الأيام العشرين، وما قاسينا فيها من ألوان المكاره، وأتصور الغد الرهيب الذي ينفد فيه ماؤنا وزادنا ويلفحنا فيه سموم الحجاز وشمسه المحرقة فارتجفت من الرعب .

وجعلت أحدّ النظر في هذا الأفق الرحيب لعلي أرى قرية أو خياماً فلا أرى إلا لمع السراب، ولا أبصر إلا هذه الجبال التي طلعت علينا أمس، فاستبشرنا بها وابتهجنا، وظنناها قريبة منا، فسرنا مئة وعشرين كيلاً وهي قيد أبصارنا، تلوح لنا من بعيد كأنها بحر معلق حيال الأفق ضائع بين السماء والأرض » .

(٢) الخشوع في المشاعر والشوق إليها وإلى المدينة النبوية المنورة

بينت أكثر كتب الرحلات ما يجري على الحجاج في المشاعر من خشوع وما يعتريهم من انكسار وخضوع عند رؤية تلك المشاهد العظام، وبينت أيضاً العاطفة التي كانت تتأجج في صدور الحجاج، وكيف كانوا على أتم استعداد لبيع أرواحهم وأموالهم في

سبيل رؤية مرابع الطهر والقداسة، ومغاني السعادة والسيادة، وتصور كيف كان الحاج ينسى كل تعبه عند رؤية مكة أو المدينة، وكيف كان يقبل على تلك المقدسات باكياً مستغفراً، متطهراً تائباً معتبراً، مما كان له أعظم الأثر في بقاء سلطان الدين في النفوس.

ويعلل **ابن بطوطة** هذا الشوق والخشوع المصاحبين للحاج بأنه عمل إلهي حتى يخفّ على الناس مايجدونه من مشاق فلاينقطعون عن الديار الحجازية، فيقول :

« ومن عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، والشوق إلى المثول بمعاهدها الشريفة، وجعل حبها متمكناً في القلوب، فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجامع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفاً لفراقها، متولهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، ناوياً لتكرار الوفادة عليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب، حكمةً من الله بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله، عليه السلام .

والشوق يحضرها وهي نائية، ويمثلها وهي غائبة، ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء، وكم من ضعيف يرى الموت عياناً دونها، ويشاهد التلف في طريقها، فإذا جمع الله بها شمله تلقاها مسروراً مستبشراً، كأنه لم يذق لها مرارة ولا كابد محنة ولا نصباً، إنه لأمر إلهي، وصنع رباني، ودلالة لا يشوبها لبس، ولا تغشاها شبهة، ولا يطرقها تمويه، وتعزّ في بصيرة المستبصرين، وتبدو في فكرة المتفكرين، ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الأرجاء، والمثول بذلك الفناء، فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى، وخوّله خير الدارين : الدنيا والأخرى، فحق عليه أن يكثر الشكر على ما خوّله، ويديم الحمد على ما أولاه ».

هذا **القاسم بن يوسف التجيبي** يذكر عظم شوق الحجاج إلى المشاعر في كتابه «مستفاد الرحلة والاغتراب» فيقول :

« فلما قربنا من التنعيم ولاحت لنا المساجد التي هنالك وهي التي تنسبها الناس اليوم لعائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – صرخ الناس بالتلبية والدعاء، وارتفعت الأصوات بالتضرع والبكاء، وعاينا من الخشوع والخضوع ما كاد يذيب قلوبنا، ويذهب عقولنا وألبابنا، وكان معنا في القافلة شخص فاضل من أهل الخير والسمت الحسن – كانوا يدعونه بالفقيه حسن – فلما قربنا من التنعيم أخذه حال وخشوع، وعلته رقة وخضوع، وبكى وأبكى، ثم غشي عليه، وكاد يذهب عقله، فسرى حاله للحاضرين، وزادهم في شوقهم وقلقهم لرؤية البيت الشريف – زاده الله تشريفاً وتعظيماً ومهابة وتكريماً – » .

وبلغنا أن **الشبلي** – رضي الله عنه – لما وصل إلى مكة شرفها الله تعالى جعل يقول :

أبطحاء مكة هذا الذي
أراهُ عِياناً وهذا أنا

ثم غشي عليه يرحمه الله .

ثم استمر السير، وزاد الخشوع، وعظم الشهيق والبكاء، وعلت الأصوات بالتلبية والدعاء » .

وهذا **ابن جُبير الأندلسي** – رحمه الله تعالى – يقول في رحلته «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» واصفاً الخشوع العظيم الذي يخالط الحجاج في عرفة :

« فلما جُمع بين الظهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين، وإلى الله عزّ وجل في الرحمة متضرعين، والتكبير قد علا، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع فما رُؤيَ يوم أكثر مدامع، ولا قلوباً خواشع، ولا أعناقاً لَهيبْة الله خوانع خواضع من ذلك اليوم .. »

ويقول **ابن جبير الأندلسيّ** – أيضاً – يصف حال

الحجاج داخل الحرم فيقول في رحلته : « تذكرة بالأخبار» شارحاً حال ساكني بعض السراة إذا دخلوا الحرم:

« القوم عرب صُرَحاء فُصَحاء جُفاة أصحَاء، لم تُغذِّهم الرقة الحَضَرية، ولا هذبتهم السيرة المدنية، ولا سددت مقاصدهم السنَن الشرعية، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صِدْق النية، فهم إذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تَطارُحَ البنين على الأم المشفقة، لائذين بجوارها، مُتعلقين بأستارها، فحيثما علقت أيديهم منها تمزق لشدة اجتذابهم لها وانكبابهم عليها، وفي أثناء ذلك تصدع ألسنتهم بأدعية تتصدع لها القلوب، وتتفجّر لها الأعين الجوامد فتَصُوب، فترى الناس حولهم باسطي أيديهم، مُؤمِّنين على أدعيتهم، مُتلقّنين لها من ألسنتهم، على أنهم طول مُقامهم لا يتمكن معهم طوافُ، ولا يوجد سبيل إلى استلام الحجر .

وهذا **الشيخ محمد رشيد رضا** يصف في رحلته الحاج إذا دخل مكة فيقول :

« حتى إذا اكتحلت عينه برؤية الكعبة المعظمة، وراع القلب ما جللها من المهابة والعظمة تذكر أنها أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين، وخصه الله بالآيات البينات الباقية على بقايا الأيام والسنين، ورأى أمامها مقام إبراهيم عليه وعلى نبينا وآلهما الصلاة والسلام، ووجد نفسه حيث كان بَدْء بدين الله الإسلام وحيث الختام، فإذا دنا من مهبط الروح الأمين ومطاف الملائكة والنبيين، والصديقين والشهداء والصالحين فلا تسل ثَمّ عن الدموع كيف تنسكب، وعن الضلوع كيف تضطرب، وعن الأعناق كيف تخضع، وعن القلوب كيف تخشع، ولا عن وجدان الإيمان كيف يتألق نوره في الجنان، ويفيض بيانه على اللسان، فيحركه بما يلهم من الثناء، وما يشعر بالحاجة إليه من الدعاء، وما يذكره أو يُذَكّر به من المأثور، لا تسل أيها القارىء عن شيء من ذلك، ولا عن غيره مما يكون عند أداء المناسك، فمن ذاق عرف، ومن حُرِم انحرف .

أما الخشوع في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فقد جرى ذكره على لسان كثير من الحجاج، وبينوا صعوبة وداع النبي صلى الله عليه وسلم والحال التي تعتريهم أثناء ذلك، فهذا **ابن جبير الأندلسي** يقول :

« وفي عشي ذلك اليوم المبارك كان وداعنا للروضة المباركة والتربة المقدسة، فيا له وداعاً عجباً ذهلت له النفوس ارتياعاً حتى طارت شعاعاً، واستشرت به النفوس التّياعاً حّتى ذابت انصداعاً! وما ظنّك بموقف يُناجَى بالتوديع فيه سيّد الأولين والآخرين، وخاتم النبيِّين، ورسول رب العالمين؟ إنّه لموقف تنفطر له الأفئدة، وتطيش به الألباب الثابتة المتّئدة، فوا أسفاه وا أسفاه. كلّ يبوح لديه بأشواقه، ولا يجد بُدّاً من فراقه، فما يستطيع إلى الصبر سبيلاً، ولا تسمع في هول ذلك المقام إلا رَنّةً وعويلاً، وكلّ بلسان الحال ينشد :

محبّتي تقتضي مُقامي
وحالتي تقتضي الرحيلا »

وهذا **الورثيلاني الجزائري** يقول في رحلته « نزهة الأنظار» :

« وعظم عليّ أمر التوديع حتى علا صوتي وارتفع، وكاد أمري إلى العويل، بل أنوح عليه نياح الثكلى العديمة لولدها، وكيف لا وهو أن فراقه أعظم المصائب، ولم أنفصل عنه إلا بصبر عظيم وهول جسيم وحزن شديد فلم أملك نفسي عند ذلك فعظمت المصيبة وعز الصبر، غير أني تسليت بانتقاله من دار الدنيا وفراق أصحابه ... »

وهذا **الشيخ علي الطنطاوي** – رحمه الله تعالى – يصف ما جرى له في المدينة في رحلته «إلى أرض النبوة» فيقول :

« خفق قلبي خفقاناً شديداً، وخالطني شعور بالهيبة من دخول المدينة والسلام على رسول (الله صلى الله عليه وسلم) على مافي نفسي من الفرح والسرور، وجعلت أتأمل المدينة وقد دنونا منها حتى لقد كدنا نصير بين بيوتها، وأحدّق بالقبة وتحتها أفضل مَن مشى على الأرض، وقد شخص بصري، وكدت لا أرى ما كان حولي لفَرْط ما أحس من جَيشان العواطف في نفسي، حتى غامت المشاهد في عيني، وتداخلت كأنها صورة يضطرب بها الماء، وأحسست كأني قد خرجت من نفسي، وانفصلت عن حاضري، وذهبت أعيش في عالم طلق لا أثر فيه لقيود الزمان والمكان .

ونظرت فإذا السيارات أمام باب السلام، فاشرأبت الأعناق، وبرقت الأبصار، ودمعت العيون، وخفقت القلوب، وتعالى الهتاف ونزلنا ندخل مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكانت حال لا سبيل إلى وصفها قط، اللهم اجعل لنا إلى تلك البقاع التي شرفتها بمحمد معاداً » .

(٢) الأخوة الإيمانية

في كتب الرحلات سطرت صور جميلة للإخاء الإيماني تربو في أثرها على كل ما أنتجته قرائح البشر وأفكارهم، ونظمهم وقوانينهم وأحوالهم، ويتبين هذا في عدة حوادث أصطفي منها اثنتين واحدة منها جرت بين الدكتور محمد حسين هيكل – يرحمه الله تعالى – عندما حج سنة ١٩٣٥ وبين أحد الأوروبيين، وأخرى للشيخ علي الطنطاوي رحمه الله.

يقول محمد حسين هيكل :

« وخرجت من قبتي أتعرّف ما حولي، وأشهد صنيع الناس يومَهم هذا وقد جاءوا إلى الله حاجِّين متجردين، وإني لأتلفت يمنة ويسرة إذ وقع بصري على رجل لا شيء في سيماه يدل على أنه من أبناء الشرق، بل هو أدنى إلى أن يكون من أبناء الشمال في أوروبا بطول قامته النحيفة وببشرته البيضاء المشربة حمرة وعينيه الزرقاوين وشعره الأصفر، وأخبرني بعض أهل مكة ممن حوله أنه هولندي يقيم بجاوة، وأنه جاء يؤدي فريضته، ودلفت إليه وألقيت عليه التحية بالفرنسية، وتحدّثت إليه بها، فدلتني لهجته على أنه ليس من أهل هذه اللغة وأن أغلب أمره أن يكون إنكليزياً، وسألته عن جنسيته فعلمت أنه أرلندي وأنه أسلم من سنوات خمس، وأنه جاء ليؤدي الفريضة، أخبرني أنه في إقامته بسرواك (٤) بين المسلمين منذ أكثر من خمس عشرة سنة لم تطلب نفسه بما دون التعمق في درس حالهم الاجتماعية والأخلاقية، والبحث – بوصف كونه أرلندياً – عن الأسباب التي أدت بهم إلى الخضوع لغيرهم، وكانت عقيدتهم الدينية بعض ما عُني بدراسته، ولم يلبث حين بدأ هذه الدراسة أن شعر بحافز قوي يحفزه للإمعان فيها ولقراءة ما كتب في اللغات المختلفة عنها وللتزيد من ذلك ولطول التفكير فيه، ولقد أخذت بساطة العقيدة الإسلامية بمجامع قلبه، ووصلت من تفكيره إلى أعماقه وجعلته يؤمن بحقيقة هذا الدين الذي نزل على النبي العربي وبحضارة الأخوة والإباء التي يدعو إليها . ويؤمن بأن الحضارة التي تنشر أوروبا اليوم لواءها في العالم باسم العلم ليست من العلم في شيء، وإنما هي اللعنة التي صبَّها الله على العالم؛ فهذه الحضارة تتلخص عنده في إخراج الناس من بساطتهم الفطرية التي تكفل لهم سلامة التفكير وسموّ الغاية، ليخضعوا لأهوائهم وشهواتهم المادية فتضعف نفوسهم ويذلّوا، وأية صلة بين سعادة الرجل أو المرأة وبين منسوجات

(لانكشير) أو حرائر (ليون) أو عطور (باريس) أو ما إلى ذلك من مواد الزينة والترف، وهذه مع ذلك هي مظاهر الحضارة الأوروبية وهي السبب الحقيقي الذي تغزو أوروبا العالم من أجله، إنما الصلة الحقيقية بين هذه المنسوجات والحرائر والعطور وبين الأموال التي تريد أوروبا استنزافها من الشعوب هي إقناعها كذباً بأن الحضارة في الرداء والترف والزينة .

أما الإسلام فيدعو إلى معنى هو أسمى المعاني، إلى نبذ كل عبودية لغير الله، وإلى الاستهانة بالموت في سبيل الله وإلى البر والتقوى وإلى الرحمة والمغفرة، وهو يدعو إلى ذلك كله في بساطة وقوة لا حاجة بهما إلى منسوجات أو حرائر أو عطور، ولو أن المسلمين أدركوا سر الإسلام إدراكاً عميقاً لهان عندهم ما يعرضه الغرب عليهم، ولما خضعوا لحكم الغرب ولا ذلّوا لسلطانه؛ فدينهم يربأ بمن يؤمن به عن الخضوع لغير الله ويجعل الموت في سبيل التخلص من هذا الخضوع موتاً في سبيل الله يُجْزَى صاحبه الجزاء الأوفى .

وأعجبت بحديث صاحبي أيما إعجاب، لأنه صادف موضع العقيدة مني؛ فسألته عما جاء به إلى الحجاز وعن رأيه في حكمة الحج، وكان جوابه على سؤالي كحديثه الأول حصافة ودقة، قال : إنما فرض الإسلام الحج ليُشْهد المسلم الله على نفسه أمام ملأ إخوانه المؤمنين جميعاً أنه نبذ ما اختلط بحياته قبل الحج من ذنوب وأوزار، والله يغفر له ما صدق التوبة، ليُولَدَ ميلاداً روحياً جديداً يكون بعده خيراً مما كان قبله من علم وبصيرة .

وعدنا إلى حديث طويل تكلم أثناءه صاحبي عن المسلمين وعدم إدراكهم قوتهم العظيمة بسبب ما تخدعهم به مزاعم الغرب، فهؤلاء المسلمون يزيدون في آسيا وحدها على مائتي مليون؛ ولو أنهم أدركوا مبلغ قوتهم وأدركوا قيمة حياتهم الروحية وعظمتها لاستطاعوا تجديد نشاط الإنسانية لكنهم متركون إلى جهالتهم ليسهل خداعهم واستغلالهم، قانعين لذلك بضعفهم وراضين عن هوانهم » .

وقال **الشيخ علي الطنطاوي** مبيناً أهمية الأخوة الإيمانية وأثر الحج في تعميقها، وذلك في مقالته «من ذكريات الحج»، وذلك بعد حجته الأولى بسنوات طويلة، فقال رحمه الله تعالى :

« ولقد كان في الفندق طائفة من صفوة الحجاج، أذكر منهم الأستاذ الشيخ مخلوف مفتي مصر الأسبق، والأستاذ الشيخ التبيسي نائب رئيس جمعية العلماء فى الجزائر، وشيخ الإسلام في تونس، والدكتور ظفر أنصاري من كبار القائمين بالعمل الإسلامي في باكستان، والسيد عبدالرشيد من رجال التبليغ في الهند، وممثل سيلان السياسي في باكستان، وعم ملك الأفغان، والقائد العام فيها، وحجاج من جنوب إفريقيا، وكان فيه البعثة العسكرية المصرية .

وكانت أيامنا في الفندق مجالس بحث ونظر في مسائل العلم، وفي أوضاع المسلمين، وفيما ينفع الناس.

ولم يمر يومان، حتى صرنا جميعاً مَن جاء من الشرق، ومن قدم من الغرب، والعربي والهندي والأفغاني، صرنا إخواناً في أسرة واحدة، كأننا ما افترقنا من قبل أبداً، وهذا أثر الرابطة الإسلامية، وهي رابطة عجيبة، وهي أقوى من وشائج الدم واللغة والوطن، والمرء قد يخاصم أخاه ابن أمه وأبيه – وهم في روابط الدم واللغة والوطن، أقرب مما بين الاخ واخيه ؟

إن المرء ليخاصم أخاه الشقيق، إن لم يكن دينه

من دينه، ومذهبه من مذهبه، فكيف بغيره ؟

فقولوا هذا لهؤلاء الببغاوات الذين لا يفتأون يرددون مقالة الأحمق الأول :

« الدين لله والوطن للجميع » والذين يفضلون رابطة القومية واللسان على رابطة الإسلام» .

هذه التي سقتها كانت مشاهد وعبراً وعظات منتقاة، وهي كثيرة جداً، وأختم بذكر بعض الجوانب المهمة التي تحتويها هذه الكتب إضافة إلى ما سبق:

أولاً : وصف كثير من هذه الكتب الحالة الدينية لأهل الحجاز، وما هم عليه من قرب أو بعد عن الله - تعالى - وما يسود عباداتهم من الصفاء أو البدع، وما هم عليه من حرص على أداء التكاليف الشرعية أو تفريط فيها، وفي هذه فائدة كبيرة في معرفة أثر الدين في النفوس ومدى رسوخه فيها، وفيه فائدة أخرى تتمثل في التتبع لما أصاب العالم الإسلامي - ممثلاً في قلبه : الحجاز - من الوهن والضعف الديني الذي أثر على مسيرته بالكامل، وسمح للاستخراب - الاستعمار - العالمي أن يلج دياره ويعمل معاوله فيها هدماً وتخريباً .

ثانياً : في بعض تلك الكتب وصف دقيق كامل للهيئة الاجتماعية؛ فعادات السكان وطبيعتهم من حاضرة وبادية مسطرة، وكذلك هيآتهم ولباسهم، وسلوكهم،وطعامهم وشرابهم، وحفلاتهم ونزههم، وحزنهم وفرحهم، ورغبتهم ورهبتهم، وحال نسائهم وأطفالهم كل ذلك مسطور على ما يحب ويشتهي الباحث الاجتماعي والمصلح الداعي .

ثالثاً : وقد جاءت هذه الرحلات سجلاً كاملاً لما عليه كثير من ساسة الحجاز آنذاك من ظلم للحجاج، وأخذهم بفادح الضرائب، وكيف كان الحكام يسوسون العامة إلى آخر الشؤون السياسية المعروفة، وقد تعرضت - أيضاً - إلى حال الدول المسيطرة على الحجاز من أيوبيين ومماليك وعثمانيين، ومن ثَمّ صورت حالة العثمانيين وتدهورهم إلى ضعف ثم انهيار تصويراً موجزاً مقتضباً لكنه معبر كاف .

رابعاً : تعرض كثير من تلك الكتب - فيما تعرضت إليه - إلى الحالة الاقتصادية عند الحجازيين : غناهم أو فقرهم ، رفاهيتهم أو الشدة التي كانوا يعالجونها، استقلالهم عن الحجاج أو اعتمادهم عليهم إلخ ...

خامساً : في كثير من تلك الكتب مسائل متنوعة شرعية، ولطائف أدبية، وحكايات متنوعة تستحق بها أن تستحوذ على اهتمام القارىء وتكون من المرصدات التي يعدها لفراغه ويتسلى بالاطلاع عليها، وتبتهج روحه بالنظر فيها، ويمكن أن تُعد قصصاً للناشئة والكبار يطلعون عليها ويعتبرون ويتفكهون .

سادساً : تمثل تلك الكتب أهمية عامة للمسلمين وأخرى خاصة بالحجازيين؛ فهي تحكي لهم كيف كانت ربوعهم وديارهم، وكيف عاش آباؤهم وأجدادهم، وتصل حاضرهم بماضيهم، وتشبع فيهم الرغبة إلى معرفة التاريخ الحجازي وأصالته وعراقته، فلله كم ذكرت من الربوع والمغاني، والحواضر والبوادي، وكم أطنبت في وصف معاهد القدس وأماكن الطهر، وكم أشادت بالعادات الحميدة والتقاليد الكريمة، التي فَرّط فيها أكثر الناس اليوم وهجروها، وملّتهم بعد أن ملّوها .

الهوامش :

١ - أي ترك .

٢ - أي مسامير ه .

٣ - أي صحراء .

عيد الأضحى .. عيد الفداء

حيِّ الفداء، وحيى (ابراهيما)
والأنبياء، وزدهمو تعظيما

ما ناله إيذاء قوم أسرفوا،
بل زاد في توحيده تصميما

هزأوا به والهزء شر بلادة
والكفر أحرى أن يكون ملوما

لمس الهدى في وحدة وتأمل
ومضى يسائل في السماء نجوما

متبرئا من (آزر) الفظ الذي
أمسى ظلوماً، مشركا، وغشوما

إيمانه اطمئنان قلب صابر
رضى القضاء وأمره المحتوما

من فضل ربك صارت النار التى
قد زج فيها، جنة ونعيما

والكفر مما قد رأى متخاذل
حتما، تحول في الجحيم هشيما

وتنكر الرسل الكرام أباهمو
من كان موفور الجلال وسيما

لا يُعرف الإسلام إلا باسمه
أعظم به رمزا له مرقوما

إنا لنؤمن بالحقيقة قد سمت
في الأنبياء، وقُدمت تقديما

بعض لبعض، قد تواصوا بينهم
إذ أصبحوا هذا لذاك حميما

حملوا الرسالة والأمانة واتقوا
ربًا كريما، بالعباد رحيما

وبنوا من التوحيد صرحا شامخا
للعالمين، وباشروا التعليما

لم يبق للشيطان منطلق، فقد
أمسى طريدا، في العذاب رجيما

رسل السماء الأصفياء تواتروا
ليقوِّموا أخلاقنا تقويما

شعر : **محمد بن محمد العلمي** – المغرب

حــتى أتى بالبـيِّنات مــحــمــد
والنور بالقــرآن صــار عــمــيمــا

والله فـي حــــفظ رعـــاه، لأنـه
قـد عـاش فـيـاض الحنان، يتيـمـا

في كل شيء ذرة من حُـــبِّـــه
وهـو الثـــراء لمن يكون عــــديما

إذ بلَّغ الوحي الذى قـــد جـــاءه
من ربه، والعبء كـان جـسـيــمـا

فــتــوطَّد الحق المبين، وأشـــرقت
شـمس تزيل عن الوجـود وجـومـا

وتوارت الأوثان وهي كـــســيـــرة
وتخـــاذل الشــرك اللعين لزومـا

في ذكـــريات الأنبـــيـــاء هداية
صــقلت قلوبا بيننا وفــهــومــا

هـم هنبونا بالمثـــال، وأودعـــوا
ســـراً يفــوق ثقـافـة وعلومـا

عرفوا الحقيقة في الشرائع رحبة
والله كـــان مـــدبرا وحكيـــمــا

و(المسجد الأقصى) يعاف (صهاينا)
قــد حــرَّقــوه وأثخنوه رجــومــا

والله قـــيــوم غــيــور مــبــصــر
قــد كــان بالجــرح الأليم عليـمــا

* * *

للكعــبــة، البـيت الحــرام، قلوبنا
تصــفـو، وتُظهـر شـوقـهـا المكتـومـا

طاف العبـاد بهـا، وصلوا خُشَّعاً
وترنمـوا بتــــلاوة ترنيـــمـــا

وتجـــردوا عن كل شـيء عندمـــا
جـاءوا، وقـد نـالوا الثـواب كـريما

لبُّـــوْا نداء الله بـالقلب الذي
سـمع الأذان في السمـاء رخيـمـا

يدعــو جــمــيع المسلمين لدينهم
ليـزيد شـمـلهـمـو به تدعـيـمـا

وبروضـــة المخــتـــار أحــمــد، كلهم
صلوا عليــه، وسلمــوا تسليـمــا

شعيرة الأمة

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}. ومن أوضح العبادات أثراً في حياة المسلمين: فريضة الحج التي تعدُّ طاقة روحية تملأ القلب حباً لله ورسوله.

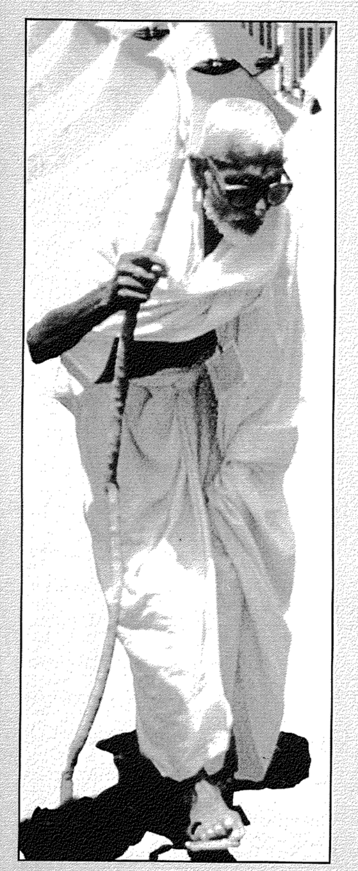
قال تعالى: **{إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومَنْ دخله كان آمناً. ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين}**. فالكعبة هي أول بيت وضعه الله لعبادته في الأرض، وجعله مثابة للناس ليؤدوا مناسك الحج عند ذلك البيت الذي طهره الله للطائفين والعاكفين والركع السجود. والكعبة هي قبلة المسلمين يتجهون إليها بقلوبهم ووجوههم أينما كانوا. ولقد تولى ابراهيم مع ولده اسماعيل عليهما السلام رفع قواعد هذا البيت، فيما جاء جبريل بالحجر الأسود، وكان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقبله ويقول: «هنا تسكب العبرات». وسكب العبرات يُذهب العثرات.

وحدث في بعض السنين أن تهدمت جدران الكعبة، ولما أرادت قريش إعادة بنائها ووصلت الى موضع الحجر الأسود، تنازعوا فيمن يكون له شرف ذلك، فقال أحدهم: نحكم في خلافنا أول داخل علينا. ولأمر قدَّره الله سبحانه وتعالى وقضاه كان أول داخل عليهم نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم}، فبسط عليه الصلاة والسلام رداءه، ووضع الحجر في وسطه، وطلب من زعماء القبائل أن يأخذوا بأطراف الرداء، فلما قاربوا مكان الحجر من الكعبة، تناوله عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة وأعاده الى مكانه. وبقيت نسبة البيت الى الله قائمة على مر الزمن.. ألم يقل عبد المطلب لأبرهة: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحميه؟.

ولقد شُرع الحج لآداب دينية وتربوية، وحكم اجتماعية، ومعان روحية، وذلك حين ينفق المؤمن ماله ويفارق أهله، لتكتحل عيناه بمكة وآثارها، وبالمدينة وأنوارها.

وعندما ينوي الإنسان أداء هذه الفريضة، وحتى يعود كيوم ولدته أمه، لابد له من توبة صادقة، ورد الحقوق والأمانات، فالحج شعيرة الأمة، يلتقي فيه المسلمون على تباعد ديارهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، يتعارفون ويتآلفون، فتتأكد الأخوة بين مختلف شعوب الأمة الإسلامية.

بقلم : **علاء الدين حسن** - سوريا



قال تعالى: {**وأتموا الحج والعمرة لله**} وقال عليه الصلاة والسلام: «الحجاج والعُمّار وفد الله، يعطيهم ما سألوا، ويستجيب لهم ما دعوا، ويخلف عليهم ما أنفقوا».

وثمة أنواع ثلاثة من النسك، وهي: الإفراد، والقِران، والتمتع. أما الإفراد، فهو أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج وحده، ويقول في التلبية: لبيك بحج / ويبقى محرماً حتى تنتهي أعمال الحج، ثم يعتمر بعد ذلك إن أراد.

وأما القِران، فهو أن يحرم من عند الميقات بالحج والعمرة معاً، ويقول عند التلبية: /لبيك بحج وعمرة/. وهذا يقتضي بقاء المحرم على صفة الإحرام الى أن ينتهي من أعمال العمرة والحج معاً.

وأما التمتع، فهو الاعتمار في أشهر الحج ثم يحج من عامه الذي اعتمر فيه، ويُحْرِمُ من الميقات بالعمرة وحدها، ويقول عند التلبية: /لبيك بعمرة/. ويبقى على صفة الإحرام حتى يصل الحاج الى مكة فيطوف ويسعى ويحلق شعره أو يقصره، ويتحلل فيخلع ثياب الإحرام ويلبس ثيابه المعتادة، ويأتي كل ما كان قد حرم عليه بالإحرام، الى أن يجيء يوم التروية فيحرم من مكة بالحج.

والحج مبني على التيسير، وما سُئل عليه الصلاة والسلام في أمر من أمور الحج ـ قُدِّم أو أُخِّر ـ إلا وقال: «افعل ولا حرج».

والحج ينطوي على: التقرب الى الله في الفكر والعمل، واجتناب الطاغوت بالروح والجسد، وهذان العنصران هما مادة الإسلام: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}. والآيات التي تتحدث عن الحج تتجه دائماً نحو هذين العنصرين: **{فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا}**.. التقرب إلى الله يتطلب ذكراً وصلاة وإحراماً، واجتناب الطاغوت يستلزم تنقية القلب من الأهواء ليتزود الحاج بالتقوى، وبالتقوى تزداد حصانة الأمة الإسلامية.

سُئل {صلى الله عليه وسلم}: أي العمل أفضل؟. قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم أي؟. قال: جهاد في سبيل الله. قيل ثم أي؟. قال: حج مبرور. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

وفي الحج يتساوى الناس بلباسهم ومواقفهم، يُنسبون الى دين واحد، ويهتفون بدعاء لرب واحد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.. كلمات تنساب عذوبة ورقة، وتعبر عن أسمى معاني الخضوع لله رب العالمين.

والضمانات التي نلمحها في الحج، لا يمكن أن تتوافر في المؤتمرات التي هي من صنع البشر، فمؤتمر الحج الذي يقام كل عام برعاية الله عز وجل، ما هو في بعض مقاصده إلا تذكير للإنسان بأخيه الإنسان.. في هذا المؤتمر العظيم، صحوة للنفس البشرية على أنه لا مفاضلة بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح، وبذلك يتلقى الإنسان درساً لا تبلغه أقوى العبارات.

والحج عبادة شاملة، فصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فيما سواه، والنفقة في الحج نفقة في سبيل الله، وفي الحج صوم عن التطيب والزينة، وفيه توحيد الله عن كل مفتريات المشركين.

وفي الحج تأدب مع الجماد في تقبيل الحجر الأسود، وفيه تأدب مع النبات في النهى عن قطعه، وتأدب مع الحيوان في تحريم صيده، ومع الإنسان في عدم مجادلته. ومناسك الحج إرشاد للمسلم في سائر أحواله.. فالإحرام الأبيض رمز لما يجب أن يكون عليه قلب المؤمن من حب ونقاء، والطواف دعوة لجمع كلمة الأمة، وعرفات تَرَفُّع عن المغريات.

عن أنس رضي الله عنه قال: وقف رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بعرفات ـ وقد كادت الشمس أن تؤوب ـ فقال يا بلال: أنصت لي الناس. فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله. فأنصت الناس. فقال عليه الصلاة والسلام: معشر الناس! أتاني

جبريل آنفاً فأقرأني من ربي السلام وقال: إن الله تعالى غفر لأهل عرفات، وأهل المشعر، وضمن عنهم التبعات. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يارسول الله: هذا لنا خاصة؟. فقال عليه الصلاة والسلام: هذا لكم، ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة. فقال عمر رضي الله عنه: كثُرَ خير الله وطاب.

وأما الرمي، فما هو إلا تجسيد لصدق العزيمة، واحتقار لعوامل الشر. وما الذبح إلا إراقة لدم الرذيلة بيد اشتد ساعدها في بناء الفضيلة.

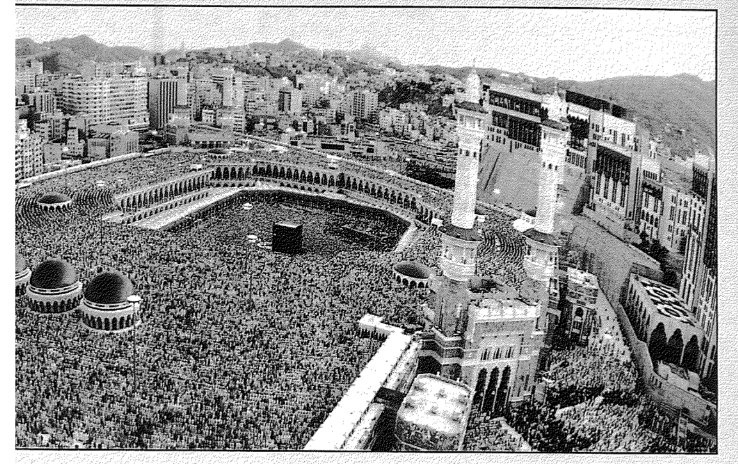
ومن خلال السعي بين الصفا والمروة، يتذكر الحاج قصة السيدة هاجر وولدها اسماعيل، يوم تركهما ابراهيم - بوحي من الله تعالى - بلا ماء ولا زاد، فامتثلت هاجر وصبرت، وبكى الطفل يطلب الماء والزاد.. في ذلك الموقف، يستعيد الحاج في ذهنه حيرة الأم تجاه ولدها وهي تتضرع الى الله تعالى، تبلل الرمل بدمعها، تمد بصرها في كل اتجاه علها تجد من يعين ولدها.. واستجاب الله دعاء هاجر وابراهيم، وتفجرت الأرض نبع ماء بين قدمي اسماعيل، في واد غير ذي زرع: (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار). وازدحم المكان بالناس يوماً بعد آخر..

ذكريات ما أجلَّها، ندرك من خلالها أن الله جل جلاله لا يتخلى عن المؤمنين الصادقين. وفي الحج يرى المسلمون المواطن الأولى التي انطلقت منها رسالة محمد {صلى الله عليه وسلم}، فيتذكرون صبره وجهاده، وتضحيات الصحابة الكرام في سبيل هذا الدين العظيم.

ولقد وجه الله الدعوة الى حج بيته الحرام منذ أن رفعت قواعده: **{وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق}**.

وما أن تأتي أشهر الحج حتى نرى المسلمين يتوافدون على بيت الله من كل فج عميق، فالحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة مرة واحدة في العمر، ومن قدر على ذلك ولم يفعل فهو آثم. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «هممت أن آتي الى أناس يقدرون على الحج ولم يحجوا أن أفرض عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم». والمقصود بالاستطاعة: أن تكون الطريق آمنة، وأن يتوافر الزاد وواسطة السفر، وأن يكون ذلك زائداً عن دينه ومؤنة أسرته مدة ذهابه وإيابه.

وللبيت العتيق مكانته ومآثره، من دخله كان آمناً وغفر ذنبه: **{ومن يُرد فيه بإلحاد بظُلم نُذقه من عذاب أليم}**.



حجاج بيت الله

حجاج بيت الله فاح أريجهم ... أفشى الأريج السرَّ والأخبارا

تلك الديارُ دياركم أنتم بها ... أصحابُ دور لستم الزُّوارا

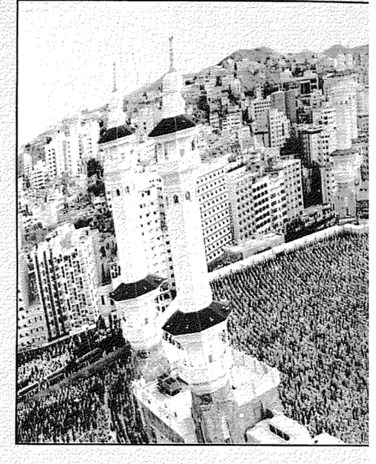
من كل فج أقبلوا فتضوع الـ ... مسك الذكى عشية ونهارا

جئتم تُلبُّون الندا فتهللت ... تلك الوجوه بشاشة ووقارا

واستقبلوا بحفاوة يا مرحباً ... أهلا حللتم بيننا أبرارا

وانهلَّ دمعُ العين فرحاً وارتوى ... قلبٌ تجاوز في المدى الأطيارا

شعر : **د. جمال محمد مرسي** – مصر



قطع البوادي والحواضر ساعياً
لله يركبُ أنهُراً وبحارا

ليجاور الرحمن في أم القرى
يدعوه رباً واحداً قهارا

لبيك يارب، الورى فاغفر لمن
حجوا إليك وبارك الأسفارا

واقبل تساعيهُمْ إليك وزدْ بهمْ
أهل الحجاز على الضيا أنوارا

غُبراً أتوْك وقد حداهم شوقُهمْ
للعفو ممن قدَّر الأقدارا

أثوابهم بيضٌ كأنَّ بهاءها
دُرٌّ تناثر في الشعاب نثارا

جاءوا وقد رفعوا اليدين وهللوا
حمداً لرب البيت واستغفارا

جاءوا فلم تردد يداً مُدَّتْ ولا
عيناً تسيلُ دُمُوعُها أنهارا

مُستبشرين بأنَّ عفوك واسعٌ
شمل القلوب ونوَّر الأبصارا

مُستبشرين بنصرك الموعود لم
تخلف لهم وعداً ولا إخبارا

ونصرتَ عبدك أحمداً طه الذي
أرسلت هدياً للورى ومنارا

فاحفظ بلاد المسلمين ولا تذر
ممن يعادي ديننا ديَّارا

والقدس حرر يا إلهي إنه
بك يستجير سريرة وجهارا

ليعود للإسلام سالف عهده
عزاً ومجداً خالصاً وفخارا

شوال
ذو الحجة
ذو القعدة
رجب

الأشهر الحرم وحرمتها

شرعنا الاسلامي خصب بالأحكام التي تحدد العلاقات بين الناس. وكذلك تاريخنا الاسلامي، فهو حافل بالعبر والعظات التي تضمنتها سنن الخالق الشرعية والكونية. ما أحوج المسلمين وكل الناس الى إحياء هذه السنن وبعثها، ليس للضرورة الشرعية فحسب ولكن للضرورة الحضارية أيضا.

وتعد حالة الأشهر الحرم واحدة من هذه الحالات. سنّة أهملت بشكل غريب في وقت تدعو الضرورة إليها بشكل جد ملح.

يقول البارىء جل جلاله في كتابه الحكيم: **{إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض، منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم. وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتّقين}** (التوبة/ ٣٧).

ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى من كتابه العزيز: **{يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير. وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله. والفتنة أكبر من القتل. ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا. ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا**

بقلم: **د. عبدالوهاب الفغري** - المغرب

والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} (البقرة/ ٢١٧).

وورد في الحديث النبوي الشريف: عن أبي بكرة أن النبي {صلى الله عليه وسلم} خطب في حجته فقال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض: السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة والحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» (رواه الإمام أحمد وأخرجه البخاري في التفسير بتمامه).

وعن ابن عمر قال: خطب رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال: «أيها الناس، إن الزمان قد استدار، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، أولهن رجب مُضر بين جمادى وشعبان، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم» (أخرجه ابن جرير وابن مردويه).

وورد في تفسير ابن كثير: وقال ابن عباس في قوله: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قال: في الشهور كلها. ثم اختص من ذلك اربعة أشهر، فجعلت حراما وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم، وقال قتادة: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيما. ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء. وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا. واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر. فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل. وقال ابن عباس: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) أي لا تجعلوا حرامها حلالا، ولا حلالها حراما، كما فعل اهل الشرك. وهذا القول اختيار ابن جرير.

وجاء في تفسير ابن كثير أيضا: وقال سعيد بن منصور عن ابن عباس في قوله (منها أربعة حرم) قال: محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة. وقوله {صلى الله عليه وسلم} في الحديث «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» تقرير منه صلوات الله وسلامه عليه وتثبيت للأمر على ما جعله الله في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ولا نسيء ولا تبديل. كما قال في تحريم مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض. فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة»[١].

هذه النصوص والأقوال الشريفة من القرآن الحكيم والحديث الشريف وأقوال السلف الصالح تبين الحرمة الخاصة التى أولاها الشارع للأشهر الحرم الأربعة التى وضحتها هذه النصوص وذلك لحكمة عند الخالق مثلما أولاه الخالق جل وعلا من خصوصيات لأزمنة وأمكنة معينة كشهر رمضان ويوم الجمعة ويوم عرفة وأيام التشريق وليلة القدر، والبلد الحرام والحرم النبوي والمسجد الأقصى.

وحالة الأشهر الحرم هي إحدى الحالات التي أدركها الإسلام عند جاهلية العرب فأقرها نظرا لما فيها من موافقة للخير والحق وعدم التعارض مع اصل من أصول الدين الاسلامي.

وقد كان العرب قبل الاسلام ملتزمين بحرمة الأشهر الأربعة المذكورة صارمين في ذلك بالرغم مما عرفوا به من الثأرات والغارات وسرعة البطش. وهم أصحاب الأيام المشهورة المتعددة التى خلفت دواوين الشعر في الحماسة والتوعد والرثاء والتفجع..

فقد ورد في كتب التاريخ كالكامل والعمدة والعقد الفريد والمفصّل وأيام العرب أن طريف بن تميم العنبري كان قتل شراحيل الشيباني، فلقيه حصيصة بن شراحيل في عكاظ وجعل ينظر اليه ويتأمله ليتعرف عليه فيقتله بعد انصرام الأشهر الحرم. وفي ذلك يقول طريف:

أو كلما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا اليّ عريفهم يتوسم

وفعلا فقد قتله بعد ذلك وأوقع ببني تميم في يوم مبايض. وأنشد بعض بني شيبان:

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل
غرٌّ وأنت بمنظر لا تعلم

- ورثا طريفا عمرو بن سواد فقال:

لا تبعدن يا خير عمرو بن جندب
لعمري لمن زار القبور ليبعدا

وكان معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي قد تواعد مع هاشم بن حرملة المري على القتال ومع ذلك فقد انتظر حتى تنصرم الأشهر الحرم ليغير عليه يوم حوزة الأول حيث قتل معاوية، فجزع لذلك أخوه صخر جزعا شديدا. وأتى هاشم بن حرملة في رجب ليواعده على الغارة بعد الشهر الحرام. ومما قال في ذلك:

وعاذلة هبت بليل تلومني
ألا لا تلوميني كفى اللوم مابيا
وقالوا ألا تهجو فوارس من هاشم
ومالي وإهداء الخنائم ماليا
أبى الهجو أني قد أصابوا كريمتي
وأن ليس إهداء الخنا من شماليا[٢]

والمثل العربي المشهور «سبق السيف العذل» إنما سببه (ضبّة) الذي فتك بقاتل ابنه سعيد في

الشـهـر الحـرام. فـلامـوه على ذلك فـأجـابهم بـهـذا الجواب الذي صار مثلا.

وشذت عند العرب حروب الفجار بين قبائل من قيس كهوازن وبني عامر، وأخرى من كنانة كقريش وبني بكر بن مالك بن كنانة، التى وقعت في الأشهر الحرم. وقد تسمى أصحابها بالفجار لسوء ما فعلوه من انتهاك حرمة الأشهر المحرمة.

فـإذا كـانت هذه المناقب من الأخـلاق المحـمـودة لعرب الجاهلية. الذين طالما نضرب بهم الأمثال في السوء. فكيف لو قارنا ذلك بحال المسلمين وسلوكهم في هذا العصر الذي تعددت فيه خروقا تهم الشرعية وتنوعت بدرجة أصبحت معها حرمة الأشهر الحرم من آخر ما يفكر فيه من حرمات الشرع؟!

إن الدمـاء تنسكب على طول بلاد الاسـلام وعلى طول أيام السنة بسـبب الاقـتـتـال بين الأقطار الاسـلامـيـة والفـئـات المتناوئة وصـراعـات السلطة وتصـفـيـة الحـسابات. وبعضـهـا بسـبب الاحـتـلال الأجنبي والتـصـفـيـات التى يشـهـدها المسلمـون من طرف قوى الكفر. وللأسف فإن معظم الدماء دماء المسلمين. وللأسف الشـديد أن مـعظمـهـا بسـبب صراع المسلمين مع بعضهم البعض. الحروب تنتشر على خـارطة العـالم الاسلامي بشكل مختلف: منهـا الحـروب الأهليـة ومنهـا حـروب الحـدود وحـروب الانفـصـال وحـروب انقـلابات السلطة ومـحـاولات الانقـلاب أو مـحـاولات العـودة الى السلطة، وحـروب الإبادة العـرقـيـة، وحـروب الوحـدة، وحـروب الاستقلال.. دماء إسلامية تفيض على طول العام في الفيلبين وتيمور وسيلان والهند وتركستان وبورما وطاجيكستان وأفغانستان وأذربيجاف وباكستان وكشمير والخليج العربي وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والحبشة والقرن الافريقي والصحراء الكبرى والجزائر وأبخازيا والشيشان والبوسنة والهرسك.

فـهل يستطيع أبناء المسلمين إحيـاء هذه العـادة المجيدة وبعث هذه السنة المحمودة فيعقد المقتتلون هدنات سلمية لحقن الدماء على الأقل في الأشهر المحرمة. وأن يطبقوا ذلك حتى مع غير المسلمين ولو من جـهـة واحـدة، فـينال بذلك الأجـر وتحـيى السنة فـيغـاظ إبليس ويطبق الشـرع.. ويوظف خلق كـريم من أخلاق الاسلام الأصل فيه الشرع والقصد فيه الدعوة، فـتسـتـفـيـد الدعوة فضـلا عن حـقن دمـاء المسلمين.

الهوامش:

(١) ابن كثير: تفسير سورة التوبة.

(٢) أيام العرب في الجاهلية: محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم.

عبير الذكريات

ولله حج البيت، في خير دعوة
نلبي نداها، في فخار وعزة

فبعد صيام خالص ومطهر
أتانا نداء الله، في خير شرعة

ألا إن أنوار الحنيفة زادنا
لأجل ارتقاء النفس أعظم رتبة

وخير ابتداء الحج في الشرع دائما
شعور بتصميم، وإحضار نية

فتسعى الى البيت العتيق قلوبنا
تلبى إله الناس، في كل نبضة

فأول بيت قد أقيم لذكره
بناه خليل الله، صرحا بمكة

وأذن (ابراهيم) بالحج في الورى
أتاه حجيج الله، من كل بلدة

عبادة رب العالمين تعمنا
بخير وفضل، في ازدياد المودة

نقوم بها في كل عام، بما لنا
من الجهد والمال الوفير المبيت

تنادي علينا في الحجاز أماكن
لها ذكريات في النفوس المجدَّة

نودع كل الناس، نترك مالنا
من الأهل والأحباب، في خير رحلة

ونخلع ثوبا، قد تقادم عهده
لنصبح أكفاء، بحب وألفة

ونلبس ثوب الحج، فخرا بلبسه
ونذكر إجلالا، مقام النبوة

ونترك أهواء النفوس جميعها
وأولادنا، من أجل أقدس هجرة

ونطرح أعباء الحياة وراءنا
ونمضي جميعا، دون زهو وحلية

ألا إن تقوى الله - يا قوم - دربنا
فما أجمل التقوى، بأرفع ملة!

ألا إن خير الزاد، في العلم والتقى
وحج لبيت الله، في خير طلعة

وخير متاع المرء، تقوى تعينه
إذا عاد من حج، على أي كبوة

ألا إن دين الحق قد جاء للدنا

شعر : محسن عبد المعطي محمد عبد ربه – مصر

بخير وعدل، ثم إشراق رحمة

ألا إن مرضات الإله على الورى

إذا اتحدوا، في كل يسر وشدة

وخير امتثال للإله وشرعه

بخير اجتماع، في سرور وبهجة

على عرفات الله، كان لقاؤنا

فما أنفع اللقيا، بحسن الطوية

نشاور بعضا، كي يدوم رخاؤنا

وننسى خلاف الأمس، في خير كعبة

ونسعى بجد، واجتهاد موفق

ونمشي بنور الله، في خير قلعة

وتأتي علينا في الزمان حقائق

تساهم في خير، لأعظم أمة

ونجني ثمار الحب والعشق والذي

عرفناه بالإيمان، رمز المحبة

ونعرف معنى كل فرض بديننا

وندرك نبل الحق، من خير عصبة

ونسأل رب الناس، أن يهدي الورى

ونسعد بالتوحيد، في كل لحظة

ونرفع أصوات الهدى بدعائنا

عسانا ننال السعد، في خير فرصة

ونسكب عبر النور، بالشوق، دمعنا

ونكتسب التوجيه، من خير قبلة

ونختزن الطاقات، بين ضلوعنا

فيبقى لدينا، خير أعظم شحنة

الى الله أشكو أن (إسريل) أظهرت

عداء وكرها، نحو دين الحنيفة

وأن جميع المؤمنين بما لهم

من العز والسلطان، في كل جبهة

يمدون بالإرشاد (إسريل) دائما

بصبر وإيمان وحسن روية

لتنأى عن الإجرام، في حق ديننا

وتسمع صوت الحق، من كل مهجة

وتترك أفواج الضلال دروبها

وترضى به، دون انتساب لريبة

ولكن (زعيم السوء) يأبى، سذاجة

إجابة داعي السلم، في كل هجمة

الى الله أشكو، من تمزق شملنا

وغوص حقوق المسلمين، لفرقة

ويارب وفقنا، ولملم شعوبنا

وتوج جهود المسلمين، بوحدة

قصة نوح (عليه السلام)

٧١

الحلقة الأولى

المدة بين آدم ونوح عليهما السلام :

يذكر أصحاب السير والتاريخ أن بين آدم ونوح – عليهما السلام – عشر قرون . ولما جاء فى القصص النبوي عن أبى ذر – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم – : (أول الأنبياء آدم ، ثم نوح ، وبينهما عشرة آباء ...) وعن أبى أمامه – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم – : (نبي آدم ، وبينه وبين نوح عشرة قرون ، والرسل ثلاثمائة وخمسة عشر) (١) وقال ابن كثير (٢) : وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) . ولم أقف على هذا الحديث فى البخاري ، وفى رواية لابن سعد عن عكرمة ذكر النص السابق .

واختلف العلماء فى المراد بالقرن : أهو مئة سنة أم المراد به الجيل؟ قيل المراد بالقرن مئة وعشرون سنة، وقيل مئة سنة، وقيل ثمانون سنة، وقيل أربعون سنة . وقيل المراد بالقرن أهل زمان واحد وجمع قرن قرون يعنى أمما وخلائق. قال ابن كثير : والأظهر أن القرن هم الأمة المتعاصرون فى الزمن الواحد، إذا ذهبوا وخلفهم جيل فهم قرن آخر، كما ثبت فى الصحيحين : (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ..) الحديث (٣) ويقول أيضا : المراد بالقرن الجيل من الناس، كما فى قوله – تعالي : « وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح » (٤) وقوله : « ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » (٥) وقال – تعالي – : « وقرونا بين ذلك كثيرا » (٦) وقال : « وكم أهلكنا قبلهم من قرن » (٧) . فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة، فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين .

نسب نوح – عليه السلام – ومولده :

ورد نسب نوح – عليه السلام – فى التوارة فى كتاب التكوين، وفى كتب السير والتاريخ بصور متعددة نعتمد فيها على رواية ابن كثير فى قصص الأنبياء وهي :

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ – وهو إدريس – بن برد بن مهلاييل بن قينان بن شيث ابن آدم أبى البشر – عليه السلام .

ويقول الثعالبي (٨) (وهو نوح بن الملك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يزد بن قينان بن أنوش بن شيث – عليه السلام – وأمه أفينوس بنت راكيل، وقيل بنت كابيل بن مخوئيل بن أخنوخ) .

وفى مولده روايات : قيل إنه ولد بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، فيما ذكره ابن جرير وغيره . ويقول ابن كثير : (وعلى تاريخ أهل الكتاب يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة) . ويرى النجار (٩) ما ورد فى كتب التاريخ والتوراة اختلاف

بقلم : أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة - مصر

حيث جمع المدة بأنها تزيد عن المدة المذكورة وحيث تبلغ ست وخمسون وألف سنة .

قوم نوح :

تحدث القرآن الكريم عن قوم نوح في كثير من سور القرآن الكريم، مرة يذكر نوحا - عليه السلام - ومرة يذكره مع قومه وقصته مع قومه مفصلة في سور الأعراف ، ويونس، وهود، والمؤمنون، والشعراء، والعنكبوت، والصافات، والقمر، ونوح .

وفي عهد نوح كثرت ذرية آدم التي جاءت من ظهره، حيث ذكر الطبري (١٠) : أن حواء ولدت لآدم - عليه السلام - عشرين ومائة بطن، أولهم قابيل وتوءمته قليما، وآخرهم عبد المغيث وتوءمته أمة المغيث. وقال ابن كثير : ذكر أهل التاريخ أن آدم - عليه السلام - لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده، وأولاد أولاده أربعمائة ألف نسمة .

ولاشك أن الأعداد البشرية قد تضاعفت، لأنه بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام - كما سبق في الحديث - ومع تكاثر الخلق وتقادم العهد بالرسل شاعت عقيدة الشرك بعد فطرة الإسلام . قال البخاري (١١) : حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام عن ابن جريج، وقال عطاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمْدان، وأما نسْر فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت) .

وقال ابن حجر (١٢) : وذكر السهيلي في (التعريف) إن يغوث هو ابن شيث بن آدم فيما قيل، وكذلك سواع وما بعده، وكانوا يتبركون بدعائهم، فلما مات منهم أحد مثلوا صورته وتمسحوا بها إلى زمن مهلائيل، فعبدوها بتدريج الشيطان لهم. ثم صارت سنة العرب في الجاهلية ... وعن عروة بن الزبير: إنهم كانوا أولاد آدم لصلبه، وكان ود أكبرهم وأبرهم به. وهكذا أخرجه عمر بن شعبة في (كتاب مكة) عن طريق محمد بن كعب القرظي قال : كان لآدم خمس بنين فسماهم، قال: وكانوا عُبَّادا، فمات رجل منهم فحزنوا عليه. فجاء الشيطان فصوره لهم ثم قال للآخر إلى آخر القصة . وذكر ابن كثير مثل ذلك في تفسير سورة نوح. ويؤيد ذلك ما جاء في القصص النبوي في صحيح البخاري عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرت له ما رأت فيها من

الصور، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح – أو الرجل الصالح – بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله) .

ويتضح من قصة قوم نوح أن عقيدتهم فاسدة، وأن الشرك وعبادة الأصنام هي السمة الغالبة عليهم، وأنهم اتخذوا آلهة من دون الله، وأنهم ملأوا بهذه الأصنام السهل والجبل، حيث كانوا يسكنون. قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (١٣) : (ماعذّب الله قوم نوح إلا والأرض ملأى بهم وليس بقعة من الأرض إلا ولها مالك وحائز) .

ومع فساد عقيدة قوم نوح كانت لديهم الجرأة على نبيهم والتطاول عليه بالسب والشتم «قال الملأ من قومه إنَّا لنراك في ضلال مبين» (١٤) كذلك التكبر والتعالى عليه وعلى الذين اتبعوه « فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشرا مثلنا، ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا باديَ الرأي، ومانرى لكم علينا من فضل، بل نظنكم كاذبين» (١٥) وأنكروا نبوته وأنه يريد أن يتفضل عليهم، وبلغت بهم الوقاحة فقالوا: إنه مجنون «ماهذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم، ولو شاء الله لأنزل ملائكة، ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين. إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين» (١٦) وسخروا من دعوة نوح – عليه السلام – وأصروا على وصفه بالجنون والكذب، وكلما اقترب منهم لدعوتهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وَازْدُجِر» (١٧) وقد وصفهم الله بأنهم قوم سوء لاتفيد فيهم النصيحة وأنهم يستحقون الهلاك «ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا، إنهم كانوا قوم سَوْءٍ فأغرقناهم أجمعين» (١٨) .

قيل (١٩) إن قوم نوح كانوا فى يوم عيدهم ينصبون أصنامهم على أسرتها وكراسيها، ويقربون القرابين لها، ويخرون لها سجدا، ويشربون الخمر، ويضربون بالصنج، ويأتون النساء كالبهائم من غير تستر، يفعل ذلك جموع كثيرة تزيد على تسعين زمرة، كل زمرة لايحصون كثرة، فشاع فيهم المنكر والفساد، واختفت القيم والأخلاق. وذكر ابن كثير عن ابن جبير وغيره أن قوم نوح يقال لهم : بنو راسب .

بعثة نوح – عليه السلام – :

أرسل الله نوحا – عليه السلام – وفى القصص النبوي (٢٠) عن ابن عباس – رضى الله عنهما – عن النبى صلى الله عليه وسلم – : (بعث الله نوحا لأربعين سنة، ولبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا) وروى ابن عساكر عن أنس – رضى الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (أول نبى أرسل نوح) وفى قصة عن أبى ذر – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم – : (أول الأنبياء آدم، ثم نوح، وبينهما عشرة آباء ..) وعن أبى

أمامة عن النبى – صلى الله عليه وسلم – : (نبى آدم، وبينه وبين نوح عشرة قرون، والرسل ثلاثمائة وخمسة عشر) ومما يؤكد نبوة آدم، وأنه سابق على نوح – عليه السلام – وماروى عن أبى ذر – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليـــه وسلم – : (أول الرسل آدم وآخرهم محمد ..) (٢١) قال المناوى: ولا تعارض من أن أولهم آدم، لأن نوحــا أرسل إلى الكفــار وآدم أول رسـول إلى بنيـه، ولم يكونوا كـفـارا، ثم نوح هو أحـد أولى العزم الخمسة الذين هم أفضلهم .

وقال ابن كثير فى قصص الأنبياء : وبالجملة فنوح – عليه السـلام – إنما بعثه الله – تعـالي – لما عبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس فى الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما يقول أهل الموقف يوم القيامة.

وكـان قـومـه يقـال لهم بنو راسب فـيـمـا ذكـره ابن جبير وغيره .

واختلفوا فى مقدار سنه يوم بعث، فقيل كان ابن خمسين سنة، وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة ، وقيل ابن أربعـمـائة وثمـانين سنة، حكاها ابن جـرير، وعـزا الثـالثـة إلى ابن عبـاس والحديث الذى أشـار إليـه ابن كـثيـر رواه البـخـاري عن أبى ذُرعـة عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: (كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – فى دعوة، فرفعت إليه الذراع ..) إلى أن قال (فـيـأتون نوحـا فـيـقـولون: يانوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسمـاك الله عبدا شكورا. أما ترى إلى مانحن فـيـه؟ ألا ترى إلى مـابلغنا؟ ألا تشـفـع لنا إلى ربك؟ ..) الخ .

– للبحث صلة –

الهوامش :

(١) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣٢٠ .
(٢) قصص الأنبياء ص ٦١ .
(٣) جـ ٣ ص ٤٢٣ .
(٤) سورة الإسراء آيه ١٧ .
(٥) سورة المؤمنون آيه ٣١ .
(٦) سورة الفرقان آيه ٣٨ .
(٧) سورة مريم آيه ٩٨ .
(٨) قصص الأنبياء ص ٣٢ .
(٩) قصص الأنبياء ص ٤٥ .
(١٠) تاريخ الطبرى جـ ١ ص ١٤٥ وقصص الأنبيـاء ص ٥٢ .
(١١) فتح البارى جـ ٨ ص ٦٦٧ .
(١٢) المرجع السابق .
(١٣) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٠٠ .
(١٤) سورة الأعراف آيه ٦٠ .
(١٥) سورة هود آيه ٢٧ .
(١٦) سورة المؤمنون آيه ٢٤ – ٢٥ .
(١٧) سورة القمر آيه ٩ .
(١٨) سورة الأنبياء آيه ٧٦ – ٧٧ .
(١٩) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٤٣ .
(٢٠) منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٣٢٠ – ٣٢٣ .
(٢١) أيضـا فى فـيض القـدير جـ ٣ ص ٩٦ – ٩٧ وحديث (أول الرسل آدم) قال السيوطى ضعيف .

ولاة البلد الأمين

كنت قد توقفت في الحلقة الماضية بأن ولاية الأباطح المكية المشرفة آلت الى **الأمير عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الأموى** رحمة الله عليه وأنه لبث فيها نحواً من ثلاث سنوات ثم عزل عنها. فخلفه عليها:

- **الأمير عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشي** رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١٢٩ من الهجرة النبوية المباركة. وكان إليه الحرمان الشريفان فحج من سنته فخرج عليه وهو بعرفات عصابة أبي حمزة الاباظي الذي يدعو الى الخروج على بني أمية.. فانحدر الأمير عبد الواحد الى منى ثم الى أن خرج منها في يوم النفرة الأولى فقيل فيه:

زار الحجيج عصابة قد خالفوا
دين الاله ففر عبد الواحد
ترك الحلائل والامارة هاربا
ومضى يخبط كالبعير الشارد
لو كان والده تنصل عرقه
لصفت موارده بعرق الوارد

وكان رجلا كريماً ودوداً جواداً وقد مدح بقصائد تدل على مكارم أخلاقه رحمة الله عليه وكانت مدة ولايته نحوا من بضعة أشهر فخلفه الخارجي أبو حمزة الاباظى ثم قتل في معركة حدثت بين جيوشه وجيوش بنى أمية بقيادة القائد:

- **الأمير عبد الملك بن محمد بن عطية بن عروة السعدي من بنى سعد بن بكر** فتولى امارة الحرمين الشريفين بعد قضائه على فتنة الخوارج ودام عليهما نحواً من بضعة أشهر ثم اقام مقامه على البلد الأمين رجلا يدعى:

- **الأمير رومي بن ماعز الكلابي** رحمة الله عليه.

وهو أحد أفراد الجيوش الذين قدموا من الشام ولم يلبث كثيراً حتى خلفه:

- **الأمير محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشي** رحمة الله عليه. فى موسم حج سنة ١٣٠ من الهجرة المباركة خلفا للأمير عبد الملك بن عطية السعدي في امارة الحرمين الشريفين. ولبث عليهما نحواً من سنة واحدة وقد وصفه العلامة أبو محمد بن حزم في جمهرة أنساب العرب بأنه كان رجلا عابداً وَرِعاً ناسكا. ثم عزل وخلفه عليها:

- **الأمير الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدى** رحمة الله عليه.

في سنة ١٣١ من الهجرة الشريفة حج بالناس من سنته على خلاف في ذلك. وكان هو آخر أمراء بنى أمية على الحرمين الشريفين ومن بعده دخلت



بقلم : **السيد ضياء محمد عطار** - المدينة المنورة

الأقطار الحجازية والحرمان الشريفان الى مرحلة جديدة في خلافة دولة بني العباس فأول وال من قبل الخلافة العباسية كان هو:

- **الأمير داود بن علي بن عبد الله** بن عم النبي {صلى الله عليه وسلم} العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي رحمة الله عليه.

وكان ذلك في سنة ١٣٢ من الهجرة المباركة وكان اليه ولاية البلد الحرام ومدينة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام. وابتدأ ولايته بخطبته في المسجد الحرام ثم هدم الفسقية التى احدثها الأمير خالد بن عبد الله القسْري وكانت بجوار زمزم وكان الناس يستقون منها. وهدم البركة التى كانت عند باب الصفا وصرف ماء العين الى بركة كانت عند باب المسجد الحرام فسر الناس بهذا الاجراء سروراً عظيما، كما ذكر ذلك الامام أبو الوليد الأزرقي في كتابه أخبار مكة. وبدأ بالانتقام من بقايا بنى أمية وقتل من قدر عليه منهم وكان الأمير داود رجلا فصيحا مفوهاً خطيبا بليغا روى له أئمة الحديث مثل الامام البخارى والامام الترمذي في صحيحيهما حسبما ذكره العلامة عز الدين بن فهد الهاشمى في كتابه غاية المرام في سلطنة البلد الحرام.

وتوفي في سنة ١٣٣ من الهجرة وهو عليها فكانت مدة ولايته للحرمين الشريفين نحواً من ثلاثة أشهر حسبما حددها الامام ابن كثير القرشى في البداية والنهاية. وبعده خلفه ابنه:

- **الأمير موسى بن داود بن على بن عبد الله العباسى الهاشمي** رحمة الله عليه.

وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٣ للهجرة وكانت ولايته بوصية من والده وليس من الخليفة. والله أعلم بما لبث فيها ولكنها لا تعدو أن تكون اكثر من شهر فخلفه عليها.

- **الأمير زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثى** خال أمير المؤمنين.

وكان ذلك في الربع الثاني تقديرا من سنة ١٣٣ للهجرة المباركة وكان اليه أمر الحرمين الشريفين. وكان مقامه بمدينة سيد الورى صلوات الله وسلامه عليه تترى. وكان ينوب عنه بالبلد الأمين ابن أخيه:

- الأمير على بن الربيع الحارثى رحمة الله عليه وكان اليه الطائف من مكة شرفها الله فلم يزل الأمير على بن ربيع ينوب عن عمه أمير الحرمين الشريفين زياد بن عبيد الله الحارثي حتى عزله الخليفة وسيره أميراً على اليمن وذلك في سنة ١٣٥ من الهجرة وكانت مدة ولايته لا تزيد عن سنتين.

غير أن الإمام الفاسى لم يتعرض له بذكر في شفاء الغرام ولا العلامة عز الدين بن فهد الهاشمى في غاية المرام. وأعتقد أنه قد خلفه في امارة البلد الحرام:

- **الأمير عمر بن عبد الحميد العدوي القرشي** رحمة الله عليه.

وقد وضحت هذا الاعتقاد في كتابى جلاء العينين بشيء من التحليل التاريخى ومن المؤكد في سنة ١٣٥ من الهجرة الشريفة كانت ولاية الديار المكية المشرفة:

- للأمير **العباسى بن عبد الله بن معبد** بن عم النبي {صلى الله عليه وسلم} العباس بن عبد المطلب العباسى الهاشمي القرشي رحمة الله عليه.

وكان الأمير العباس رجلا فاضلا صالحاً فقيها فلم يزل عليها حتى توفى بها في سنة ١٣٧ من الهجرة بعد انقضاء موسم الحج. وهو ممن توفى بمكة شرفها الله من ولاتها ومن المعلوم أن الأمير زياد بن عبيد الله الحارثى قد أعيد الى ولاية البلد الأمين في سنة ١٣٨ من الهجرة المباركة واستمر حتي سنة ١٤١ للهجرة.

وكان نائبه أيضا بالبلد الحرام:

- **الأمير اسماعيل بن أيوب المخزومي** رحمة الله عليه.

فيما يعتقد ولكن مدة ولايته غير معلومة ولا تزيد عن بضعة أشهر حسب اعتقادي. ثم خلفه عليها:

- **الأمير هيثم بن معاوية العتكى الخراساني** رحمة الله عليه.

حيث تولاها في أواسط سنة ١٤١ من الهجرة النبوية المباركة. وجاءت ولايته في أعقاب عزل الأمير زياد الحارثى عن الحرمين الشريفين ولم يزل على امارة البلدة المحرمة حتى سنة ١٤٣ من الهجرة ثم عزل عنها وكانت مدة ولايته نحواً من سنتين. ثم خلفه على البلد الحرام:

- **الأمير السرى بن عبد الله بن الحارث بن سيدنا العباس بن عبد المطلب العباسى الهاشمي القرشي** رحمة الله عليه.

وكانت ولايته في سنة ١٤٣ من الهجرة. كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وكان الأمير السرى غاية في الكرم والعطاء وكان جواداً وفيه قال الشاعر يمدحه:

راح السرّى وراح الجود يتبعه
وانما الناس منموم ومحمود
لقد تروح اذ راحت ركائبه
عن أهل حجر ورب الكعبة الجود
من كان يضمن للسُّؤال حاجتهم
ومن يقول اذا أعطاهمو جودوا

وقال الشاعر حسين بن شوذب الاسدى فيه:

إن السرى بن عبد الله قال لنا
خيراً وكان وفيا بالذى زعما
وما رأيتك في قوم وان كثروا
الا تبينت في عرنينك الكرما
نلقاك في الأمر حمالا أخا ثقة
وفي الهزاهز ليثا يضرب البهما

واستمر في ولايته من سنة ١٤٣ من الهجرة

حتى ظهور السيد محمد ذى النفس الزكية الحسنى رحمة الله عليه في سنة ١٤٥ من الهجرة وتغلب على الحرمين الشريفين فكانت فتنة زال سحابها بعد خمسين يوماً تقريباً ثم عاد الأمير السرى بن عبد الله رحمة الله عليه الى ولايته للبلد المقدسة واستمر عليها حتى أواخر سنة ١٤٥ من الهجرة الشريفة وكانت مدة ولايته نحواً من ثلاث سنوات وبعده تولى امارة أم القرى:

- **الأمير عبد الصمد بن على بن حبر الأمة عبد الله بن سيدنا العباس بن عبد المطلب بن هاشم العباسي الهاشمي** رحمة الله عليه.

وذلك في سنة ١٤٦ من الهجرة وكان اليه ولاية مكة شرفها الله مع الطائف كما ذكره الامام الفاسى فى شفاء الغرام وهو الذى بنى الدرج على مصاعد جبلي الصفا والمروة ولم يكن ذلك من قبل بهما كما ذكره الامام الازرقي في اخباره ولم يزل عليهما حتى عزل عنها في سنة ١٤٩ من الهجرة حيث قال العلامة ابن كثير القرشي في تاريخه البداية والنهاية عن سنة ١٤٩ من الهجرة وفيها حج بالناس محمد بن ابراهيم بن على وولاه المنصور على مكة والحجاز عوضا عن عمه عبد الصمد بن على انتهى. وكانت مدة ولايته نحواً من اربع سنوات. وذكر الامام الفاسى في شفاء الغرام أنه كان عليها في سنة ١٥٧ من الهجرة فإن صح ذلك فإنها قد تكون ولاية ثانية له غير هذه. ولكننى أرى أن الخبر فيه شيء من الضعف لأن الأمير عبد الصمد بن على كان على المدينة المنورة من سنة ١٥٥ من الهجرة وحتى سنة ١٥٩ من الهجرة حسبما ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه وقد خلفه على البلد الأمين في ١٤٩ من الهجرة:

- **الأمير محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس العباسي الهاشمي** رحمة الله عليه.

كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام. وكان الأمير محمد بن ابراهيم الامام رجلا فاضلا من فضلاء بنى هاشم وبنى العباس الذين تولوا البيت الحرام وقد مدحه الشاعر على بن عاصم الاصفهانى بقصيدة له قال فيها:

إقض عنى يابن عم المصطفى ... أنا بالله من الدين وبك

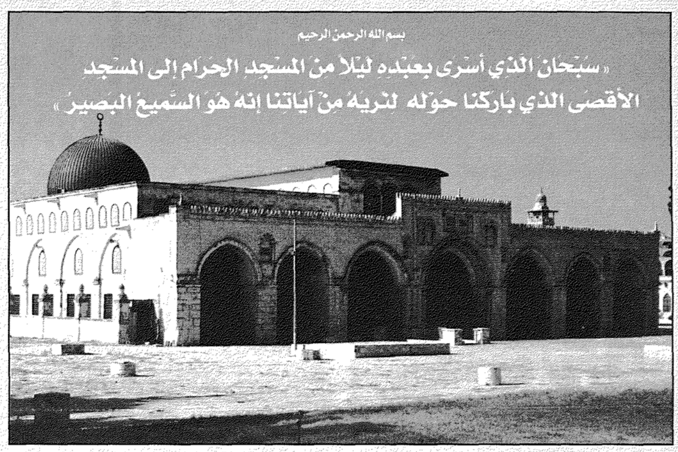
من غريم فاحش يقذرني ... أشوه الوجه لعرض منتهك

أنا والظل وهو ثالثنا ... أين مازلت من الارض سلك

ذكر ذلك الإمام الفاسي في العقد الثمين.

وكانت مدة ولايته تسع سنوات وقد حج بالناس في بعض هذه السنين. وعاد لولاية الحرمين الشريفين للمرة الثانية في سنة ١٧٨ من الهجرة في خلافة أمير المؤمنين الرشيد رحمة الله عليهم أجمعين. والله تعالى أعلم.

- للبحث صلة -



المسجد الأقصى

حقائق عن المسجد الأقصى المبارك

الحقيقة: الشيء الثابت يقيناً. وعند اللغويين: ما استعمل في معناه الأصلي، وحقيقة الشيء: خالصه وكنهه. وحقيقة الأمر: يقين شأنه. والجمع: حقائق[١].

هذه الكلمات توطئة مقتضبة للحديث عن بعض الجوانب المتعلقة بأولى القبلتين وثالث المسجدين الشريفين ومسرى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ومعراجه، ومُصلّى الأنبياء جميعا ليلة الإسراء.

وقد نوّه القرآن الكريم بمكانة المسجد الأقصى وأشاد بمنزلته في قول الله تعالى: **{سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير}** (الإسراء/١).

والمسجد الأقصى هو المسجد المعروف في مدينة القدس، وقد بني على سفح الجبل، ويسمى بيت المقدس، أي البيت المطهر الذي يتطهر فيه من الذنوب.

ويسمى الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة.

وقد ذكر «الزركشي» (ت ٧٩٤هـ) في كتابه

بقلم : **أحمد بن مسفر العتيبي**
المدرس بمركز ومدرسة المظليين وقوات الأمن الخاصة - السعودية

«إعلام الساجد» سبعة عشر اسماً تطلق على المسجد الأقصى، من اشهرها: مسجد إيلياء: وقيل في معناه: بيت الله. وروي عن كعب الأحبار أنه كره أن يسمى بيت المقدس بـ (إيلياء)، وقد حكى ذلك الواسطي في فضائله ومن اسمائه: بيت المقدس: بفتح الميم وإسكان القاف - أي المكان الذي يطهر فيه من الذنوب، والمقدس: المطهَّر.

ومن أسمائه: البيت المقدَّس: بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة - أي المطهر، وتطهيره: إخلاؤه من الأصنام.

وقد أوصل «الجراعي» (ت ٨٨٣هـ) أسماء المسجد الأقصى الى (٢٢) اسماً كما في كتابه «تحفة الراكع والساجد».

وقد صنَّف العلماء الأسلاف في أخبار المسجد الأقصى وفضائله وتاريخه مصنفات فريدة، ودواوين عديدة، من أشهرها: «اتحاف الأخصاء بفضائل المسجد الأقصى» لابن أبي شريف (ت ٩٠٦هـ)، و«بهجة الدماثة لما ورد في فضل المساجد الثلاثة» لابن فهد (ت ٩٥٤هـ)، و«المستقصى في أخبار المسجد الأقصى» للعلمي (ت ٩٤٨هـ)، وغيرها كثير[٢].

والحقائق التي ينبغي على كل مسلم أن يؤمن بها ويُسلِّم بمعرفتها - في شأن المسجد الأقصى عديدة - يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أولا: التعريف بالمسجد الأقصى:

هو جامع كبير يقع في الجهة القبلية من ساحة المسجد الأقصى الشريف في مدينة القدس، وقديما كان يطلق اسم المسجد الأقصى على كل ما بداخل سور المسجد القدسي الشريف، يمتد بناؤه من جهة القبلة الى الشمال في سبعة أروقة متجاورة مرتفعة على الأعمدة الرخامية والسواري التي تضم (٣٣) عموداً و(٤٠) سارية مبنية بالحجر.

للمسجد عشرة أبواب تؤدي الى الساحة العامة للمسجد القدسي الشريف، سبعة منها جهة الشمال وباب من الشرق وآخر في الغرب والباب الأخير في جامع النساء[٣].

وقد وقع كثير من الكتاب والمؤرخين في خطأ شنيع في وصف المسجد الأقصى؛ حيث يصفونه بـ «ثالث الحرمين» و«الحرم القدسي». ومعلوم أن الألقاب والأوصاف الشرعية مبنية على التوقيف. ولم يطلق الشرع الحكيم صفة الحرم إلا على ثلاثة أماكن، اثنان منهما حرم باتفاق المسلمين، وهما: حرم مكة، وحرم المدينة. والثالث: «وج» وهو وادٍ بالطائف، وفيه حديث رواه أحمد في مسنده، من حديث يعلى العامري، وهو حرم عند الشافعي، لاعتقاده صحة الحديث، وليس حرماً عند أكثر العلماء.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - «وليس ببيت المقدس مكان يسمى حرماً، ولا بتربة الخليل»[٤].

ثانيا: فضائله وأحكامه:

يمكن اجمال فضائله في ست نقاط:

١ - أنه القبلة الأولى للمسلمين: فإليه كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم قبل أن تحول القبلة الى الكعبة

المشرفة. وقد أشار القرآن الكريم الى أن المتوجه الى بيت المقدس كان ابتلاء من الله، ليعلم سبحانه من يتبع رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ممَّن يرتدّ على عقبيه، فقال سبحانه: {**وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**} (البقرة/١٤٣).

وقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث البراء بن عازب أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] كان أول ما قدم المدينة، نزل على أجداده - أو أخواله - من الأنصار، وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت».

٢ - الإسراء إليه والمعراج منه :

قبل الهجرة النبوية أسرى برسول الله [صلى الله عليه وسلم] - بجسده على الصحيح - من المسجد الحرام الى بيت المقدس، راكباً على البراق، صحبه جبريل عليهما الصلاة والسلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة باب المسجد. وقد نزل في ذلك قول الله تعالى: {**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**} (الاسراء/١).

وقد فصّل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] الحديث عن قصة الإسراء والمعراج، وذكر ما اشتملت عليه من المعجزات، كما في صحيحي البخاري ومسلم من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

٣ - شد الرحال إليه :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» متفق عليه.

٤ - مضاعفة الصلاة فيه :

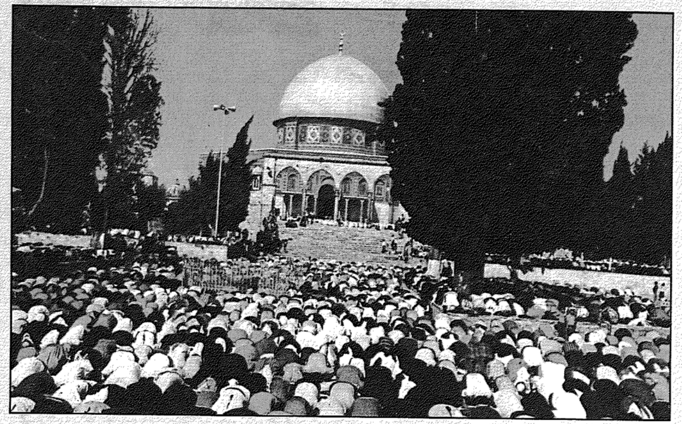
عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قال: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة» أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب وعزاه الى الطبراني وابن خزيمة والبزار، وقال البزار: إسناده حسن. وقال الجراعي: ورد أن الصلاة فيه بخمسمائة، وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: إنه الصواب.

٥ - كونه ثاني مسجد في الأرض :

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله [صلى الله عليه وسلم] عن أول مسجد وضع في الأرض، قال: «المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاماً» متفق عليه.

٦ - مباركة الأرض حوله :

أخبر الله تعالى عن المسجد الأقصى أنه بارك حوله في قوله تعالى: {**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**} (الإسراء/١)، وفي الآية تأويلان: أحدهما أنه مبارك بمن دفن حوله من الأنبياء المصطفين الأخيار، والثاني: بكثرة الثمار ومجاري الأنهار.



قبة الصخرة

وقد قال الله سبحانه: {**باركنا حوله**} ولم يقل: باركنا عليه أو فيه، والجواب عن ذلك: أنه سبحانه قال: {باركنا حوله} لتكون بركته أعم وأشمل، فإنه أراد بما حوله ما أحاط به من أرض الشام وما قاربه منها، وذلك أوسع من مقدار بيت المقدس، ولأنه إذا كان هو الأصل، وقد بارك في لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مباركاً فيه بالطريق الأولى بخلاف العكس، وقيل أراد سبحانه البركة الدنيوية كالأنهار الجارية والأشجار المثمرة، وذلك حوله لا فيه[٥].

ومن الأحكام المتعلقة بالمسجد الأقصى: كراهة استقباله واستدباره بالبول والغائط، والحذر من اليمين الفاجرة فيه، واستحباب اقامة صلاة العيد فيه قياساً على الحرمين الشريفين. وهذه الأحكام لم ترد فيها أحاديث مرفوعة، بل وردت فيها آثار وأقوال سته عن ابن عمر ومعاذ وكعب الأحبار رضي الله عنهم أجمعين[٦].

ثالثاً : بناؤه وتأسيسه :

شاع عند كثير من المؤرخين والمصنفين نسبة بناء المسجد الأقصى إلى داود أو سليمان أو يعقوب عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذه النسبة فيها «أغاليط كثيرة، وقد راجت وشاعت حتى أصبحت من المسلَّمات اليقينيات!».. وكل الآثار التي استدل بها بعض الكتبة على بناء الأنبياء المذكورين آنفاً للمسجد الأقصى إما ضعيفة أو موقوفة، وبعضها يعزى إلي الإسرائيليات!.

وقد زعم بعض المصنفين أن ابراهيم عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى، واستدلوا على ذلك

بحديث أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال: «قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أوّل؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة» متفق عليه.

ووجه الدلالة عندهم أن المسجد الأقصى من بناء إبراهيم لأنه حُدد بمدّة هي من مدة حياة ابراهيم عليه السلام، وقد قرن ذكره بذكر المسجد الحرام.

وقد أشكل هذا الحديث على بعض العلماء كابن الجوزي فقال: إنه معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى الأقصى كما رواه النسائي باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو يرفعه: أن سليمان بن داود لما بني بيت المقدس سأل الله ثلاثاً... ومنها: وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه. وسليمان بعد ابراهيم كما قال أهل التاريخ بأكثر من الف عام. وأجاب الزركشي: بأن سليمان عليه السلام إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق بعد بناء ابراهيم الكعبة بهذا القدر[٧].

وكلام ابن الجوزي والزركشي مُتَعَقَّبٌ من وجوه:

الأول: أن رواية عبد الله بن عمرو هذه جاءت بطرق أخرى في بعض ألفاظها اختلاف، منها ما أخرجه أحمد في مسنده مرفوعاً: «وسأله: أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد» وليس في متن الحديث أن سليمان عليه السلام بنى المسجد، وليس فيه لفظ البناء، أو أنه طلب من الله ما طلب عندما نهاه، فهو يشير الى المسجد (هذا المسجد)، فيحتمل أنه يريد مسجد بيت المقدس الذي كان مبنياً من قبل، لأنه لم يقل إنه بناه، ويحتمل أنه أراد مسجداً بناه بجوار قصره!

الثاني: أورد الخطيب البغدادي بسنده هذا الحديث إلى عبد الله بن عمرو مرفوعاً وفيه: «من أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه أن يغفر له». وليس في هذه الرواية أن «سليمان عليه السلام» بنى المسجد الأقصى، وإنما فيه إشارة الى البيت، وهذا يدل على أنه كان مبنياً فأشار إليه أو الى موقعه القديم.

الثالث: رواية النسائي التي ساقها ابن الجوزي فيها زيادة ليست في الروايات الأخرى، ومنها: «حين فرغ من بناء المسجد» ولم يقل المسجد الأقصى، أو مسجد بيت المقدس. وعلى فرض أن الإشارة الى المسجد الأقصى فإنه يعارض ما جاء في الصحيح أن بين بناء مسجد القدس، وبناء مسجد مكة أربعين سنة. ولو فرضنا أن ابراهيم بنى الكعبة، فإن بين ابراهيم وسليمان، حوالي الف سنة، فكيف وقد صح أن الكعبة أسست قبل إبراهيم عليه السلام[٨].

الرابع: ابراهيم عليه السلام لم يبن المسجد الأقصى بناء تأسيس، وإنما بناه بناء تجديد وتوسعة، كما أنه لم يبن البيت الحرام، وإنما رفع قواعده كما في قول الله تعالى: **{وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل}** (البقرة/ ١٢٧) والذي بنى أساس البيت الحرام هو آدم عليه السلام، وقد قال ابن حجر - رحمه الله تعالى - «فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس».

وقال الخطابي: «يشبه أن يكون المسجد الأقصى أول من وضع بناءه بعض أولياء الله، قبل داود وسليمان».

وقال ابن حجر أيضاً: وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلا من المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب «التيجان» أن

آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير الى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه ونسك فيه»[٩].

الخامس : قول الزركشي: والذي أسسه هو يعقوب بن اسحاق، هذا القول متلقى عن بعض الأخبار الإسرائيلية، والشواهد التاريخية والجغرافية تأبى هذا المعنى. وقد قال بعض أهل العلم: إذا حسبنا الزمن بين رفع قواعد الكعبة على يد ابراهيم وإسماعيل ، واحتمال بناء يعقوب المعبد - الذي أورده بعض المؤرخين - فإنه لا يكون أربعين سنة[١٠].

رابعا: هيكل سليمان عليه السلام لم يبن في بقعة المسجد الأقصى:

هيكل سليمان: أهم مبنى للعبادة اليهودية في فلسطين، شيده سليمان عليه السلام، وأنفق في بنائه أموالا طائلة. وكان الهيكل في أول أمره خيمة من خشب، وله عند اليهود منزلة عظيمة في نفوسهم، وشاء الله أن يهدم البابليون الهيكل في التاسع من آب (٥٨٦ ق.م)، ثم أعيد بناؤه عام (٢٥١ ق.م)، ولكن الرومان حطموه عام (٧٠م)، ولليهود في أمر الهيكل ووصفه أخبار تطول ليس هذا محل بسطها[١١].

وقد زعم اليهود قديما وحديثاً أن الهيكل الذي بناه سليمان كان في موقع المسجد الأقصى، وهذا الزعم لا دليل عليه، إذ خلت أرض المسجد الأقصى من كل ما بناه سليمان عليه السلام، لأن الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام انهدم واحترق، ونقل تراثه بعد موت سليمان بثلاثة قرون تقريبا، عندما غزا بُخْتُنصَّر مدينة القدس سنة (٥٨٩ ق.م)، ودمر مدينة أورشليم وأسوارها وهيكلها وأحرقها بالنار، ونهب خزائنها، وأجلى سكانها إلى بابل.

وقد ذكر «بوست جورج» في (قاموس الكتاب المقدس) أن كنيسة العذراء، التى بنيت في عهد «يوستينات» هي موقع الهيكل. والتواريخ اليهودية القديمة التى وصفت هيكل سليمان عليه السلام لم تحدد المكان الذي بني فيه، بل إن بعضها تعتقد أن الهيكل بني فوق جبل (جرذيم) في ظاهر نابلس[١٢].

أما اعتداء اليهود على المسجد الأقصى وقيامهم بالحفر عند سوره والمناطق الملاصقة للحائطين الجنوبي والغربي، مما تسبب في تغلغلهم إلى مسافة (٢٣٠م) أسفل المسجد وعقارات الوقف الإسلامي التابعة له، كل هذا ليس من أجل استخراج الهيكل كما زعموا، بل هم يهدفون من وراء ذلك الى إزالة المسجد الأقصى ونسفه من الوجود!.

وفي سنة (١٩٨١م) أعلن اليهود أنهم توصلوا من خلال حفرياتهم الى نفق يمتد تحت المسجد الأقصى، يصل ما بين أسفل حائط المبكى وقبة الصخرة المشهورة، وزعم بعض الحاخامات أن هذا النفق هو أقدس الأماكن اليهودية، وأنه أهم من حائط المبكى، إذ هو على حد زعمهم - بوابة «كيفونوس» الواردة في كتاب التلمود[١٣].

خامسا : تصحيح أغاليط مشهورة تتعلق ببيت المقدس:

أ - اطلاق لفظ «بيت إيل» على بيت المقدس:

وهذه التسمية جاءت من الإسرائيليات، ومن أطلقها على بيت المقدس فقد أبعد النجعة، لأن «بيت إيل» بعيدة عن بيت المقدس، حيث تقع في منطقة (رام الله)[١٤].

ب - الاعتقاد في صخرة بيت المقدس:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أن بعض الناس يتخذون «الصخرة» قبلة يصلون إليها، ويطوفون بها، وبعضهم يرى مشروعية ذبح الأضحية عندها، ويسافر إليها بعد عشية يوم عرفة، وكل هذا من

الضـــلال والإبتـــداع في دين الله، وبعض المؤرخين يطلقون عليها «الصخرة المقدسة» لأن جبريل عليه السلام عرج بمحمد {صلى الله عليه وسلم} من عندها، والأولى عدم اضافة وصف «المقدسة» للصخرة، لأن التقديس: التعظيم، ولا وجه في الشرع لتعظيم ما لم يعظمه الله ورسوله {صلى الله عليه وسلم}.

ولما فتح عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بيت المقدس في سنة خمس عشرة من الهجرة، وكان على الصخرة زبالة عظيمة، لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون إليها، فأمر عمر ـ رضي الله عنه ـ بإزالة النجاسة عنها، وقال لكعب الأحبار: أين ترى أن نبني مصلى المسلمين؟ فقال: خلف الصخرة! فقال: يا بن اليهودية، خالطتك يهودية، بل أبنيه أمامها، فإن لنا صدور المساجد.

قال شيخ الإسلام: ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر، وقد روي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه صلى في محراب داود ـ عليه السلام ـ وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر ـ رضي الله عنه ـ ولا الصحابة، ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان، ولكن لما تولى ابنه عبد الملك، الشام، ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة، كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير، فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير، فبنى القبة على الصخرة، وكساها في الشتاء والصيف، ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس، ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير[١٥].

ج ـ اعتقاد وجود قدم الله تعالى على الصخرة، أو قدم الرسول {صلى الله عليه وسلم}، وأثر عمامته:

يعتقد بعض العامة من الجهال وغيرهم بوجود موضع قدم الرب تعالى على صخرة بيت المقدس، وبعضهم يعتقد وجود أثر قدم الرسول {صلى الله عليه وسلم}، وأثر عمامته. ويحدث التبرك والغلو في تلك المواضع مما لا يقره الله تعالى ولا رسله عليهم الصلاة والسلام. وكل من زعم بوجود ما تقدم فقد تكلف ما لا علم له، ونسب إلي دين الله ما لم يقع[١٦].

د ـ إعتقاد وجود الصراط والميزان عند الصخرة، أو أن السور الذي يضرب به بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني شرقي المسجد، أو اعتقاد تعظيم السلسلة.

وكثير من الخواص والعوام يعتقد مثل ذلك، ولم يرد نص صحيح في ثبوت ذلك، ولا يشرع تعظيم تلك الأماكن عند عدم وجود الدليل. وقد تناقل بعض الرحالة المسلمين ما شاع بين كثير من الناس كتسمية وادي «قدرون» في بيت المقدس بـ «وادي جهنم» لاعتقادهم أن عيسى عليه السلام رفع منه، وعليه ينصب الصراط!!.

قال ناصر خسرو الذي زار القدس عام (٤٣٨هـ): وقد سألتُ: من أطلق هذا اللقب على وادي جهنم؟ فقيل: إن عمر رضي الله عنه أنزل جيشه في سهل الساهرة ـ أرض شمال القدس، وفيها مقبرة للمسلمين ـ فلما رأى الوادي قال: هذا وادي جهنم!، قال: ويقول بعض العوام: إن من يذهب الى نهاية الوادي يسمع صياح أهل جهنم، فإن الصدى يرتفع من هناك. قال: فذهبتُ فلم أسمع شيئاً»[١٧].

ومن المؤكد أن مثل هذه الأخبار متلقى عن عقيدة اليهود والنصارى، إضافة الى أحاديث القُصّاص والأخباريين.

هـ ـ تعظيم كنيسة القيامة:

وقد أنشأها النصارى في المكان الذي يعتقدون أن المسيح ـ عليه السلام ـ صلب ودفن فيه!!، ومن أجل ذلك أطلقوا على هذه الكنيسة «كنيسة القيامة» أي أن المسيح ـ عليه السلام ـ قامت قيامته في ذلك الموضع، والمسلمون يطلقون عليها «كنيسة القمامة» لأنها كانت مزبلة ترمى فيها الأوساخ والأقذار. هذه الكنيسة من أهم الأماكن الدينية في جميع أنحاء العالم، يحج اليها

النصارى من جميع الأقطار النصرانية!، وهي فسيحة من داخلها وعظيمة الزخرف، ومطلية من الذهب، وفيها من التصاوير التى صورها النصارى: صورة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وعيسى ومريم - عليهم السلام جميعاً[١٨]

وقد أسهب بعض الرحالة المسلمين - ممن زاروا بيت المقدس - في وصفها والاشادة بها، حتى قال بعضهم، «إنها من عجائب الدنيا»، وغير ذلك من عبارات الثناء والإعجاب[١٩].

(و) اطلاق اسم المسجد الأقصى على مسجد قبة الصخرة :

يرمي اليهود الى طمس المعالم التاريخية الإسلامية من أجل تحقيق مآربهم الفاسدة وغاياتهم الخبيثة. ودليل ذلك ما تناقلته وسائل الإعلام اليهودية من نشر صور لمسجد قبة الصخرة وتعريفه بأنه المسجد الأقصى! وقد عثر بعض الباحثين في بعض المؤسسات الإسلامية على صور مسجد قبة الصخرة، وتبين له من خلال سؤالهم عن تلك الصور، أنهم يعتقدون أنها صور المسجد الأقصى!!، ولعلّ من أسباب هذا الخلط بين صورة مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، عدم فهم كثير من الناس لمدلول المسجد الأقصى، فالمسجد الأقصى له إطلاقان: عام وخاص، فالعام يقصد به: المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة بالإضافة الى الصلوات الأخرى، وكذلك الصخرة، وجامع عمر، وجامع المغاربة، وجامع النساء، ودار الخطابة، والزاوية الختنية، الزاوية البسطامية، وقبة موسى، بالإضافة إلى الأروقة والمنائر والمصاطب والأبواب والآبار وغرف السكن، ومحراب مريم، ومحراب زكريا - عليهما السلام. أما الخاص فالمقصود به المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة وهو المتعارف عليه في عصرنا الحاضر. وهو بناء عظيم به قبة مرتفعة، يمتد بناؤه من جهة القبلة الى الشمال في سبعة أروقة متجاورة مرتفعة على الأعمدة الرخامية، كما أشرنا إليه في مطلع هذه المقالة.

وقد أحسن أحد الشعراء حين قال في وصفه:

لله بالبيت المقدّس جامع
بهر النواظر نوره وضياؤه
منه الجوانب واسعات تنجلي
وزهت بطلعة قبتيه سماؤه
حيث المدارس حوله قد أشرقت
تمتد من أشجاره أفياؤه[٢٠]

الهوامش :

(١) المعجم الوسيط، مادة (حق).
(٢) معجم الموضوعات المطروقة (ص٣٩٥).
(٣) الموسوعة العربية العالمية ٢٣/ ٢٠٦ - ٢٠٧.
(٤) مجموعة الفتاوى (١٢/١٤).
(٥) سبل الهدى والرشاد للصالحي (٣٣/٣).
(٦) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٣٤/٣٧ - ٢٣٥).
(٧) إعلام الساجد للزركشي (٢٩ - ٣٠).
(٨) بيت المقدس لمحمد شراب (ص ٢٧٠) وما بعدها.
(٩) بيت المقدس لمحمد شراب (ص/٣٠٠).
(١٠) المصدر السابق.
(١١) الموسوعة الصهيونية (ص/٤٢٥).
(١٢) بيت المقدس لمحمد شراب (ص/٢٧٥) وما بعدها.
(١٢) الموسوعة العربية العالمية (٢١٠/٢٣).
(١٤) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم (ص/٣٧).
(١٥) مجموعة الفتاوى (١١/١٤).
(١٦) المصدر السابق.
(١٧) سفر نامه (ص ٥٦ - ٥٧).
(١٨) بيت المقدس لمحمد شراب (ص/٥١٥).
(١٩) نزهة المشتاق للإدريسي (ص/٣٠٠).
(٢٠) الموسوعة العربية العالمية (٢١١/٢٣).

الإسلام والفنون الجميلة

(الحلقة الثانية)

❖ الأستاذ الدكتور محمد عمارة، من الأقلام المتميزة في طرح القضايا الاسلامية، وقضايا الاجتماع، ما يتعلق به وما يرتبط به . . كل ذلك من خلال رؤية اسلامية عميقة ناضجة تستقرىء ثوابت الدين المكون الأساسي لثوابت هذه الأمة .

ومجموع كتاباته ينتظم في عقد متماسك الحلقات، ليشكل منظومة حضارية، أو لنقل مقدمة لمنظومة حضارية متكاملة، يظل الجهد مبذولا لاكمال حلقاتها من علمائنا الاجلاء كل في مجال تخصصه .

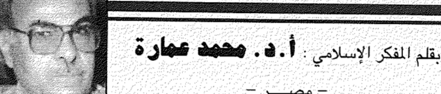
الدكتور محمد عمارة ظل ويظل ـ باذن الله تعالى ـ واحداً من علماء هذه الأمة الاجلاء، وواحداً من مفكريها، يصرف كل وقته وجهده من أجل الاعلاء من شأن كل القيم الرفيعة التي تميزت بها هذه الامة ذات الرسالة الخاتمة . . وكتاباته ومحاضراته وندواته ولقاءاته كلها تشهد له بهذا .

الاستاذ الدكتور محمد عمارة منذ بضع سنوات خلت خصّ وآثر مجلته المنهل بعدد وافر من الدراسات والبحوث نشرت في صفحات المنهل على مدى السنوات الفائتة، وآخر سلسلة ـ وليست الاخيرة ـ كانت بعنوان (من زعماء الاصلاح) وهي عن (الدكتور عبد الرزاق السنهوري) . ونشرت في ثماني حلقات متتاليات، آخرها في عدد رجب ١٤٢١هـ .

وكانت المنهل قد سعدت باجراء حوار صريح مع الدكتور عمارة، نشر في العدد (٥٧٥) العام ١٤٢٢هـ .

ويبقى الود موصولا مع استاذنا الدكتور عمارة، وهذه سلسلة جديدة من دراساته وبحوثه المتميزة، تحمل فكره واستقراءه، واستنباطه، وهي بعنوان (الاسلام والفنون الجميلة) .

والمنهل ـ لا شك ـ سعيد بالدكتور عمارة، وسعيد بكل الاساتذة الافاضل الكرام الذين آثروه بعلمهم وفكرهم، وفضلهم .



بقلم المفكر الإسلامي : **أ.د. محمد عمارة**

– مصـــر –

وإذا كان المسلم - بحكم إيمانه وإسلامه - مدعوا الى التخلق بأخلاق الله، ليكون ربانيا، ومطلوب منه أن يسعى، قدر الطاقة - ومع ملاحظة فوارق المطلق عن النسبي - أن يسعى كي يتحلى بمعانى أسماء الله الحسنى.. فإن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يعلمنا أن «الجميل» هو من أسماء الله.. ففي الحديث الشريف: «إن الله جميل يحب الجمال»[١] .. فالمسلم، إذن، مدعو الى الاتصاف بالجمال، الذى هو البهاء والحسن، في الفعل وفي الخلق، والى تنمية إحساسه بالجمال الذى أودعه الله في الكون، جمال الصور وجمال المعانى على حد سواء[٢].

ففي ذلك «كمال» للانسان و«سعادة» له أيضا.. وكما يقول الإمام الغزالى «فان كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلى بمعانى صفاته، وأسمائه، بقدر ما يتصور في حقه.. **ليقرب بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان..** لأن استعظام الصفة واستشرافها يتبعه شوق الى تلك الصفة وعشق لذلك الجلال والجمال، وحرص على التحلى بذلك الوصف إن كان ذلك ممكنا.. أو يبعث الشوق الى القدر الممكن منه لا محالة.. وبذلك يصير العبد ربانيا، أي قريبا من الرب تعالى[٣].. عندما يكون جميلا، يتصف ويستمتع بصفات وآيات الحسن والبهاء، التى أبدعها البارىء - الجميل، الذى يحب الجمال -.

ولأن هذا هو موقف المنهج الاسلامى من آيات الجمال والزينة المبثوثة في الكون، ومن صفات الحسن والبهاء المتاحة للانسان في هذه الحياة، كانت دعوة القرآن الكريم الناس الى اتخاذ الزينة عند كل مسجد، أى الى **إقامة التلازم وعقد القران بين التزين وبين دعاء الله والمثول بين يديه،** فكلاهما - التزين، والصلاة - شكر لله سبحانه وتعالى.. {**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين * قل من حرَّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**}[٤].

ونحن نلحظ أن هذه الآيات تدعو الانسان - مطلق الانسان (يا بنى آدم) وليس المسلمين وحدهم، وذلك تنبيها على أن هذا هو مقتضى الفطرة التى فطر الله الناس عليها، طلب الزينة والجمال.. وتصحيحا للانحراف الذى جعل العبادة رهبانية تدير الظهر لصفات الحسن ومظاهر الجمال في هذه الحياة {قل من حَر]م زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق}.. إنه المنهج الاسلامي، الذي يعيد الانسان - في هذه القضية، كما في سواها - الى «فطرته»، والتى يمثل التجمل والتزين ملمحا أصيلا من ملامحها.. وفي حديث عائشة، رضي الله عنها، يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «عشرة من الفطرة: قص الشارب، وقص الأظافر، وغسل البراجم[٥]، وإعفاء اللحية، والسواك، والاستنشاق، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء[٦]..»[٧].

واذا كان «المسجد» في العرف الاسلامي، هو: مطلق مكان السجود، ولذلك كانت الأرض كلها مسجدا لأبناء الاسلام، فان اتخاذ الزينة هو فريضة إسلامية في الأوقات الخمسة التى يمثل فيها المسلم، يوميا، بين يدى مولاه.. أي أنها فريضة اسلامية في كل زمان - تقريبا - وفي أي مكان.

وهذه الفريضة يتأكد التنبيه عليها في أيام وأماكن الاجتماع، كالجُمَع والأعياد.. وفي حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «ما على أحدكم، إن وجد سعة، أن يتخذ ثوبين لجمعته، سوى ثوبى مهنته»[٨].. و«من اغتسل - أو تطهر - فأحسن الطهور، ولبس من أحسن ثيابه، ومس ما كتب الله له من طيب أو دهن أهله، ثم

أتى الجمعة، فلم يلغ ولم يفرق بين اثنين، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[٩].

ولا يحسبن أحد أن «الزينة» التى يطلبها الاسلام ويأمر بها مقصورة على الثياب الحسنة، والطيب، وحسن التجمل، فقط، عند المثول بين يدى الله في الصلاة.. ذلك أن «الزينة» إذا كانت اسما جامعا لكل شيء يتزين به[١٠].. فإن مصادر طلبها، ومواطن الإحساس بها مبثوثة في كل آيات الجمال التى خلقها الله وأبدعها وأودعها في سائر أنحاء هذا الوجود.. ففي الجنات وأزهارها وورودها ـ بل إن في مطلق النبات ـ زينة للأرض، تتزين بها، وتتجمل، كي يستمتع بها الانسان.. ولقد كان من دعاء النبي، [صلى الله عليه وسلم] في حديث الاستسقاء «اللهم أنزل علينا في أرضنا زينتها».. وكانت دعوته الى تزيين قراءة القرآن بالصوت الحسن: «زينوا القرآن بأصواتكم»[١١].

فالخيل «ستر وجمال للرجل يتخذها تكريما وتجملا، ولا ينسى حق بطونها وظهورها وعسرها ويسرها»[١٢].

والثياب الجديدة، نعمة لا يقف المسلم إزاءها عند «منفعتها المادية» وحدها، وإنما يبصر فيها «المعانى الجمالية» للثوب الجديد.. وفي الحديث الذى يرويه عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، يقول الرسول [صلى الله عليه وسلم] «من استجد ثوبا فلبسه، فقال حين يبلغ ترقوته: الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ثم عمد الى الثوب الذى أخلق ـ أو قال: ألقى ـ فتصدق به، كان فى ذمة الله تعالى وفي جوار الله وفي كنف الله حيا وميتا، حيا وميتا، حيا وميتا»[١٣].

فالثياب «للمنفعة المادية»، و«للتجمل» كذلك.. ولقد قال رسول الله، [صلى الله عليه وسلم] لعمر بن الخطاب، وقد رآه لبس ثوبا جديدا: «إلبس جديدا، وعش حميدا، ومت شهيدا، ويرزقك الله قرة عين في الدنيا والآخرة»[١٤].

ولقد ميز الاسلام ما بين طلب الجمال، والاستمتاع به، عندما يحكمه الاقتصاد والاعتدال، وعندما يكون شكرا لأنعم واهب هذا الجمال، وبين «الكِبْر» الذى نهى عنه الاسلام، وتوعد مقترفيه.. فعندما قال رسول الله، [صلى الله عليه وسلم] في الحديث الذى يرويه ابن مسعود: «لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كِبْر» .. عند ذلك قال رجل:

ـ يارسول الله، إني ليعجبنى أن يكون ثوبى غسيلا، ورأسى دهينا، وشراك نعلي[١٥] جديدا ـ وذكر أشياء، حتى ذكر علاقة سوطه[١٦] ـ أفمن الكبر ذاك يا رسول الله؟.

ـ فقال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «لا ! ذاك الجمال، إن الله جميل يحب الجمال. ولكن الكبر من سَفَّه الحق وازدرى الناس»[١٧].

فالجمال محمود.. بل هو سعى على درب الاتصاف بطرف من صفات الله المعلنة في أسمائه.. وليس هو الكبر المذموم، الذى هو تسفيه الحق وازدراء الناس.

وأيضا .. فليس هذا الجمال هو «البغى» الذى ينهى عنه الاسلام.. ولقد سأل الصحابي مالك بن مرارة الرهاوي، رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فقال:

ـ يا رسول الله، قد قسم لى من الجمال ما ترى، فما أحب أحدا من الناس فضلنى بشراكين فما فوقهما! أفليس ذلك هو البغى؟!

ـ فقال، [صلى الله عليه وسلم]: لا ! ليس ذلك بالبغي، ولكن البغي من بطر ـ أو قال: سفه الحق وغمط الناس[١٨].

فالحرص على التجمل، الى حد التنافس في الاتصاف بصفاته والجمع لمؤهلاته، ليس من «البغي» الذى ينهى عنه الاسلام.

ولقد أباح الاسلام للمرأة أن «تتجمل للخُطّاب» إظهارا لنعمة الجمال، وطلبا للزواج.. وفي حديث الصحابية سبيعة بنت الحارث الأسلمية.. عندما توفى عنها زوجها سعد بن خولة، ووضعت حملها منه، وبرئت

من نفاسها «تجملت للخُطّاب».. فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك ـ من بنى عبد الدار ـ فقال لها: مالى أراك متجملة، لعلك ترتجين النكاح؟! إنك، والله، ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر. فذهبت سبيعة الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وسألت عن ذلك ـ عن «العدة» ـ وليس عن «التجمل للخُطّاب» فلم يكن ذلك موضع خلاف! قالت: «فأفتانى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بأنى قد حللت حين وضعت حملى، وأمرنى بالتزويج إن بدا لي»[١٩].

بل لقد رأينا «الجمال ـ والتجمل» نعما ، يدعو الرسول ربه أن يسبغها الله على الصحابى أبي زيد الأنصاري، فيقول في الدعاء له: «اللهم جمله وأدم جماله»[٢٠).. ووجدنا القرآن الكريم يتحدث عن زينة الأرض وزخرفها كمهمتين من مهام خلافة الانسان عن الله في عمرانها، لن تنتهى هذه الخلافة، بطى صفحة هذه الحياة الدنيا إلا إذا بلغ الانسان الشأو في هذا السبيل {**إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**}[٢١].

هذا هو منهج الاسلام إزاء آيات الجمال والحسن والبهاء والزينة والزخرف التى أبدعها الله وأودعها في الوجود، طالبا من الانسان النظر فيها، والاستقبال لتأثيراتها، والاستمتاع بمتاعها، شكرا لله على إبداعها، وعلى إبداعه الحواس المستقبلة لتأثيراتها، وتخلقا ببعض من صفات الله، سبحانه، الذى هو «جميل يحب الجمال» ، كما قال عليه الصلاة والسلام.

ـ للبحث صلة ـ

الهوامش:

(١) رواه مسلم والترمذى وابن ماجة والإمام احمد ـ وهو في إحدى روايات أبى هريرة لحديث أسماء الله الحسنى. انظر: الغزالى (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) ص ١٠٧. طبعة القاهرة سنة ١٩٦١م.

(٢) انظر تعريف «الجمال» في (لسان العرب) لابن منظور.

(٣) (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) ص ٢٠، ٢١.

(٤) سورة الاعراف/ ٣١، ٣٢.

(٥) البراجم: مفردها برجمة ـ بضم الباء وسكون الراء وضم الجيم ـ عقد الأصابع ومفاصلها كلها، أو هو خطوط الكف التى يترسب فيها الغبار.

(٦) انتقاص الماء: من معانيه: الاستنجاء.

(٧) رواه النسائى (ولقد ذكر راوى الحديث تسع صفات، ونسى العاشرة).

(٨) رواه ابن ماجة.

(٩) رواه ابن ماجة والإمام أحمد.

(١٠) انظر معنى مصطلح «الزينة» في (لسان العرب) لابن منظور.

(١١) رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجة والدارمى والإمام أحمد.

(١٢) من حديث أبى هريرة ـ رواه مسلم والإمام أحمد.

(١٣) رواه الترمذى وابن ماجة والإمام أحمد.

(١٤) رواه ابن ماجة والإمام أحمد.

(١٥) شراك النعل : السير يكون على وجهها.

(١٦) علاقة السوط: السير في مقبض السوط، يعلق منه.

(١٧) رواه مسلم والترمذى وابن ماجة والإمام أحمد.

(١٨) رواه أبو داود والإمام أحمد. (والشراك: السير يكون على وجه النعل).

(١٩) رواه مسلم والنسائى وأبو داود.

(٢٠) رواه الإمام أحمد.

(٢١) سورة يونس/ ٢٤.

المشكاة وحدة تأريخ ورمز ديني وفني وجمالي



ـ مشكاة زجاج مذهبة .. صناعة يدوية باللون الأخضر والازرق والاصفر والابيض عام ١٣٥٦م.. صنعت لاجل السلطان حسن. (المتحف الاسلامي بالقاهرة)

قال تعالى: {**اللهُ نورُ السموات والأرض مثلُ نوره كمشكاة فيها مصباحٌ المصباحُ في زجاجة الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرّى يُوْقَدُ من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يُضيء ولو لم تمسسه نارٌ نور على نور يهدي اللهُ لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم**} (النور/ ٣٥).

ـ كثيراً ما نقرأ هذه الاية الكريمة ونمر عليها مَرّ الكرام، ومن هنا نود أن نسأل ما هي المشكاة وما فوائدها، وهل معنى كلمة مشكاة هو نفس المعنى الذي يجول بخواطرنا؟.

للإجابة على كل هذه التساؤلات يجب أن نتوقف لبرهة لنتعرف على ماهية المشكاة واستخداماتها وتاريخها.

* فعندما نعود الى معنى كلمة مشكاة في معاجم اللغة نجد الآتي:

ـ المشكاة هي ما يحمل عليه أو يوضع فيه القنديل أو المصباح.

ـ وهي بلغة اهل الحبشة كل كوة غير نافذة.

ـ وفي تفسير ابن كثير، في قول عباس ومجاهد هي موضع الفتيلة من القنديل.

ـ وقد اطلق علماء الفنون والآثار الإسلامية كلمة المشكاة على الزجاجة أو القنديل الذي كان يوضع فيه المصباح وكان من فوائده حفظ نار المصباح من هبات الهواء وتحويلها الى ضوء ينتشر بهدوء في أرجاء المكان.

وكان المصباح يثبت في داخل المشكاة بواسطة سلوك تربط بحافتها، أما المشكاة نفسها فكانت توضع معلقة داخل المساجد وغيرها بسلاسل من الفضة أو النحاس الأصفر تشبك بالمقابض التى تلف حول بدن المشكاة وكانت السلاسل تجمع احياناً عند كسرة مستديرة أو بيضية الشكل تتصل بها سلسلة تنزل من السقف.

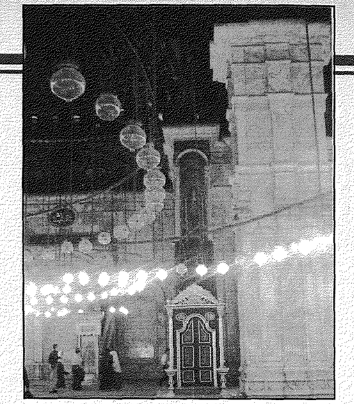
وتشبه المشكاة في شكلها العام إناء الزهور وهي ذات بدن منتفخ ينساب إلى أسفل وينتهى بقاعدة لها رقبة على هيئة قمع متسع الألوان بين الأحمر والأخضر والأبيض والوردي.

وترجع المشكاوات المعروفة كلها تقريباً الى دولة المماليك حيث يبدو إن صناعة المشكاوات قد بلغت أوجها بصفة خاصة في القرن الثامن الهجري ـ ١٤م.

وفي كثير من الأحيان كانت المشكاة تستخدم كوحدة للتأريخ حيث كان يكتب عليها اسم السلطان أو الحاكم ومدة حكمه وتاريخ صناعة المشكاة.

بقلم : **د. بهاء الدين يوسف غراب**

- مصــــر -



ـ مشكاوات من العصر العثماني مصنوعة من الزجاج الابيض الشفاف الخالي من الزخرفة/ مسجد محمد على القاهرة.

وتعتبر المشكاة عنصراً مهماً من العناصر التي تميز بها الفن الإسلامي حيث إنها تستخدم في المباني الإسلامية دون غيرها .

وتصنع هذه المشكاة من الزجاج، ونجد ان صناعة الزجاج قد استقرت في مصر أثناء القرن السادس عشر قبل الميلاد ثم أخذت تتقدم فيها على مر العصور، ولقد أضاف المسلمون لهذه الصناعة خبرات كثيرة سواء من الناحية الفنية أو التطبيقية، ولقد ارتقت صناعة الزجاج بصفة خاصة في العصر الفاطمي على يد الصناع المصريين الذين عرفوا اساليب صناعية مثل النفخ واستخدام القالب والزخرفة بالإضافة الى القطع والطبع والتهذيب والتلوين والبريق المعدني كما صنعوا أنواعاً من الأواني الزجاجية تقليداً للبلور الصخري، ولقد ورث الصناع المصريون والسوريون في عصر الايوبيين والمماليك هذه التقاليد الفنية الراقية، ولقد تفوق الصناع في عهد المماليك في تمويه الزجاج بالمينا والذهب واستخدموا هذه الطريقة في زخرفة كثير من الأواني الزجاجية المختلفة، وتتجلي براعتهم بخاصة في فن المشكاوات.

وعند تحليل المضمون الجمالي والبنائي للمشكاة الإسلامية نجد التالي:

ـ **التماثل** : تتوافر بنائية التماثل في جميع الأشكال في الفنون الإسلامية، حيث إن التماثل قانون الحياة وهو اتزان بين الليل والنهار وبين الخير والشر.

ـ **اللون الأزرق** : ويرمز الى السماء بحالتها من قيم دينية وهو مستمد من الفنون الساسانية.

ـ **اللون الأحمر القاني «الڤيرمليون»** : ويرمز إلى الحياة وهو مستمد من الفن الساساني ايضاً حيث لم تعرف فنون الشرق ذلك اللون من قبل حيث إنهم قاموا باستمداد هذا اللون من الفنون الساسانية التى كانت موجودة من قبل.

ـ **اللون الأصفر «الكناري»**: وهو أحد عناصر الألوان الأساسية في الفن الساساني ايضاً والذي ارتبط بشجرة الحياة وما يرتبط بها من ثمار وفاكهة وأعناب.

ـ **اللون البني**: وهو رمز للأرض ودورها في حياة المسلم وهو اللون السائد في الفنون العربية الإسلامية.

ـ **الجامات** : وهي رموز إسلامية ذات أشكال بنائية أو هندسية، يكتب داخلها أسماء الملوك والسلاطين والتأريخ.

ـ **شجرة الحياة**: وهي تأثير ساساني يوصف الحياة بأنها شجرة.

ـ **الخط** : استخدم الخط الكوفي بأشكاله المزهر والمورق والمضفر.

ـ **الرنوك**: وهي إشارات للملوك والرؤساء والحكام.

ـ الأشرطة: وهي وحدات هندسية تحمل غالباً وحدات دعائية للملوك والسلاطين.

ـ **التكرار**: وهو سمة واضحة في جميع الفنون الإسلامية.

ـ **القيمة الدينية**: هي مصدر للضوء الذي يشع نوره في جميع أرجاء المكان.

ـ **القيمة الجمالية**: التوافق اللوني المتكامل من خلال مجموعة من الأشكال والألوان التى تعتمد اساساً على الإتزان.

فن الخط العربي في ذاكـــرة الغـــرب

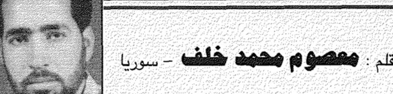
للخط العربي سمات بارزة وقيم خالدة.. هذا الفن الجميل الذي شهد العالم بعظمته وعبقريته، هو الانطلاقة الأولى للمسلمين الأوائل الذين فتحوا البلاد والأمصار ينشرون الدين الإسلامي الحنيف في كل بقاع الأرض ومعهم لغتهم العربية السامية التى تمكنت من زرع جذور الإبداع والخصوصية لهذه الرسالة الخالدة فقضت على كثير من اللغات وحلّت محلها وأصبحت هي اللغة الرئيسية التى استخدمها أهل البلاد الأصليون.

فكتب بها الإيرانيون والسلاجقة والعثمانيون والأكراد والطاجيك والأوزبك وبلاد الحبشة وكشمير وغيرهم. وفي الغرب الأوربي ومع بداية الثورة التى تفجرت في نطاق الفكر والفن وأسلوب الحياة أعلن الفنانون خلالها ثورتهم على الحضارة البورجوازية، مستخدمين في ذلك الرفض الكامل للقيم التقليدية والنزوح بعيدا عن الواقع الذي تم سقوطه وتجلى هذا النزوح باللجوء الى بلاد الشرق.

فبدأ الاستشراق الفني فردياً منذ القرن التاسع عشر وكان «دولاكروا» الفاتح الأول لطريق الاستشراق الى الجزائر والمغرب عام ١٨٣٠م واعرب «نيوفيل غوتيه» قائلا «إن السفر الى الجزائر أكثر أهمية بالنسبة الى المصورين الغربيين من السفر الى ايطاليا».

وأعطى هذا الانطباع نقطة الالتقاء بين الغرب والشرق. وان كتاباً آخرين زاروا البلاد العربية في بداية القرن العشرين من أمثال/ موريس باريس، ودوهامل، وفلبوير واندريه جيد، وموباسان، وريكلة فأجمعوا جميعاً على تعريف فنانيهم على ذلك العالم المدهش الذي كانوا يجدونه في بلاد الشرق.

وامتد التأثير العربي على الفن الغربي عبر المعاهد التي تأسست في البلاد العربية على يد الغرب فالباحث اليوناني «الكسندر بابا دوبولو» كتب باللغة الفرنسية ما معناه: «ان الخط العربي فن رائد وأساسي وذلك على عكس موقع الخطوط لدى العديد من الشعوب الأخرى». وباحث آخر هو تيفوس بوركارت «أشار الى الأهمية الفنية للخط العربي فاعتبره أيقونة العرب والمسلمين» أما أوليه غرابار فقد أولى اهتمامه الرئيسي لفن الزخرفة الإسلامية واعتبر الخط العربي جزءاً متمماً لهذه الزخرفة وأضفى عليهما سمة «الكتابة المقدسة» ويقول: «غوستاف مورو» ان الشرق هو مخزن الفنون، وانه قبلة الفنان الحديث وان



بقلم : **معصوم محمد خلف** - سوريا

فن المنمنمات قد فجر جميع إمكاناته وانه عليها أكد أبحاثه الفنية».

ويعترف بيكاسو مرة «ان أقصى نقطة أردت الوصول اليها في فن التصوير، وجدت الخط الإسلامي قد سبقني إليها منذ أمد بعيد».

والبروفيسور مارتن لنكس خبير المخطوطات العربية يصف الخط العربي بأبعاده التشكيلية والمعنوية فلمعنى الكلمة ودلالتها ولمظهرها التشكيلي ما يتناسب مع الدلالة المعنوية.

ويقول أستاذ اللغات الشرقية في جامعة استانبول المستشرق ريتر وهو من الأساتذة المخضرمين الذين حضروا وحاضروا في العهدين العثماني والكمالي قال:

«إن الطلبة قبل الإنقلاب



- «وكل شيء عنده بمقدار» بخط جلي الثلث للخطاط عكلة الحمد/ سوريا.



لوحة رقم ( ) تضم الآية الكريمة (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) من خط المرحوم غزلان وهي حافلة بالخطوط التي تنساب وتتشابك كحناوات في حلقة راقصة، وبخيل إليك أنها تتحرك وهي ساكنة، كما يقول الصولي في أدب الكتاب. أو كما يقول المتنبي: تبدّى سكون الحسن في حركاتها

- «والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون» من خط المرحوم غزلان.

الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أتلوا عليهم من محاضرات بسرعة فائقة لأن الحرف العربي اختزالي بطبيعته، أما اليوم فإن الطلاب يكتبون بالحرف اللاتيني، ولذلك فهم لا يفتأون يطلبون اليَّ أن أعيد عليهم العبارات مراراً، انهم معذورون ولا شك في ما يطلبون، لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها فلابد من كتابة الحروف بتمامها» ثم أضاف قوله: «إن الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوضحها، فمن العبث اجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح».

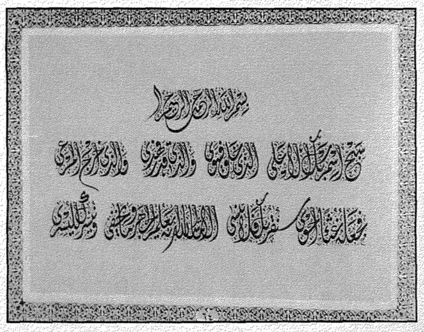
كما يؤكد المؤرخ الإنكليزي أرنولد توينبي حيث يقول: «لقد انطلق الخط العربي الذي كتب به القرآن الكريم غازيا ومعلماً مع الجيوش الفاتحة الى الممالك المجاورة والبعيدة وأينما حلَّ أباد خطوط الأمم المغلوبة».

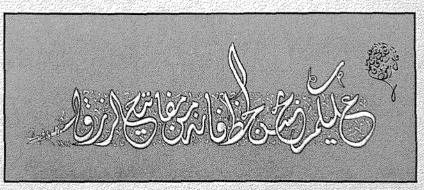
أما الدكتور أكمل الدين احسان أو غلي[*]، فيصف الخط العربي بأنه الى جانب تعبيره عن قيم فنية وجمالية معينة فانه، ينقل الكلمة المجردة بمضمون ومعنى لتمتزج الثقافة بالفن وتصبح وسيلة راقية لإيصال المعرفة الى الإنسان.

وهكذا فالخط العربي خط غني



ـ «وفي السماء رزقكم وما توعدون» للخطاط معصوم محمد خلف/ سوريا.


ـ صفحة من كتاب قواعد الخط العربي للخطاط هاشم البغدادي.


ـ «عليكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق» بخط جلي الديواني/ للخطاط معصوم محمد خلف.

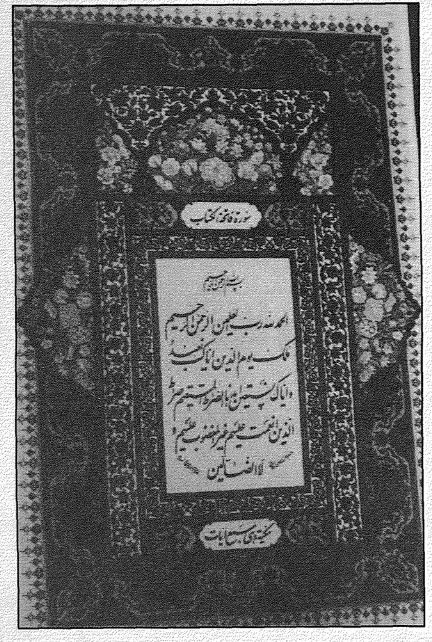
بالإمكانيات الفنية والتعبيرية ولا يمكن الاستهانة به أبداً ولا يجوز التقليل من أهمية ادخاله في اللوحات الزخرفية، وقد اعتبر /كانط/ الزخارف العربية أجمل من غادة حسناء.

ويقول روم لاندو في كتابه «الإسلام والعرب» «حُرّم على المسلمين الاهتمام بالفن التشبيهي، ولذلك فقد تعين على مواهبهم الفنية أن تلتمس منافذها في اتجاهات أخرى. ومن خلال هذا السعي أحدثوا فناً يستطيع أن يدعي بصرف النظر عن محاسنه أو نقائصه الأخرى، إنه واحد من أصفى الفنون التى نعرفها.

إذا كانت تلك اعترافات ومشاهدات شعوب شاهدوا هذا الفن المبدع، فكيف بالفنان الذي يعيش مع هذا الفن منذ لحظة الولادة الى زمن الجمالية وعنصر الكمال لتكمن العبقرية ويهدى الى شغاف القلب صورة من شيء خصه الله به دون غيره.

---

[*] المدير العام لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، والصادرة عن المؤتمر الاسلامي بوزارة الخارجية في نيامي - النيجر سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.



- فاتحة الكتاب بخط غلام حسين/ ايران.



- «ثلاثية الحصان العربي للخطاط الدكتور احمد مصطفى/ مصر.

الفنان الفرنسي (إيتان دينيه) ناصر الدين يعتنق الإسلام ويهيم حبا في رسم صحرائنا



الفنان دينيه ناصر الدين

ولد الفنان (ايتان دينيه) بباريس في ٢٨/٣/١٨٦١م، وكان أبوه يعمل محامياً لدى محكمة (السين). وبعد نجاحه في الثانوية العامة، وأدائه للخدمة العسكرية، أرادت أسرته أن يدرس القانون، لكن حسه الفني دفع به الى الدخول لمدرسة الفنون الجميلة وأكاديمية جوليان، وتخرج ليمارس الرسم، فأبدع مجموعة لوحات لقيت اهتمام النقاد، وحصلت على عدة أوسمة.

في عام ١٨٨٤م صحبه الرسام (لوسيان سيمون) الى الجزائر وهو في الثانية والعشرين من عمره، وفي نفس العام كافأه صالون الفنانين الفرنسيين في باريس بوسام وبمنحة مالية تقديراً للوحتيه (الأم كلوتيد وصخرة صاموا). أتاحت له أن يقوم برحلة ثانية الى (درقلة والأغواط) في جنوب الجزائر، واستقر به المطاف بمدينة (بو سعادة) المطلة على الصحراء والتي تكتنفها واحة ذات نخيل وشجيرات ومجرى مائي صغير.

اعتناق الإسلام :

في عام ١٩٠٥م يستقر (دينيه) بمدينة (بو

بقلم : **غازي عيسى انعيم** - الاردن

للشهادتين أمام مفتي الجزائر في ديسمبر ١٩٢٧م. ويقول كلمته: «إن الإسلام قد غير مجرى حياتي الفنية والدينية».

من دينيه الى ناصر الدين:

بعد اعتناقه الإسلام، غير اسمه من «دينيه» الى «ناصر الدين دينيه» غير مبال بما يلقاه في حياته من عنت الفئة المتعصبة من قومه، حتى بلغت بهم نزعة الحقد وشهوة الاضطهاد والتشفي الى حد نعته (بخائن الغرب) وعرقلة مشروع إنشاء (متحف دينيه) عام ١٩٢٩م.

هذه الحملة التي تعرض لها (ناصر الدين) ليس بسبب اعتناقه الإسلام فحسب، بل تصويره أيضاً ما كان يرزح تحته الجزائريون من بؤس جره عليهم الاستعمار الفرنسي الشرس والذي أدى الى سقوط مليون ونصف المليون من الشهداء على مذبح الحرية.

وتقول أخته (جان) عن اعتناق (دينيه) للإسلام: «فهذا أمر لا يمكن لعقليتنا الغربية العريقة والدينية أن تقبله، وهذا ما جعله إنساناً فريداً».

التأليف والدفاع عن الإسلام:

جمع (ناصر الدين) الى جانب الموهبة الفنية، الموهبة الأدبية، فشملت إبداعاته مجالين أساسيين هما: (الفن والعقيدة الإسلامية)، فكتب بحوثاً ودراسات حول الضوء واللون، قام بنشرها في عام ١٩٢٦م في كتاب (آفات الرسم ووسائل مكافحتها)، وهي حصيلة جهود كبيرة بذلها في دراسة المشاكل التقنية الخاصة بمزج الألوان وفساد الأقمشة وكيفية الحفاظ على الآثار الفنية بالطرق الفيزيائية والكيميائية.

أثناء تردد (ناصر الدين) على باريس يلتقي بشاب جزائري يدعى (سليمان بن ابراهيم باعامر) وأسفر هذا اللقاء عن صداقة توطدت بين الرجلين حتى



الفنان بعد أن أصبح الحاج ناصر الدين

سعادة) واتخذ له مسكنا متواضعاً يعلوه سقف من التراب والقصب، وتدعمه العارضات التقليدية المصنوعة من شجر العرعر.

ووجد (دينيه) في «بوسعاده» عالماً رائعاً يجعل الإنسان يشعر بذاته ويحس بوجوده وبكيانه وبأن هناك عالماً ليس مقفراً كما تصوره بعض المؤلفات الغربية، فأحس بالأمن والسلام والحب والصفاء والإنسانية بأرقى معانيها وتعلم من أهالي «بوسعادة» كيف تكون طهارة النفس والفؤاد. فكان عشقه لهذا العالم الجديد قويا، بل نابعاً من الوجدان والعقل معاً، فتعلم العربية لغة القرآن الكريم واعتنق الإسلام عن قناعة وإيمان في عام ١٩١٣م، وقد أكد اعتناقه الإسلام بنطقه



المكفوفة والشبيبة اللامبالية



فتيات بو سعادة

أصبحا أخوين وقد أثمرت هذه العلاقة عن تأليف عدة كتب مشتركة نشرت في باريس وهي:

(حياة محمد رسول الله {صلى الله عليه وسلم}) عام ١٩١٨م، و(خضرة راقصة أولاد نائل) عام ١٩٢٦م و(الحج الى بيت الله الحرام) عام ١٩٣٠م، والكتاب الأخير طبع بعد وفاة ناصر الدين حيث قام الفنان الجزائري (محمد راسم) بتصميم الغلاف وزخرفته.

تصدى (ناصر الدين وسليمان باعامر) في الكتاب الأول للرد على الأدعياء الغربيين المتحاملين والمتهجمين على الإسلام عن جهل أو عن فهم سقيم، ويفضح الصديقان في كتابهما (خضرة) سلوك بعض المرابطين الذين يدعون أنهم من الشرفاء، وبهذا الأصل الشريف ينسبون لأنفسهم قوة خفية. (فناصر الدين وسليمان باعامر) يذكران بأن الله سبحانه وتعالى لا شريك له: (لا إله إلا الله).

الحج الى بيت الله الحرام :

رغم ضعف صحته ومشاق الطريق الطويل، أبى (ناصر الدين) إلا أن يكمل الفروض الدينية. فحج بيت الله الحرام عام ١٩٢٩م عن عمر يناهز الثامنة والستين، وقد كتب من (جدة) يقول: «تركت هذه الرسالة في نفسي انطباعات لم أشعر بما هو أسمى منها في حياتي، فلا أحد في العالم يمكنه أن يعطي فكرة عما شاهدته من جوانب هذه العقيدة الوحدانية من حيث المساواة والأخوة بين حوالي (٢٥٠ر٠٠٠) من الناس من مختلف الأجناس كانوا مزدحمين الواحد بجانب الآخر في صحراء موحشة».

موضوعات الفنان وأسلوبه الفني:

يتميز أسلوب (ناصر الدين) بالواقعية، وهي السمة البارزة لأعماله، فقد صور الواقع الذي عايشه تصويراً صادقاً وبدرجة عالية من الدقة والحساسية والجمال. فاللوحات التى صورها في (بو سعادة) تكشف عن الروح الوثائقية لدى عالم (ناصر الدين). فهو يصور أثراً يمكن أن يكون شاهداً على تاريخ قديم أو حاضر كما يخبرنا بميلاد جديد.. من هنا تكتسب اعمال (ناصر الدين) قيمة أخرى: قيمة الرصد والوثائقية أولا وتفصح عن نظامه الفكري في فهم الحالة الإنسانية ثانياً، وبهذا المسار نلاحظ أن الفنان لم يتخذ طريقاً أسلوبياً غير الواقعية.

وقد يسأل البعض ويقول لماذا لم يتعاط ناصر الدين مع بعض المدارس الحديثة؟ للإجابة على هذا

السؤال نقول: إن المدارس الحديثة بمختلف فروعها (الرمزية، السريالية والتجريدية) وبحكم نشأتها جاءت في أخريات حياته وبعد مماته، لذا فهو لم يجرب هذه الاتجاهات نظراً لعدم وجودها.

من هنا عالج (ناصر الدين) أفكاره بأسلوب واقعي، فصور البيوت والجبال والمياه والأشجار والشوارع وحركة الناس وعاداتهم وتقاليدهم وبطولاتهم بمحتوى شعري وموسيقي.. وبهذا المفهوم أعطى بعداً للفن الشعبي الذي يؤكد بأن الواقع قيمة أولى لأنها مرتبطة بالإنسان.

لذلك فاللوحة عند ناصر الدين هي تعبير عن رؤية وعن موقف، ودراسة أعماله تكشف لنا عن عمق إخلاصه والتزامه بالواقع الاجتماعي والجغرافي الذي عاش فيه، حيث نهل من هذا الواقع وسجل لوحات لا تزال شاهدة على تلك الحقبة الزمنية من تاريخ الجزائر.

أعماله الفنية :

لقد برع ناصر الدين في تصوير الأحداث التاريخية والوطنية الجزائرية كما في لوحة (الكمين). التى تصور ثلاثة مقاتلين جزائريين ينصبون كميناً للمستعمرين ونلاحظ في هذه اللوحة دور العيون المعبرة التى ترصد الطريق وحركات الأيدي التي تشير الى العدو.

هذه اللوحة هي رمز لأمة عقدت العزم على النصر، وهي تمثل وتعبر عن مرحلة من مراحل جهاد الشعب العربي في الجزائر من أجل الحصول على حريته واستقلاله.

كما نجد الخشوع يظهر تماماً في لوحة (الصلاة)، فهناك انسجام بين القوة الهادئة للرجال وبين عمق الإيمان المتجلي في الموقف وفي النظرة وحركات الأيدي المرفوعة للدعاء.

فالموضوع هنا والحركة وقوة التعبير حققت تماماً هدف الفنان.

ونلاحظ براعته في تصوير العواطف الإنسانية ودقته في التعبير عنها كما في لوحة (في ضوء القمر) وهو الرفيق الوفي للعشاق الصحراويين ويسترعي المتأمل في هذه اللوحة التى تمثل (عاشق ومعشوقته) تلك الألفة الروحية التى تنعكس على شخوصه ويحتل خلفية اللوحة جذوع الدفلى بأزهاره التى تتصاعد في



الفلقة



الصلاة

توازن. ونلمح أيضاً في تلك اللوحة غنى وثراء برسمه للتفاصيل الدقيقة لتلك المنمنمات على الملابس والحلي الفضية.

كما كان لأطفال (بوسعادة) حضور في لوحات (ناصر الدين)، ففي لوحة (فتيات بو سعادة) نشاهد ثلاث فتيات صغيرات يخرجن بوجوه مضيئة وعيون تشع فرحاً من تحت الإيشارب الذي ظللهن من أشعة الشمس اللاهبة، وقد أبرز الفنان من خلال الملامح ورسوخ البناء ذلك الإحساس بالطفولة. وفي لوحة (الفلقة في مدرسة تحفيظ القرآن) نشاهد التلاميذ يمسكون زميلهم وقد أسند أحدهم ركبته على صدره ليمنعه من الحركة، والمعلم يقوم بدوره في ضرب التلميذ بالعصا.

ونلحظ في هذه اللوحة الخطوط المنسقة برشاقة ويسر في حركتها والوجوه التى تنظر نحو مركز اللوحة المتمثل في (التلميذ) مما يؤيد أصالة العمل.

أما اللوحة التي تعتبر أكثر اللوحات تأثيراً في النفوس هي لوحة (المكفوفة والشبيبة اللامبالية). فهي تحكي قصة جيلين يجمعهما مصير واحد وهدف واحد فالطفل يمسك بيد الطفلة ويد الطفلة تمسك بملابس الجدة (المكفوفة) وهما يداعبان الطير غير مبالين بما يحدث، لكنهما يمثلان الأمل والمستقبل والغد المشرق وهما يسيران على الطريق الذي رسمه أجدادهم والمتمثل في المرأة (المكفوفة) حيث ترك الزمان بصماته على وجهها المتجعد النحيل.

الى جانب ذلك قدم الحاج (ناصر الدين) عدداً من اللوحات المهمة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (الرقص بالإيشارب، راقصة مع الطرحة، راقصة أولاد نائل، العرافة، ملابس العيد، في عهد الاستعمار، الواحة، مواكب الإيمان، سطوح الأغواط، عهود الفقر، الأهالي المحتقرون، نساء بوسعادة) وغيرها من اللوحات التى تمثل روح الصحراء.

كانت تلك أهم الموضوعات التى تناولها (ناصر الدين) حيث عكس من خلالها مدى عشقه للصحراء العربية وللناس الذين أحبوه وأحبهم، فرد الجميل برسومات تعتبر مقطوعات شعرية بالغة الرقة والعذوبة لبساطتها وجمال ألوانها.. وليس هذا بالغريب، لأن (ناصر الدين) فنان مثقف، وبالتالي انعكست ثقافته على فنه فظهرت مقدرته الكبيرة في تطبيق القواعد والأسس الفنية من منظور وخط وقيم لونية وظل ونور وكتلة وفراغ وملامس على سطح لوحاته.

بعض ما قاله النقاد عن فنه:

كتب مدير الفنون الجميلة بالجزائر الأستاذ (سيد أحمد باغلي) يقول: «وكان قديرا على التقاط الخطوط الرئيسية، بارعا في مزج الألوان وتحقيق الانسجام بينهما وبين الضوء في جوها العام، مما جعل النقاد يشبهونه (بآنغر) و(كوربيه) و(مانيه) أو بالسويدي (زورن). يضاف الى هذا مهارته في تصوير العواطف ودقته في التعبير عن الحالات النفسية، ويسترعي المتأمل في رسمه تلك الألفة الروحية التى تنعكس على أشخاصه، فتكشف عن هذه الحالات وعن الظروف والقيم الاجتماعية والثقافية التى يعيشون في ظلها، والتى اتخذها (دينيه) موضوعا للتأمل والتفكير).

وقال عنه وزير الإعلام والثقافة الأسبق بالجزائر الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي: «إن (دينيه) قد عرف في وقت مبكر كيف ينبذ تلك المؤضوعات التى كانت مألوفة لدى المستشرقين التقليديين، ليحقق بطريقته الخاصة فنا من ذلك (الجمال ضمن الحقيقة) كما وصفه بحق أحد النقاد».

أما محافظ متحف لوكسمبورغ (ليونس بينيديت) فقد قال: «استطاع (دينيه) أن يصور الجمال أروع تصوير، وأن يستخرجه من الحقيقة التى لا توجد حقيقة سواها».

وقال عنه الفنان الجزائري الكبير (محمد راسم): «لم يكن ناصر الدين باحثا في علم الأجناس البشرية، ولا متمحصاً في الفلكلور (الفنون الشعبية) بل كان فناناً بكل معنى الكلمة، ورجلا يتقن مهنته، وكان من ذوي العواطف النبيلة، والفكر النير، والإيمان الصادق. وكان - مع ميله للعزلة - يتمتع بشخصية جذابة في ذلك الوسط الأوروبي الذي كان ينتقد عمله الفني لغرض خفي في نفسه وهو التعبير عن استنكارهم لاعتناق (دينيه) الإسلام».

وقالت عنه مجلة الشباب الجزائرية: «وله في صوره نزوع الى الإبداع والابتكار، حتى إنه يعد في العصر الراهن يعد من أشد الرسامين ولوعاً بترقية الذوق الفني. وأعظم رسوماته رسم مشهد (الأنديجينا) المؤثر الذي مثل فيه أثر أغلال العبودية».

وأخيراً يقول الكاتب والناقد والفنان التشكيلي الجزائري (أحمد عبد الكريم) في مجلة العربي - العدد ٤٦٤ - ١٩٩٧م: «تدين الحركة التشكيلية في الجزائر بالشيء الكثير للفنان (ناصر الدين دينيه)، وذلك لأنه تحول الى مدرسة مرجعية، تتلمذ فيها الكثير من فناني الجيل اللاحق، مأخوذين بصدق تعبيره، وسحر تجسيده لحياة الإنسان في الصحراء، وقدرته على التعامل الفذ مع الألوان والضوء والظلال.

ولأن هذا الفنان فرنسي النسب والمولد، فقد كان مسلم الروح والانتماء وليس أدل على ذلك من لوحاته الغامرة بالتقاليد والمعاني الإسلامية، والمليئة بالدلالات الحضارية لأمتنا، المعبرة أصدق تعبير عن مضامين جزائرية قلباً وقالباً، شكلا ومحتوى.

.. كما كان ولاؤه كبيراً لقضية الأمة الجزائرية، فقد انحاز لها برغم كونه فرنسياً، وانتصر لعدالة قضيتها عندما كانت تعاني الظلم الاستعماري، وذلك ما يتجلى في لوحاته: (العمياء - عهود الفقر - الأهالي المحتقرون)، وهي لوحات تحمل إدانة صارخة للممارسات الاستعمارية، التى تجانب قيم العدالة والحق».

وفاة ناصر الدين :

لكن جسد (ناصر الدين) لم يقو على مقاومة المرض فوافته المنية في ١٩٢٩/١٢/٢٤م بباريس - وأقيمت له صلاة الجنازة في مسجد باريس، ثم نقل جثمانه الى (بوسعادة) في ١٩٣٠/١/١٢م عملا بوصيته، ليدفن تحت القبة التي بناها في مقبرة بوسعادة الإسلامية.

كما دفن صديقه (سليمان) تحت نفس القبة، وبجانبيهما رقدت زوجة (سليمان)، فكانا رفيقي حياة وممات.

وتكريما لذكرى الحاج ناصر الدين قام (جيلالي مهري) بفتح غاليري في باريس وأطلق اسم ناصر الدين عليه، لكن للأسف لم يقدر لهذا المشروع أن يكتب له النجاح.

في عام ١٩٩٣م افتتح متحف الحاج ناصر الدين في بوسعادة وهي لفتة جميلة من الجزائر للفنان ناصر الدين الذي اتسم بالإيمان والعلم والثقافة وترك بصمة مضيئة في سفر التاريخ لتكون مناراً لشبابنا ومثقفينا وفنانينا يسترشدون به في رحلة الحياة.

بقي أن نقول إن فن الحاج ناصر الدين لازال في موضع تقدير واحترام من قبل الدارسين والمهتمين والباحثين سواء في داخل الوطن العربي أو خارجه، حتى إن لوحاته تباع الآن بأسعار تتراوح ما بين ٧٠٠ - ٨٠٠ ألف فرنك فرنسي.

هذه هي رحلة الفنان (ناصر الدين دينيه) الذي اعتنق الإسلام وهام حبا في رسم صحرائنا.

بلاغة المقابلة في كتاب «رسائل الأحزان» لمصطفى صادق الرافعي

تمهيد: حول المقابلة:

معلوم أن المقابلة في التراث البلاغي العربي تعني: «ايراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة»[١]. والملاحظ أن «الموافقة» و«المخالفة» يحضران دوما في تحديدات البلاغيين القدماء للمقابلة[٢].

والمخالفة في المقابلة أوضح من الموافقة إلا إذا كانت هذه الأخيرة في المستوى الصوتي، ومن ذلك قول البحتري (٢٨٤هـ):

فــإذا حــاربوا أذلوا عـــزيزا

وإذا ســالموا أعــزوا ذليــلا

قابل الشاعر بالمخالفة بين معان متعددة وراعى ترتيبها:

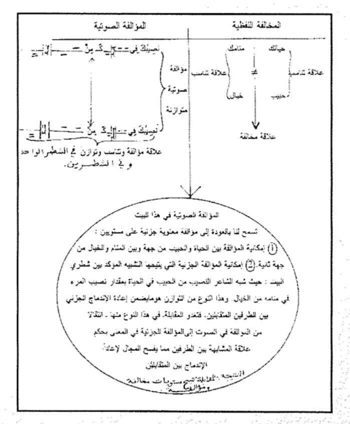
إذا حاربوا	أذلوا	عزيزا	→ مخالفة معنوية	موافقة صوتية
إذا سالموا	أعزوا	ذليلا		

والموافقة في المقابلة قد تحدث **في المعنى**، كما تحدث في التوازن الصوتي، أما ما كان منها في المعنى، ففي مثل قوله تعالى: **{فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا}**[٣] فهناك مقابلة بالموافقة بين **خراب البيوت وظلم أصحابها**، أي مقابلة الفعل بالفعل[٤]. أما ما كان منها في التوازن الصوتي، ففي مثل قول المتنبي (٣٥٤هـ):

نصـيـبك في حـيـاتك من حـبـيب

نصـــيـبك في منامك من خـيــال

ففي البيت بنْية مخالفة بادية في التقابل المعنوي بين **الحياة والحبيب** من جهة، وبين **النوم والخيال** من جهة ثانية[٥]. وفيه بنية موافقة بادية في التوازن الصوتي، يمكن توضيحهما فيما يلي[٦]:



بهذا التصور الذي يجمع بين المؤالفة والمخالفة في المقابلة سنعمل على تتبع قضية التقابل في كتاب «رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب» لمصطفى صــادق الرافــعي (١٨٨٠ - ١٩٣٧م)، وذلك بعــدم

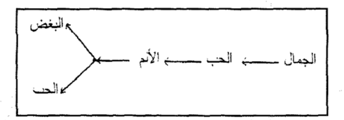


مصطفى صادق الرافعي

الخضوع المطلق لتقابل المفردات، حيث سيتم التركيز على تقابل الفكرة في شموليتها، أي تطبيق أبعاد التقابل على النص/ الكتاب كله، تمشيا مع الإطار الفلسفي المترامي الذي تموج به الفكرة الإبداعية لدى الرافعي؛ إذ لما تتفجر - لديه - طاقة الإحساس والشعور يقود فكرته نحو عوالم مصبغة بألوان خاصة.

١ - بلاغة المخالفة:

ونعلن هنا أن طرفي التقابل مصدرهما شخصيتان هما: الرافعي وحبيبته «مي» فجمالها ولَّدَ الحب والحب ولَّد البغض، لكنه بغض لا يعدو أن يكون لونا من ألوان الحب لدى الرافعي:



هذه التقلبات هي نتيجة التقابل بين الرافعي و«مي» في مستوى أول هو مستوى التقابل على وجه المخالفة وهو تقابل مؤقت سيزول فيما بعد[٧]:

بقلم : **عبدالله موساوي**

كلية الآداب - مراكش

الطرفان	هي (مي)	هو (الرافعي)
بعض الصفات المميزة	- كلها كبرياء .. . - يمين حَلَفَ الدهر بها... - سيل تتحلّ فيه السحب. . - رّوح بُلْبل. ..	- كبرياء الكبرياء - كلمة استوى ظاهرها وباطنها - قمة الصخر تغسلها السيول ولاتشققها - روح نسر.. .
نتيجة التقابل	"حاول العصفور الصغير[مي] أن يطوي النسر[الرافعي] في جناحيه وهو لايبلغ قصبة في ريشة في جناح هذا النسر، ولكنه .. آه ولكنه طواه في غير جناحيه" [8] أي طواه في قلبه.	

هذه بعض الصفات المميزة لكل من الرافعي و«مي» متبوعة بنتيجة تستصغر «مي» في البداية وتستكبر الرافعي لتقود - في الأخير - الى استكبار «مي» واستصغار الرافعي.

ونتابع التقابل بين الشخصيتين فيما يلي:

يقول الرافعي: «كان لي صديق خلطته بنفسي زمنا طويلا. وكنتُ أعرفه معرفة الرأي، كأنه شيء في عقلي، ومعرفة القلب، كأنه شيء في دمي. ثم وقع فيما شاء الله من أمور دنياه حتى نسيني، وطار على وجهه حتى غاب عن بصري، والتفَّتْ عليه مذاهبه فما يقع الى من ناحيته خبر؛ وامتد بيني وبينه حول كامل خلا من شخصه وامتلأ من الفكر فيه»[٩]. يمكن ملاحظة التقابل المعنوي على مستويين:

الأول: أعرفه معرفة العقل # حتى نسيني

أعرفه معرفة القلب # حتى غاب عن بصري

الثاني: حول كامل خلا من شخصه # وامتلأ من الفكر فيه.

أما جانب المؤالفة على المستوى الصوتي فيضمنه التكرار في النص بوصوامته بصوامته.

يقول الرافعي كذلك: «وأحاول أن أرى تلك الطلعة الفاتنة التى انطوى عليها القلب فانبثَّ نورها في حواشيه المظلمة»[١٠].

هناك عالم «مي» الفاتن، وهناك عالم الرافعي: قلبه بين نور الفتنة ونار الظلمة. ففي الوقت الذي يظل فيه الرافعي تحت وطأة متناقضين، ينسجم لدى «مي» النور، والفتنة الجمالية.

ويمكن ملاحظة التقابل بين عالمي الرافعي وحبيبته «مي» على مستوى التعارض القائم بين علاقة الجزء بالكل، يقول: العالم لكل الناس، غير أن لكل إنسان عالما هو خالصة نفسه، وعلى أن هذه الدنيا مترامية الى كل جهة تدلى عليها السماء، فإن أراضيها الخمس بما رحبت لا تقوم عندي بتلك الجدران الأربعة التى رأيت فيها من أحببتها[١١].

فهناك عالم الناس جميعا: الدنيا المترامية، وهناك عالم الرافعي: الغرفة التى رأي فيها التى أحبها؛ أوسع من الدنيا الرحبة، وهنا **يصبح الجزء أكبر من الكل**، وهي فلسفة خاصة بالرافعي في هذا الموقع وفي هذا المقام.

وفي إطار غرابة التقابل بين عالمين، يتحايل الرافعي على فكرته، فإذا كان في المثال السابق جعل الجزء أكبر من الكل تمشيا مع فلسفته الخاصة ومقامه المعبر، فإنه قلب موازين عالمي الحب والهجر أيضا من خلال قوله: «ومع الحب عالم كثيف ينشيء في كل يوم ألما، ومع الهجر عالم مجرد يحدث في كل يوم سلوة»[١٢]. فكثافة عالم الحب تحدث الألم، وتجريد عالم الهجر يحدث السلوة، وبذلك يصير الهجر أنفع وأجدى من الحب، وهي فلسفة لها مقامها في كتاب الرافعي، كما سبقت الإشارة.

ونلاحظ التقابل بين الشخصيتين ـ الرافعي ومي ـ ينتقل الى تقابل في الشخصية الواحدة، ومن ذلك تقابلات شخصية الرافعي من خلال تقلباتها في علاقتها «بمي»، يقول مثلا: «فإن هذا الحب جعل في عقلين لا عقلا واحدا؛ أحدهما يُقرّني في هذه الدنيا والآخر ينقلني الى ثانية؛ دنيا الناس جميعا ودنيا امرأة واحدة؛ دنيا السموات والأرض ودنيا قلبي، في العقل الأول تنحل كل المشكلات، وفي الثاني تتعقد كل البسائط»[١٣].

فالرافعي يجد نفسه بين عقلين متنافرين أحدهما يعقل النظر الى هذه الدنيا، والآخر يعقل النظر الى المرأة التي أحبها، ويصير العقل الثاني أعقد من الأول، لأن الرافعي قد يفهم مكنونات الدنيا وأسرارها، ويعجز عن فهم كيد المرأة المحبوبة. ونتابع هذه التقلبات التى تخضع لها شخصية الرافعي من خلال قوله: «وأنا بين هذين العقلين كأني عالم عجيب حقائقه هي خرافاته»[١٤].

هذه النظرة الحقيقية والخرافية معا، لهذا العالم العجيب تساير تعقد البسائط في دنيا المرأة وانحلال المشكلات في دنيا الناس حسب الرافعي.

ويصف الرافعي حاله بما يقابله ويناقضه قائلا: «فأنا بين نقمة تفجأ وبين عافية تتحول وكأنه لا عمل لي إلا أن أصعد مئة درجة لأهبط مئة درجة»[١٥].

فالعافية التى تتحول تصعد به مئة درجة والنقمة التى تفجأ تهبط به مئة درجة أخرى، مما يظهر التقابل حاداً.

ونضيف مثالا آخر تتضح فيه حدة التقابل في قوله: «وكأنما أعيش في هذه الأرض عيش من وضع رجلا في الدنيا ورجلا في الآخرة»[١٦].

أما التقابل في شخصية «مي» فيمكن تتبعه من خلال الأمثلة الموالية، يقول الرافعي: «وكنت أراها أحيانا في جمالها وتأثير جمالها كأنها طاووس من طواويس الجنة على كل ريشة فيه لون من ألوان النار»[١٧].

لقد تصور الرافعي جمال «مي» في درجتين حسنيين هما: جمال الطاووس، وجمال الجنة معاً، أما

الطرف المقابل لهذه الصورة فهو: كل ريشة عليها لون من ألوان النار. ويقول عن «مي»[١٨]:

أمـا السَّـمـا فـجلت عليــهم بدرها
والأرض قـد عـرضت لذاك غـزالهـا.

هذا تقابل من أجل الزيادة في صفة الجمال، ذلك أن جمـال «مي» جعلها بدرا في السمـاء وغـزالا في الأرض، وفي كـلا الحـالين سـواء في السـمـاء أو في الارض فـهي فـاتنة. غيـر أن فـتنة جمـالهـا لا تجـعل الرافـعي في مـأمن من الحيرة التي يعبـر عنها بقـوله: «وفتور في اللحظات تدل على أن في قلبها منك شـيئا تحب ألا يظهر لك وتحب ألا يخفى عليك»[١٩].

وتظهـر حيرة الرافـعي أكثـر في قوله: «ولعمـري إني لأريد أن أنساها ثلاث مرات لا مرة واحدة، ولكنها في ذكراي كأنها ثلاث نساء: واحدة في الرضا وثانية في الغضب وثالثة بين ذلك، واحدة في كلمة، وأخرى في قبلة وثالثة في معنى من المعاني»[٢٠].

الملاحظ أن الرافـعي يقابل بين نفسـه وبين «مي»، ويقابل بين تقلباتها كـأنها ثلاث نسـاء واحدة تغضـبه وثانية ترضيه وثالثة بينهما .. أشار إليها بقوله «وثالثة في مـعنى من المعـاني» وهذه الثـالثـة ذات الأوصـاف الخفية، تسمح بتأويل أوصافها نحو إعادة الإندماج بين الطرفين: الرافعي و«مي».

وإذا كنا قد بينا التقابل على جهة المخالفة فيما سبق، فإننا سنتحدث عن التقابل على جهة المؤالفة فيما سيلحق.

الإنسجام بينهما مرة أخرى. وهذا سر من الأسرار الخفية للمقابلة إذ كثيرا ما نقف على مستويات المخالفة فيهـا[٢١] وقليـلا ما نقف على بُعد المؤالفة، وفي هذا الشـأن يقول الدكتور منير سلطان: «وهـم قد قـصدوا بالمقابلة بين الجملتين، إقامة التجانس، واطراد الترابط، وتواصل العلاقات بين جنبات السياق، بغض النظر عن طبيعة هذه العلاقات، ضدية أو مطردة»[٢٢].

ونلاحظ طلائع هذا الإندمــاج والتــرابط بين الطرفين من خلال طرح السؤال المتجاهل للحقيقة في قـول الرافـعي: «ولكنني أكـتبُ الآن وقـد تركتُ الحب وتركني. خرجت من المعركة فنشبت نفسي في معركة أخرى لا أدري أهـي قـائمـة بين الحب والبـغض أم بين الحب والحب»[٢٣].

هذا النص يعيدنا الى السلسلة التى تنسجها العلاقة بين الطرفين في كتاب رسائل الأحزان وذلك واضح من خلال العنوان: «رسائل الأحزان في فلسفة الجمـال والحب» فـالكتـاب عبـارة عن رسـائل ـ فـعلا ـ والأحـزان سببها الحب والحب سببه الجمال، وتفاعل هذه العناصـر كلهـا، لدى الرافـعي، جـعل تناوله لهـا تناولا فلسفيا يبيح المستحيل حينا ويستبعد الممكن حينا آخر، وتأتي خصوصية هذه الرؤية لدى الرافعي من رؤيتـه الخـاصـة للكون، ولا يـهمنا نحن من ذلك كله إلا مستويين:

الأول : الجمال ← الحب ← البغض
(مي) (الرافعي ومي) (الرافعي)
← جهة المخالفة →
مستوى المخالفة الذي اتضح في المحور السابق

الثاني : الجمال ← الحب ← البغض ← البغض لون من ألوان الحب
(مي) (الرافعي ومي) (الرافعي) (الرافعي)
← جهة المؤالفة →
مستوى الإمكانيات المتعددة للمؤالفة الصوتية والدلالية التي نتابعها في المحور الثاني.

٢ ـ بلاغة المؤالفة :

ويأتي تقـابل المؤالفـة للربط بـين الطرفين ـ الرافــعي و«مي» ـ والتقريب بينهمـا، وذلك لأن عـامل التقابل بـالمخالفة سببه هو الحب، والسـبب نفـسـه قـابل ليـحـقق

يقول الرافعي: «على أنك لم تفقد مني في هذه السنة إلا بضعة كتب وكلاما كنا نترسل به، وليس فيه إلا الحبر، فسأرد عليك من ذلك كتب سنوات وأعوضك برسائلي كلاما فيه دمع العين ودم القلب. فقدتني صديقا يهز يديك بتحيته والآن أعود إليك شاعرا يهز قلبك بأنينه. فقدتني شخصا وسأرجع إليك كتابا»[٢٤].

يبدو أن التقابل في هذا النص يحمل وظيفة الشرح والتأكيد: كتب فيها كلام مُحَبَّر مقابل كتب فيها كلام مُعَبِّر عن دمع العين ودم القلب، وهذا التقابل بمثابة إضافة معنى أكثر قوة وفاعلية، لأن الكلام المحبَّر يقل شأنا إذا قورن بالكلام المعبر عن دمع العين ودم القلب. ونلاحظ مثل هذه الزيادة في المعني، في مقابلة عبارتي: فقدتني صديقا يهز يديك بتحيته وأعود إليك شاعراً يهز قلبك بأنينه، والأمر نفسه في: فقدْتني شخصا وسأرجع إليك كتابا، لأن هذا الأخير يحوي عصارة الفكر التى لا تظهر على الشخصية الخارجية للإنسان. ففي هذا النص تقابل مؤالفة معنوية تفيد الزيادة في المعنى وتؤكده.

أما المؤالفة الصوتية فتنطبق على كل الأمثلة السابقة بدرجات متفاوتة بحسب تناسب التقابل وترتيبه. ويمكن متابعة أمثلة أخرى تتضح فيها إمكانيات الإندماج بين الطرفين في قول الرافعي:

- «وقد تكون الجدوى والمنفعة من الجمال في بغضه أحيانا أكثر مما تكون في حبه»[٢٥].

- «فإني لأعلم أن كل شيء حبيب ممن نحبه حتى البغض إذا كان يدل على حبه ولو دلالة خفية»[٢٦].

- «ولن تظهر قدرة الجمال وما فيه من القوة الأزلية إلا إذا حملك على بغضه بعد أن يحملك على حبه فيقتلك مرتين كل مرة بسلاح وكل مرة بنوع من الألم»[٢٧].

- «وسيبقى سبب هذا البغض من سر الحب الذي لا يعرف»[٢٨].

- «البغض شيء مؤلم والحب شيء كالألم»[٢٩].

نستنتج من هذه الأمثلة ما يلي:

١ - المنفعة في بغض الجمال وفي حبه.

٢ - البغض حبيب عندما يدل على الحب.

٣ - القوة الأزلية للجمال تحمل المرء على حبه وعلى بغضه.

٤ - سبب البغض من سر الحب.

٥ - البغض والحب مؤلمان.

إذن: المنفعة في بغض الجمال وفي حبه، وذلك عندما يدل البغض على الحب ولا يتأتى ذلك إلا إذا وصل الجمال قوة أزلية، إذ ذاك يصير الإندماج ممكنا بين الحب والبغض: يؤلمان معا أو يسعدان معا.

لقد وجد الرافعي نفسه في بحر التقابل الظاهري بينه وبين «مي»، والإندماج الباطني بين بغضه وحبه لها، لأنه جُن بفتنة جمالها «فجمال تستحسنه وآخر تعشقه، وجمال تجن به جنونا»[٣٠].

ولا شك أن الرافعي قطع مراحل من الحب حتى استقر على مرحلة قصوى تصله الى الجنون، وهذا النوع من الحب يسمى «التَّدْليه» ولا يتحقق إلا إذا مر بمراحل هي[٣١]: الهوى، العلاقة، الكلف، العشق، السَّعف، الشَّغف، الجوى، التيم، التَّبْلُ، التَّدْليه وهو ذهاب العقل من الهوى. و«الدَّلَهُ» في لسان العرب و«الدُّلُهُ» مثله: «ذهاب الفؤاد من هم أو نحوه كما يدْلُهُ عقل الإنسان من عشق أو غيره (...) والتَّدَلُّهُ: ذهاب العقل من الهوى»[٣٢].

والنتيجة من ذلك كله أن في الدَّله تختلط الممكنات والمستحيلات ما دام الأمر يصل الى حد الجنون، فلا غرابة إذن إذا انقلب الحب غضبا وبغضا، وقد عبر الرافعي عن ذلك في قوله: «ولكن كل شيء فإنما هو

باعتباره في نفسه وباعتباره لنفسه؛ ألا وإن الزلزلة التي يضرب بها ذلك الجبل القائم من نفسه إنما رقة رقة الحب»[٣٣].

خاتمة :

لقد رأينا أن المقابلة في التراث البلاغي العربي: إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في اللفظ والمعنى على جهة المخالفة أو المؤالفة. ولاحظنا أن الرافعي استغل عنصري المخالفة والموافقة التي سميناها مؤالفة في مقابلة مواقفه بمواقف «مي» حينا، ومؤالفة بينهما حينا آخر، وذلك لوجود قوة الرابطة الازلية للحب لدى الرافعي، حيث إنه انطلق من الإحساس بالجمال ليتولد لديه الحب الذي ولَّد بدوره البغض. والحديث عن هذا التناقض والتقابل الظاهري يخلص في الأخير الى الحب، وهو بذلك انطلق من الحب وانتهى إليه، الشيء الذي جعل المتقابلات مؤقتة سرعان ما انتفت ليحل محلها الإندماج والترابط الذي يؤالف بين الرافعي و«مي». ودلالة هذا الإندماج قول الرافعي: «لقد وصفتها لك أيها العزيز وملأت رسائلي منها، غير أني والله ما أدري أوصفتُها أم وُصفْتُ بها، وكتبْتُ منها أم كَتَبْتُ عنها»[٣٤].

ففي هذا النص مؤالفة صوتية: وصفتها وصفت بها .. كتبت منها كتبت عنها .. ومؤالفة معنوية: إذ بقدر ما توصف الحبيبة في الكتاب، يوصف الرافعي، وبقدر ما يكتب عنها، يكتب عن نفسه في الكتاب كله.

الهوامش:

(١) أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) الصناعتين، تح: على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط؟، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٦، ص ٣٣٧.

(٢) انظر قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط، بيروت، دار الكتب العلمية (د.ت)، ص ١٤١. وانظر ابن رشيق (٤٥٦هـ) «العمدة» تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط٥، بيروت دار الجيل، ١٩٨١، ج٢، ص ١٥.

(٣) سورة النمل، الآية ٥٤.

(٤) أورده العسكري في الصناعتين، ص ٣٣٧.

(٥) محمد العمري: الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية ط١، البيضاء، النجاح الجديدة (سال) ١٩٩١، ص ١٣.

(٦) نفسه، ص ١٣ ـ ١٤.

(٧) انظر هذا التقابل في الصفات في: رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب، للرافعي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤، ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٨) نفسه ، ص ٢٥.

(٩) نفسه، ص ٥، ويقصد الرافعي بالصديق في النص حبيبته «مي» فهو يخاطبها في بداية كتابه بضمير المذكر لتضليل القارىء.

(١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠،) نفسه، ص ١٣، ١٣، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٩١، ٢٨، ٤٠، ٧١، ١٥.

(٢١) أنظر محمد بركات حمدي أبو علي: البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، ط ١ ، عمَّان، دار الفكر ١٩٨٣، ص ١٢٨.

(٢٢) منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، ط؟، الاسكندرية، منشأة المعارف ١٩٨٦، ص ١١٦.

(٢٣) رسائل الأحزان، ص ٢٢.

(٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) نفسه، ص ٦، ١٢، ١٢، ٢٣، ٢٤، ١٤١، ١٠٩.

(٣١) انظر مراتب الحب عند أبي منصور الثعالبي في كتاب: فقه اللغة، تحقيق: جمال طلبه، ط ١، بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩٤، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣٢) ابن منظور: لسان العرب، ط٣، بيروت دار صادر ١٩٩٤، ج١٣، مادة (دله)، ص ٤٨٨.

(٣٣) رسائل الأحزان، ص ٩٣.

(٣٤) نفسه، ص ٩٨.

حنا مينه وجمالية النموذج

لقد أصدر حنا مينه الى حد الآن واحدا وعشرين نصا روائيا، وهو يكاد يكون الروائي العربي الوحيد المنتظم في إصداراته، إذ يظهر للناس في كل عام رواية جديدة، ولا أحد يشك في أهمية التراكم الإبداعي في الجنس الواحد، ولدى الكاتب الواحد والمبدعين المعترف لهم بقدرتهم الإبداعية، من المقلين، قلائل ومع ذلك فلوفرة التراكم أيضا إشكالياته الإبداعية وعوائقه الفنية، فالتراكم - ضرورة - إضافة فنية نوعية، وهو تجاوز للتجربه الإبداعية الذاتية وتجاوز للسائد من المفاهيم والرؤى المتصلة بالإبداع. على هذا النحو نستقبل تلك النصوص الجديدة التى كتبها حنا مينة ولم يسبق لنا أن تعرفنا إليها في كتابنا «حنا مينة: كاتب الكفاح والفرح»[١]، وهذه النصوص نحصرها في العناوين التالية مرتبة حسب تواريخ صدورها: حمامة زرقاء في السحب (١٩٨٨) - نهاية رجل شجاع (١٩٨٩) - الولاعة (١٩٩٠) - فوق الجبل وتحت الثلج (١٩٩١) - الرحيل عند الغروب (١٩٩٢) - النجوم تحاكم القمر (١٩٩٣).

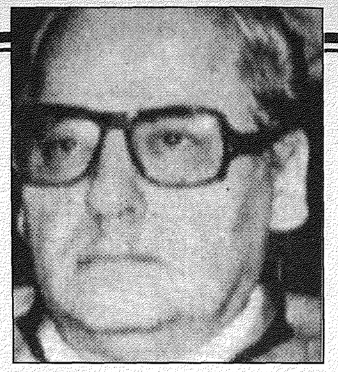
وعلى الباحث في أدب حنا مينة يلح سؤال عميق: إلى أي مدى استطاع حنا مينة وهو ذو تجربة ابداعية عميقة - أن يتجاوز ذاته في هذه النصوص الجديدة ويتحرر فيها من النماذج السردية التى صاغها بنفسه ونحتها من خلال نصوص إبداعية، أصبحت الآن شهيرة؟.

لا يمكن للباحث المختص أن تفوته ملاحظة وردت في آخر ما كتب حنا مينة أي ذاك النص الذي يحمل عنوان «النجوم تحاكم القمر»[٢].

فلأول مرة يخص الكاتب قُرّاءه بصفحة يوضح فيها نهجه في كتابة رواية جديدة فهو يقول: «هذه رواية ومسرحية معا، فمن شاء أن يقرأها رواية ففي وسعه ذلك ومن شاء أن يقرأها مسرحية ففي ميسوره أن يفعل وهو مشكور على الحالين - إن التجريب، مع الابتكار، ليس صرعة قصدية بالنسبة إلي، بل هو هدف أسعى إليه مجتهدا، وقد تعدد وتنوع في رواياتي العشرين التى كتبتها حتى الآن وصدرت كلها عن دار الآداب، ويمكن الرجوع إليها أو الى بعضها، خاصة الذي صدر في السنوات الأخيرة، ليتأكد مما قلته في مناسبات سابقة عن تقلص مساحة السرد في رواياتي، ليتسع مجالها للحوار الذي أرى فيه تعبيرا أعمق عن الذات، وهذا النهج ليس اتباعا للرواية التى دعا إليها توفيق الحكيم وإنما هو محاولة في الرواية تمزج السرد بالحوار وتعطي للشخصيات أن تقول سريرتها في مكاشفة تنبنى على أرحب مدى من الحرية»[٣].

إن أهمية الملاحظة تكمن في أن حنا مينة يذكر لأول مرة عبارة «تجريب» بمعناها الإيجابي، فرغم محاولة التمييز بين التجريب والابتكار كأن التجريب ليس إبداعا متواصلا وابتكارا مستمرا، فإنه على كل حال ينبه الى أنه لم يعد يتعامل مع هذا المفهوم تعاملا يحمل معنى الرفض، أليست روايته الجديدة هذه - النجوم تحاكم القمر - في بعض وجوهها وكما يراها

بقلم : د. محمد الباردي
كلية الآداب – تونس


حنا مينه

إن دلالة الموقف تتمثل في أن حنا مينة وقد بلغ أوج مراحل العطاء الأدبي أصبح الآن يدرك أهمية التجاوز، فالخطر الذي يمكن أن يهدد المبدع هو انغلاقه على ذاته فيصبح النموذج الذي غدا مكتملا منذ الأعمال الأولى متحكما في عملية الإبداع، يحدها ويقلص طاقتها التخييلية ومن ثمة يكون التجريب عند بعضهم، تحريرا متواصلا لطاقة الخيال وتجاوزا مستمرا للسائد من نماذج أدبية وفنية مختلفة ورفضا للنمط داخل تجربة المؤلف الواحد وخارجها.

بيد أن ممارسة حنا مينة للتجريب من خلال نصه الأخير «النجوم تحاكم القمر» .. تبدو لنا ممارسة محدودة، فهي لا تخرج عن تغليب الأسلوب المباشر على الأسلوب غير المباشر أو على حد تعبير المؤلف نفسه «تقلص مساحة السرد.. ليتسع مجالها للحوار»، فمنذ القديم أخذت الرواية عن المسرح أسلوبه الحواري ولكن الرواية تظل دائما جنسا تشخيصيا في حين تظل المحاكاة قوام المسرح، لكن الحوار في هذا النص الجديد تجاوز حده إذ قلص دور السارد فضاقت تلك الفسحة التى كانت تسمح له بالوصف والتأمل والنظر والتعمق في سبر أغوار الشخوص وتبرير تصرفاتهم، وإذا استثنينا الصفحات الأولى من النص حيث يقدم السارد البطل «عناد الزكر تاوي» في رحلته إلى بيت منعزل وهو كاتب روايات يحيل على المؤلف «حنا مينة» نفسه، إذ يذكر السارد في سياق الرواية تاريخ ميلاده وشخصيات رواياته.. ورواياته التى كتبها ويعرفها القارىء فإن الحوار يظل قوام النسيج السردي، عبره تقوم الأفعال وتنمو وتتطور ولكن هيمنة الحوار لا تشرع لهذا النص السردي خرق النموذج ولا

الكاتب ـ تحمل بعدا تجريبيا، وكذا الشأن بالنسبة الى الروايات العشرين السابقة كما يتصورها مؤلفها. لقد استقبل حنا مينة من قبل، كل تلك الحركات الأدبية في الرواية، التى تنأى عن الواقعية الخلاقة[٤] أي الواقعية الاشتراكية بروافدها المختلفة ووفق النموذج الذي صاغه لها، بضرب من النقد القاسي الذي يتحول في كثير من الأحيان الى رفض واضح، فكل الأشكال الأدبية التي تزيغ عن الواقعية كالوجودية والعبث وحتى الرواية الجديدة: تتصل حسب الكاتب بالمد الرجعي في الوطن العربي ويعتبرها من نتائج هزيمة العرب في يوليو ١٩٦٧م، وهو إذ يرفض «الرواية الجديدة» باعتبارها رواية شكلانية فهو كذلك يمتعض من مناهج النقد الحديث كالبنيوية والمنهج الاجتماعي، فالنقد الأدبي هو حسب اعتقاده ـ إبداع يعقلن الأثر الأدبي ويقوده، وهو في هذا السياق يتهم المثقفين المغاربة لأنهم ـ حسب اعتقاده ـ يروجون هذه الاتجاهات الأدبية الجديدة[٥]، ونحن لا نريد أن نجادل الكاتب في أفكاره، فهو مبدع ومن حق المبدع أن يفكر بالطريقة التي يراها بيد أن دلالة الموقف الجديد تهمنا لأنها تثير قضايا جديدة بالنسبة الى الكاتب والباحث معا.

** في روايات حنا مينة تتقلص مساحات السرد ليتسع مجال الحوار.

** النقد الأدبي ابداع يُعَقْلِن الأثر الأدبي ويقَوده.

تمنحه سمته التجريبية فالقارىء العربي وهو يقلب صفحات هذه الرواية الجديدة لحنا مينة، يجد نفسه - ضرورة - يفكر في نص مسرحي شبيه من حيث بنيته الفنية وحبكته العامة رغم مفارقته من حيث الفكرة والموضوع وهو نص «الطعام لكل فم» لتوفيق الحكيم، ثم إن تقليص السرد في بعض الروايات الأخيرة وخاصة في «النجوم...» يقترب النص السردي من المسرح لا شك ولذلك فهو يخرجه من جنسه - وهو جنس الرواية - ليدخله جنسا مغايراً وهو المسرح ومثل هذه العملية الإبداعية لا تثير إشكالية خاصة بطبيعة الجنس على أساس أن الجنس الروائي - كما أسلفنا - جنس تشخيص هجين بقدر ما تعكس رغبة المؤلف في الخروج من حدود الجنس وإشكالياته للارتماء في أحضان جنس بديل معروف.

إن المحاولة التجريبية الوحيدة في أعمال حنا مينة تتمثل في رواية (مأساة ديمتربو)[٦]، وللرواية في حد ذاتها قصة، فقد كان هذا العنوان في البداية عنوانا لقصة قصيرة حررها المؤلف سنة ١٩٧١ وصدرت ضمن المجموعة الأولى.. «الأبنوسة البيضاء» والنص الكامل لهذه الأقصوصة تحول في الرواية الى الفصل الأول تحت عنوان «الصوت الأول» وقد صدر برمته في مجلة الآداب[٧] كما صدر الفصل السادس من الرواية في مجلة المعرفة السورية ويهمنا بصفة خاصة الفصل الأول من هذه الرواية أو القصة القصيرة في حد ذاتها لأن التوسيعات التى أجراها حنا مينة على هذه القصة القصيرة وحولتها الى رواية أبطلت بعدها التجريبي وأعادتها الى النموذج السردي الذي بناه حنا مينة من قبل.

في هذه القصة القصيرة تنسج الوظائف السردية حكاية موسيقى يوناني الأصل يدعى ديمتربو يعيش تمزقا حادا بين العقل والقلب وفي لحظة من حياته أدرك أنه أصبح واقعيا أكثر من اللازم فاستغرق في عملية استيطان عميق، واكتشف أنه يحب أم تلميذه الذي يعلمه الموسيقى، وبذلك يجد ديمتربو العقلانى نفسه في مواجهة توأمه ديمتربو العاشق فقد اكتشف العاشق ابتسامة المرأة الجميلة مرسومة على الورق ولكن التوأم يتهمه بعقله ومنطقه ويؤكد له أن علاقة عشق بين موسيقي فقير وامرأة غنية تسمح لنفسها بأن تخص ولدها بمعلم للموسيقى لا يمكن أن تتحقق ولكنه عبثا يحاول أن يمحو الابتسامة على الورق. وهكذا قرر ديمتربو أن يعالج عقله حتى يعالج قلبه. وهكذا استخرج مخه من جمجمته وفحصه لعله يجد فيه مرضا ظاهرا يداويه وبذلك يستطيع أن يلقى درسه في الموسيقى دون أن يضعف أمام المرأة الجميلة، لكنه اكتشف أن عقله سليم سلامة قلبه ولم يعثر فيه إلا على ابتسامة مرسومة على شفة. وهكذا أصبح حبه حقيقة لا يمكن إنكارها فأدرك ديمتربو أن المرء لا يمكن له أن يفر من ذاته وينكرها.

في هذه القصة يقطع حنا مينة مع تشخيص الافعال النموذجية ذات البعد الواقعي ليبني أفعالا

سردية يتداخل فيها اللاواقع والرمز وتدنو من العجائبية بما هي إدخال عنيف لغموض في إطار الحياة الواقعية إذ تعرض القصة شخصية عادية تعيش في العالم الواقعي حيث توجد ثم توضع فجأة أمام ما لا يمكن شرحه، وهكذا يصبح الفعل السردي قطيعة من النظام المعترف به وبروزا مفاجئا لما لا يمكن قبوله في قلب الشرعية اليومية التى لا تتغير ولكن تحويل هذه القصة القصيرة التجريبية الى رواية أحدث في النص الجديد مفارقة غريبة بين مقطع سردي مخالف ومقاطع سردية أخرى مؤالفة بين مقطع يقطع مع الواقعية التقليدية ومقاطع تؤكدها وترسخها.

كذا الشأن بالنسبة الى رواية «النجوم تحاكم القمر»، فهي كذلك تحمل مفارقة لا تقل غرابة عن تلك التى أشرنا اليها في «مأساة ديمتريو» ففي حين يسعى الشكل ولو نسبيا الى الخروج عن الأسلوب الذي عرف به حنا مينة في رواياته الأولى المعروفة عبر تغليب الأسلوب المباشر وتقليص دور الأسلوب غير المباشر، يسعى المضمون من خلال الأفعال والشخوص الى تثبيت النماذج ومنحها شرعية لا تاريخية في مسيرة المؤلف، فالرواية في حقيقة الأمر هي حكاية شخصيات متخيلة كان المؤلف قد ابتكرها لتقيم محاكمة.. وهي في أغلبها شخصيات الروايات الأولى: المصابيح الزرق، الشراع والعاصفة، الياطر، ثلاثية البحر والربيع والخريف، والمؤلف لا يكاد يذكر من شخصيات الروايات التى صدرت في السنوات الأخيرة إلا «مران الطوراني» بطل رواية «فوق الجبل وتحت الثلج»، لكن دلالة هذه «الرواية» بالنسبة الى الباحث في أدب حنا مينة عميقة، فكأن المؤلف يريد من كتابة هذا النص الجديد، أن يحتفي بنماذجه الروائية فيقيم لها مجلسا خاصا ويترك لها المجال الواسع للتعبير عن ذواتها فمنها القاضي والمحامي ونائب الحق العام والشهود وغير ذلك من وظائف القاضاة وهي بذلك لم تعد مجرد شخصيات أدبية خرجت من مخيلة المؤلف، بل أصبحت نماذج اجتماعية مكتملة تدافع عن حياتها ووجودها وإن كنا لا ندرك في هذا النص الجديد مآل المؤلف في هذه المحاكمة التى اصطنعها فاننا على يقين أن هذه الشخصيات النموذجية لا تريد أن تحرر المؤلف بل تظل تلاحقه في كامل وعيه وفي مسيرته الابداعية على أساس أنها شخصيات اكتسبت شرعيتها الفنية في مراحل محددة من تجربة الكاتب ولكنها تصر كذلك على أن تغتصب شرعية لا تاريخية إذ ترفض أن تكون شخصية المرحلة بروافدها الابداعية ودلالاتها الاجتماعية والزمنية. والفكرة ذاتها راودت المؤلف منذ زمن بعيد يسبق صدور هذا النص السردي. ففي كتابه «هو حبس في التجربة الروائية[٨] يخصص فصلا وهو الفصل الحادي عشر من الكتاب عنوانه «محاوراتي.. مع أبطالي» يستهله بشرح يبرر فيه اهتمامه ببعض شخصيات رواياته والأسباب التى دعته الى العودة إليها بطريقة جديدة بعد انتهاء تجربة الخلق، فيقول: «العلاقة بين الروائي وبطله علاقة طريفة حينا، مزعجة حينا، غير عادية في كل حين بالنسبة لي، تتأزم هذه العلاقة حتى تشكل كابوسا على صدري، والغريب أن هواجس الرواية التى تنقلب أحيانا الى كوابيس، لا تأتيني في الليل وحده، بل تهاجمني في النهار أيضا وتفرض عليَّ نفسها وتقيم معي حوارا بالرغم عني، يتعبني، ويضجرني ويخرجني عن طوري أحيانا.. وإذا كان أبطال الروايات يصبحون أحياء تماما بالنسبة الى القراء، فهم أكثر حياة بالنسبة الى المبدعين الذين عليهم، مهما تهربوا أن يواجهوا مبدعيهم وأن يؤدوا أمامهم حسابا عن الظروف التى أبدعوهم فيها وأشكال هذا الإبداع ومبرراته وصحته وضرورته ومدى الانصاف فيه ومبلغ ما لحقهم من ظلم

ومن تشوه ومن أذى جراء كشف أسرارهم ونشر قصصهم وإعلان فضائحهم التى كانوا يريدون، أن تبقى على الخفاء[٩] ما نستنتجه هو أن حنا مينة يرفض ذاك الاعتقاد السائد لدى علماء الأدب الذي يؤكد أن صلة المبدع بشخصياته الفنية تنتهي بانتهاء عملية الإبداع لتبدأ علاقة جديدة، هي هذه المرة بين هذه الشخصيات الفنية ومتلقيها وهي علاقة متجددة ومرتهنة أساسا بعملية القراءة.

يبدو أن هذا الموقف بالنسبة الى حنا مينة يصبح قضية تتعلق بإوالية الإبداع في حد ذاتها، أفلا يحد هذا الكابوس الذي أشار إليه أثناء الحديث عن علاقته بشخصياته الفنية من قدرته على التخييل وإنشاء شخصيات جديدة وأجواء فنية مغايرة للأجواء السائدة التى كان قد صاغها في أعماله الكبرى أو بعبارة أخرى ألم يقع حنا مينة في أعماله المتأخرة في خطر النمذجة والتنميط باعتبارهما معادين للتجاوز والتجريب وعندئذ يصبح نص «النجوم تحاكم القمر» بمثابة الموقف الفكري الذي يبرر جمالية النموذج والنمط؟.

للإجابة عن هذا السؤال يمكن أن نقول منذ البداية إن حنا مينة في حقيقة الأمر يبرر جمالية النموذج. إن الإبداع بالنسبة إليه، ليس بالضرورة كسرا للنمط وقطيعة مع النموذج، فهو توليد مستمر لأشكال نابعة من أشكال قديمة صاغها المؤلف، بل هو تنويع متواصل على نغمة واحدة.

وإذا عدنا الى الأعمال الأخيرة التى أصدرها المؤلف نجدها مدونة صالحة للتنظير لجمالية النموذج لدى كاتب ثلاثية البحر، فمن الروايات المثيرة للانتباه رواية «جماعة زرقاء في السحب» فهي في حقيقة الأمر

** الابداع عند حنا مينة توليد مستمر لأشكال قديمة وتنويع على نغمة واحدة.

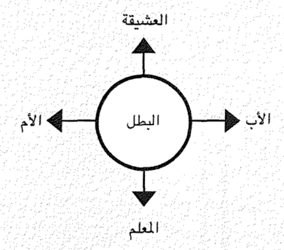
صياغة روائية لقصة قصيرة كان قد نشرها حنا مينة سنة ١٩٧٥ وصدرت من جديد في مجموعته «الأبنوسة البيضاء بعنوان» هذا ما بقى منه[١٠] ومن الغريب أن نلاحظ أن الكاتب حافظ على القصة كما وردت في «الأبنوسة البيضاء» بحذافيرها تقريبا فجل المقاطع السردية الرئيسية وردت في صيغتها القديمة وما فعله حنا مينة هو إضافة مقاطع سردية جديدة وتوسيع مقاطع قديمة، فمن المقاطع التي أضافها، ذاك المقطع السردي الذى يروي حكاية السيدة البرتغالية.. مارسيل ميشيل.. المصابة بالسرطان وابنتها «ليديا» التى أقامت علاقة مع البطل سرعان ما انتهت، والمقطع الذي يروي حكاية البطل في سورية بعدما أعاد ابنته المريضة من العاصمة البريطانية وقد يئس من شفائها، أما المقاطع السردية الموسعة فهي تتعلق بحكاية حياة البطل مع ابنته في لندن - بعد خروجها من المستشفى وحكاية دفن الفلسطيني الذي مات مصابا بمرض مستعص وبعض المقاطع التأملية التى تصف أزمة البطل وغربته. وهكذا يتأكد موقفنا الذى كنا قد أبديناه عندما لاحظنا أن «حنا مينة يغتال قصصه القصيرة ولا يرى فيها إلا مشاريع روائية ممكنة تنتظر لحظتها الابداعية للانجاز»[١١].

ومن قبل، كثيرا ما وظف الكاتب قصصه القصيرة في رواياته الشهيرة، فبالإضافة الى ملاحظتنا المتعلقة برواية «مأساة ديمتريو» أشرنا الى أن الكاتب أعاد صياغة موضوع قصته «علبة التبغ» في رواية «الثلج يأتي من النافذة» ومثلت قصتا «على الأكياس» و«رسالة من أمي» مادة سردية هامة في رواية «بقايا صور»[١٢] ويمكن للباحث أن يجد صدى

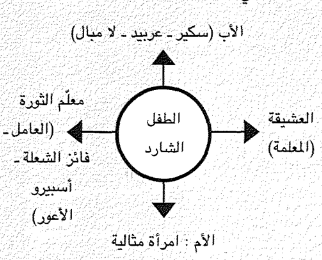
لكل قصة قصيرة كان المؤلف قد كتبها في الكثير من رواياته بشكل أو بآخر.

إن المسألة في رواية «حمامة زرقاء في السحب» لا تتمثل في مجرد استفادة كاتبها من إحدى قصصه القصيرة بل في أن بنية الرواية في حد ذاتها قد صيغت سلفا، فحظ الإبداع فيها لا يتجاوز ضربا من توسيع هذه البنية بإطالة بعض المقاطع السردية وإضافة مقاطع أخرى، ولذلك يمكن أن نقول إنها بشكل من الأشكال صياغة لنموذج سابق. ولكن هيمنة النموذج يبدو في بعض الروايات الأخرى.

لقد لفتنا النظر الى أن حنا مينة استطاع أن ينحت منوالا أخضع له جل رواياته وقد لخصنا هذا المنوال في الشكل التالي:



إن البطل في روايات حنا مينة محكوم بأربعة أطراف رئيسية هي الأم والأب والعشيقة والمعلم أو المرشد. وقد تحدد هذا المنوال شيئا فشيئا من خلال تجربة روائية طويلة بدأت بالمصابيح الزرق ولكنها - في اعتقادنا - بدا في صورته الأكمل والأبلغ في ثلاثية البحر (حكاية بحار - الدقل - المرفأ البعيد) وقد تتنوع صورة هذه الشخصيات الرئيسية من رواية الى أخرى ولكنها لا تخرق هذا المنوال إلا نادرا. وهذا المنوال في حد ذاته نجده في سيرة المؤلف الذاتية كما صيغت في «بقايا صور» و«المستنقع» و«القطاف» ونختزله في الشكل التالي:



وليس من الغريب أن نلاحظ أن هذا المنوال لا يكاد يغيب في الروايات المتأخرة التى كتبها حنا مينة. لقد حافظ كاتب ثلاثية البحر في روايته «نهاية رجل شجاع»[١٣] على ملامح البطل الروائي كما رسمها في «الياطر» ثم في الثلاثية خاصة وقد تجسدت من قبل في رواية «الشراع والعاصفة». فلمفيد الوحش - بطل رواية «نهاية رجل شجاع» من سمات «الطروسى» وزكريا المرسنلي وصالح حزوم الشيء الكثير، لقد نشأ

**** القصص القصيرة عنده مشاريع روائية تنتظر لحظة الإبداع.**

**** اربع شخصيات رئيسية أضحت تقليدية في اعمال حنا مينة.**

** يحبذ التشخيص الوصفي للعالم الواقعي.

** أعماله تجسد جمالية النموذج أو النمط.

في نفسه بذرة الرفض والتحدي عبرت عنها الرواية منذ صفحتها الأولى «في أحد أيام الصيف وكان عمري ١٢ عاما، قطعت بسكين حادة كنت أحملها دائما، ذنب حمار أحد الجيران في ضيعتي «الخراب» انتقاما من صاحبه الذي شكاني الى والدي بسبب ما كنت أقوم به، مع عصبة فاسدة من أولاد القرى المجاورة، من اعتداء على أملاك الناس وسرقتها وإتلافها أحيانا[١٤] وهذه البذرة نمّتها غريزته الحيوانية التى لم تلق في البداية الرعاية الكاملة لتهذيبها، فقد كان رأسه «الكبير المكسو بشعر خشن كشعر القنفذ لا ينفذ إليه» كلام وقد خلق «جسمه العملاق» للعراك ولم يخلق لنشر الأفكار»[١٥] وهو بذلك يدرك أنه في منزلة وسطى بين الانسان والبهيمة، الانسان هو الانسان والبهيمة هي البهيمة وأنا بين الانسان والبهيمة، أتحسس الأشياء أفرح لها، أحزن من أجلها، أطير سعادة، أختنق غماً لكنني، في كل ذلك، لا أستطيع التعبير ولا ترتيب مشاعري أو معرفة الحسن من السيء»[١٦] ولكن المدينة الكبيرة بتناقضاتها الاجتماعية وبمظاهر فسادها المختلفة، ستحولُ هذا الريفي ذا النزعة الحيوانية الى بطل يدخل حلبة الصراع لكي ينجح فيها هنا في المدينة ستتعلم كيف تتعامل مع الناس وكيف سينالونك بالأذى، إذا لم تقلع عن هذه الشقاوة. فكر في أمرك، في وضعك في تدبير عمل ما وإلا مت جوعا، هنا لا توجد كروم عنب أو تين لتسطو عليها وتشبع معدتك»[١٧] ولكنه قبل أن يتوج بطلا ويصبح «طروسيا» لابد من أن يمر بمجموعة من الاختبارات وأن ينجح في تجاوز عدد من العراقيل فكان الاختبار الأول متمثلا في معركة مع العدو الفرنسي: «الفرنسي محتل، هو عدو إذن ومقاومة العدو واجب، لكن المعركة لم تطل، حسمها تدخل قوة من الجند ولم تسفر عن قتلى»[١٨]. ثم تأتي التجربة الثانية المتمثلة في اختبار السجن وهو اختبار أساسي لابد أن يمر منه بطل حنا مينة «يا مفيد، يا ابني، أخلاق السجن غير أخلاق المدينة. عد على أصابعك: واحد: لا تعلك وأنت في السجن، ٢ ـ لا تتولدن، ٣ ـ لا تدخن، ٤ ـ لا تقرب من القمار، ٥ ـ لا تستفز السجناء ولا تتركهم يستفزونك، ٦ ـ لا تعد أيام السجن ولا تفكر كثيرا بما هو خارجه، ٧ ـ لا تتعاط النميمة أو الكذب أو التدخل في ما لا يعنيك، كن رجلا، السجن يحب الرجال»[١٩].

وبعد السجن يخضع البطل لاختبار التتويج فقد وجد نفسه طرفا في الصراع الدموي القائم بين رجلين من رجال «العجوز» المحتكر للعمل في الميناء، فكان لابد من أن يدخل المعركة وأن يخرج منها منتصرا «وفي المعركة» حين أهتاج، يضرب الدم على عيني، أصبح كالأعمى، وكالأعمى أهاجم، أضرب بما تطاله يدي وقد وجدت، مصادفة، في كفي قضيب حديد.. ضربت بشدة، بقسوة، ولم يفلح أي منهم أن يمسك بي، أو ينتزع القضيب من كفي، انقلبت الى وحش كاسر»[٢٠].

وشأن البطل في جل روايات حنا مينة يجد «مفيد الوحش» نفسه في النهاية وحيدا فهو يرفض التنظيمات

والنقابات والأحزاب، فرغم انفتاحه على الآخرين تظل نزعته الفردانية مهيمنة عنده على الفعل البطولي «إذا أضربتم أنا معكم، إذا تظاهرتم سرت معكم، إذا قامت معركة وقفت الى جانبكم، ما عدا ذلك دعوني وحدي، سأنتقم من المعلم البطحيش وحدي، وربما من العجوز إذا اضطررت الى ذلك، أما الاجتماعات والتنظيمات فأنا خارجها»[٢١]، وهو كذلك يبرر نزعته الفردانية ورفضه للعمل الاجتماعي المنظم تبريرا أضحى معروضا في روايات حنا مينة إذ يبدو البطل عجولا لا يؤمن بالمسيرة التاريخية وبأن الصراع الاجتماعي محكوم بأسباب موضوعية وأن الحسم فيه يظل رهين تغيّر هذه الأسباب يبرر «مفيد الوحش» موقفه قائلا: «أنا لست ضدهم وهم ليسوا ضدي، لكني لا أطيق مشية النملة، لا أريد أن أكون نملة»[٢٢] ونتيجة لهذا الموقف، يجد البطل في النهاية نفسه يعيش عزلة تؤدي به الى الجنون أو الانتحار. تلك هي مسيرة البطل كما حددها حنا مينة في جل رواياته، بيد أن هذا البطل تتجاذبه أربع شخصيات رئيسية - أضحت تقليدية في أعمال حنا مينة الروائية وهي شخصيات الأب والأم والمرشد والعشيقة. وفي «نهاية رجل شجاع» تتقابل شخصيتا الأب والأم، فبقدر ما يبدو الأب شديدا قاسيا في التعامل مع ابنه - البطل - تبدو الأم ضعيفة وحنونا «لم يكن أبي ينتظر رأي أمي ليفعل بي ما يريد أو ما يراه ضروريا لتأديبي، كان يربطني الى زيتونة أو شجرة توت وينزع زناره الجلدي القشاط العسكري وينهال به عليّ حتى يتعب.. وبعد أن يشفى غليله يدعني مربوطا ويذهب ليستريح.. فإذا استراح واسترد أنفاسه قام إليّ وعاود جلدي» حتى تنهار قواه هو العملاق، فيدعني مربوطا ساعات طويلة أو ليلة كاملة.. لكن أمي كانت تجازف وتتحمل الضرب والشتم وتأتي اليّ فتفك الحبل، وتأخذني من يدي بعيدا عن البيت، فنجلس معا على صخرة أو على التراب تحت شجرة وتأخذ في ملاطفتي ونصحي»[٢٣].

وهما معا - الأب والأم - رمزان لحضور الأسرة في مسيرة البطل، لكن الأسرة دائما في رواية حنا مينة ذات البطل الاشكالي تمثل عبئا ثقيلا على البطل، فهي تثبط هزيمته وتضعف قدرته على الفعل. وبالنسبة الى «مفيد الوحش» كان منذ البداية مدركا لأهمية العائلة باعتباره عائقا لابد من التخلص منه وتجاوزه.

يقول: «الارتباط العائلي، كما هي حال الآخرين، كان مبتوتا في حياتي والبيت في قرية الخراب التي ولدت فيها لم يكن أكثر من وكر ألجأ إليه للنوم في الليل أو طلبا للطعام حين أجوع أو حين أعجز عن تحصيل لقمتي بنفسي»[٢٤] بيد أن ما تفشل في تحقيقه العائلة يحققه «المعلم» أو «المرشد» فالمرشد شخصية رئيسية لابد أن تعترض مسيرة البطل في مرحلة من مراحل حياته. وقد يكون أكثر من شخصية واحدة إذ تتبدل الشخصية بحكم تأثير عاملين أساسيين هما تبدل المكان وتغير الزمان وفي كل الحالات يظل «المرشد» معينا للبطل، لأنه قبل كل شيء، حامل للمعرفة وقناة عبرها يمر الوعي الاجتماعي والسياسي وهو يفتح الطريق حتى ينغرس البطل في المجتمع المدني بعمقه الاجتماعي والسياسي.

فقد كان «ابراهيم الشنكل» موزع المنشورات الداعية الى مقاومة المحتل، المرشد الأول الذي علمه درسا لم تستطع المدرسة أن تعلمه إياه «أنت لم تخلق للمدرسة، وقد عاشرت رفاق السوء، وتستطيع الآن، أن تغير سلوكك، وتبدأ بداية أخرى طيبة، أي في وسعك أن تأكل خبزك بعرق جبينك وأن تساعد والدك، كلنا فقراء.. ولكن لا ذنب لنا في فقرنا هناك الآغوات

والملاكون والدرك وكل سلطة الحكومة التى تترصدنا وتتعقبنا، تستغلنا وتعذبنا وتسجننا، أتعرف لماذا؟ ولما هززت رأسي بالنفي أجاب: «لأننا نوقظ الناس، نفهمهم حقوقهم، نحركهم للمطالبة بخروج فرنسا»[٢٥]، وبعد ابراهيم الشنكل التقى مفيد الوحش صديقه عبدوش الداشر الذي تولى بدوره تلقينه بعض دروس الحياة[٢٦] ثم جاءت تجربة السجن لتمكن البطل من التعرف على بعض المساجين السياسيين ولكن الأستاذ ماهر فتح له باب الوعي السياسي على مصراعيه وأخرجه من الحيوانية الى الانسانية ليكون نافعا لنفسه وللآخرين. قال المرشد الجديد «كن شريفا فهيما وستجد أنهم هم الذين يبحثون عنك لا تفسد حياتك، لا تهدر قواك. اذكر دائما أن الحياة كفاح وأن الانسان مكافح وأنه يملك العقل الذي يهديه. وهذا ما يميز الانسان عن الحيوان»[٢٧] ثم يصل البطل المرحلة الأخيرة في رحلة الوعي عنده وهي مرحلة الالتحام بالعمل النقابي. فكان برهوم الزعيم النقابي في الميناء القناة التى تصله بالعمل المنظم وكعادة البطل عند حنا مينة، يرفض مفيد الوحش التماهي مع مرشده إذ يظل بعد تجربة البحث والوعي متمسكا بنهجه الخاص «إنك لست ضدنا ولكن ليس معنا، غايتك إظهار شجاعتك، أن تكون رجل الميناء وأشجع شجعانها، كذلك تريد أن تبقى طليق اليدين مع أننا لا نقيدك ولا نقيد أحدا غيرك، كل ما هنالك أننا نعمل كجماعة وأنت تفضل أن تعمل كفرد»[٢٨].

وشأن البطل .. كذلك في روايات حنا مينة - يمتلك مفيد الوحش عشيقته - لبيبة جسديا وعاطفيا - فحالما يلتقيها ثانية يتزوجها «شملتني فرحة وأنا أنظر إليها، فرحة الانسان الذي أضاع شيئا عزيزا ثم فجأة وجده. لقد وجدتها، كانت ضائعة فوجدتها»[٢٩].

وعلى هذا النحو كذلك جاءت بنية الشخوص في الروايات الأخرى التى صدرت في التسعينيات. ففي رواية «الرحيل عند الغروب»[٣٠] يتخذ البطل - هاني أو فاطر - اللجاوي شخصية بحار يعود الى البحر ليبحر عبره في ذكرياته أو ومضاته الاسترجاعية الثمانية، ولعل قارىء حنا مينة يدرك التشابه الغريب بين البنية السردية في هذه الراوية والبنية السردية في الثلاثية: حكاية بحار - الدقل والمرفأ البعيد، فالروايتان تبدءان بتأملات في البحر. يبدأ السارد رواية «الرحيل عند الغروب» بمقطع سردي مطلعه «كان يعرف البحر كما يعرف كفه تماما، عاينه من شاطئ من البوسفور حتى جبل طارق، زار مرافئه مرفأ مرفأ، أقام فيها كلها تقريبا»[٣١] ويبدأ السارد رواية «حكاية بحار» بهذه الجملة السردية: «كان سعيد حزوم يستلقى على الرمل الحار مستسلما بكل جوارحه الى دفئه الذي ينعش قواه: كان يفتح عينيه ويغمضهما ويشد بجسمه على الرمل كما لو أنه يود أن يغوص فيه»[٣٢]، وتنتهي الروايتان بالرحيل المفعم بالأمل.

يقول السارد في خاتمة «الرحيل عند الغروب» «مشيت نحو الشاطىء ببطء والشمس ورائى الى غروب والدنيا من حولي إلى صمت والفكر الى شرود والبصر الى امتداد، ففي الأعالى تظهر النجوم دائما، ونجمتي التى أهتدي بها الى ظهور لا شك فيه»[٣٣] وتنتهي رواية «المرفأ البعيد» بهذه الجملة السردية «رشف سعيد قهوته وهو يفكر ثم انحدر باتجاه الميناء ولما صار على ظهر الباخرة وقف عند الحاجز وأرسل بصره باتجاه المدينة، فيما الباخرة تغادر، تبتعد وسؤال كبير عنيد يلح عليه: ترى ... يقتلعون الشجرة من جذورها هذه المرة؟»[٣٤].

في هذه الرواية - الرحيل عند الغروب - تخضع بنية شخصية البطل الى بعض التحويرات الطفيفة،

فتغيب شخصية الأم وتكاد تغيب شخصية الأب إذ لا نكاد نعثر إلا على جملة سردية واحدة متعلقة به «تهريب الآثار كان يقوم به والدي، وقد مات الآن.. وقد أقلعت عنه حتى عندما كان والدي حيا ولعلمك فإن والدي تاب أيضا، وأقلع عن هذه الفعلة قبل أن يموت بسنوات طويلة.. والدي لم يكن قديسا ولم يكن ملاكا أو شيطانا»[٣٥].

ومع ذلك تظل شخصيتا المرشد والعشيقة قائمتين - فالمرشد لابد أن يكون سياسيا أو نقابيا وقد شاءت الأقدار (أو بالأحرى ارادة المؤلف) أن يلتقي فاطر اللجاوي مرشده فينقله «الى الضفة الأخرى عكس التيار»[٣٦]. وكان اللقاء مفاجئا ولكنه يستجيب للخطة النفسية التى عليها البطل «هذا المستبطن الليل، في عمل سرّي ونافع، أنزل عني متاعبي ببساطة مذهلة، كان لقائي به مصادفة سعيدة وغير سعيدة في آن»[٣٧].

وعن طريقه يجد فاطر اللجاوي نفسه في العمل السياسي يباشره سرا فيؤدي به الى السجن. أما العشيقة، فهي سلافة وهي في تكوينها لها من شخصية كاترين الحلوة - عشيقة صالح حزوم - الشيء الكثير. يقول السارد «وجد الحياة الزوجية قيدا، من حديد أو حرير، فلما توفيت زوجته رغب عن الزواج ثانية، وتلاقى في هذه النقطة مع سلافة، لذلك اصطفاها صديقة وعشيقة وزوجة وفق سرعته لا سرعة النواميس أو القوانين»[٣٨].

وإذ يظل البطل محور العلاقة بين هذه الأطراف الرئيسية لابد أن يمر باختبار يُتَوّجه بطلا، ففي ليلة برد عاصف يقرر أن يدخل البحر ليصارع الطبيعة ويعلن انتصاره عليها: «بقي الانسان والبحر، بقيت الطبيعة المستفزة والكائن البشري الذي لم يتعمد الاستفزاز لكنه اقترفه. بقى ذراعان وساق واحدة، في مواجهة هو لها كل أذرعها وكل سيقانها وفي الأفق التمعت شرارة برق وسقط نيزك، فقال اللجاوي في نفسه: «إنها الصاعقة وأنا مانع الصواعق». وبذلك يضع نفسه أمام الاختبار الصعب فللمغامرة جانبان: «البطولة عند الانتصار والطيش عند الفشل»[٣٩]، وبعد اختبار التتويج، يمر البطل باختبار «التثبيت» وهو عادة ما يكون السجن الذي يمنح البطولة لونها السياسي.

وقد لا يجد القارىء مشقة في العثور على ما يشابه بنية الشخوص هذه، في رواية «الولاعة» ففرح الأرمني (أو المحزومي) هذا الفتى المقبل على الحياة بدون خبرة، يجدد نفسه بين أبيه (بالتبني) وأمه والأستاذ صبحى الذي يعطيه دروسا مستمرة في الحياة وفروسيا، الولاعة التي تحولت الى عاصفة هزت البيت. وتنمو شخصية البطل عبر التجاذب المتواصل بين هذه الشخصيات الرئيسية.

من هذه الروايات كلها نستثني رواية «فوق الجبل وتحت الثلج» فهي لا تخضع لهذه النمطية في بناء الشخوص، ولكنها بدورها تحيل على نموذج روائي سابق كان قد كتبه حنا مينة وهو رواية «الربيع والخريف» فشخصية مران الطوراني - البطل السارد - الذي يجد نفسه في بلد من بلدان أوروبا الشرقية تملك الكثير من سمات كرم المجاهري - بطل رواية - «الربيع والخريف»[٤٠]، رغم بعض ملامح السيرة الذاتية فيه وشخصية بربارة، في «فوق الجبل وتحت الثلج» لا تختلف كثيرا في بنائها النفسي عن شخصية بيروشكا في «الربيع والخريف» والروايتان تتفقان في رؤيتهما للعالم وبعدهما التسجيلي، لقد اكتشف بطل رواية «الربيع والخريف» في بودابيست - باريس الصغيرة - المجتمع الاشتراكي الأوروبي اكتشاف الصديق من خلال المقهى الصغير (م - ك) الذي يفتح على شارع

لنين ومن خلال المرأة المجرية، مفتاح المجتمع في هذا البلد، والمتحف الصيني في البيت، توصل الى أن يستنتج أن المجتمع المجري «مجتمع مفتوح والتعصب المذهبي لا أثر له»[٤١] و«أن الروح المجرية مشبعة بحضارة عريقة، تنعكس في تصرف الناس وفي باقة الزهر التي تحرص سيدة البيت على ابتياعها[٤٢].

وكذلك اكتشف مران الطوراني في العاصمة البلغارية هذا العالم السفلى «الذي يكشف واقعا مغايرا يعسر الوصول اليه، اكتشاف الصديق» فسادا فسادا ومن يستطيع القضاء على هذا الفساد كله؟ «بوراما» على حق في كرهها لهؤلاء الذين يأتون للتجارة وللدراسة وتحت غطائها يفعلون كل شيء[٤٣] ومن خلال هذا البعد التسجيلي الذي يركز في الروايتين ـ بصفة خاصة، على سلوك المهاجرين العرب في بعض بلاد أوروبا الشرقية ودورهم في نشر مظاهر الفساد الاقتصادي والاخلاقي، تتخذ الروايتان موقفا نقديا دفاعيا، فهما تنقدان هذا السلوك وتدافعان عن التطبيقات الاشتراكية في أوروبا الشرقية.

مما تقدم نستخلص الاستنتاجات التالية:

إن رواية حنا مينة ـ عامة ـ ليست رواية تجريبية بالمعنى الاصطلاحي المعروف، فثمة دائما ـ في كل عمل جديد ـ ثوابت يبدو أن الكاتب متمسك بها. وقد حاولنا في هذا البحث أن نركز بصفة خاصة على بنية الشخوص ولكننا يمكن أن نكتشف هذه الثوابت في مستويات عديدة كالزمان والمكان وآلية السرد وتقنياته والبنية السردية في حد ذاتها. وهذه الثوابت تعكس اختيارا فنيا قارا وهو أن حنا مينة، يكتب في إطار الواقعية عموما ويحبذ التشخيص الوصفي للعالم الواقعي ولذلك فعملية الإبداع عنده هي تنويع مستمر على نمط واحد فنحن نلاحظ لا شك في روايات التسعينيات بعض القطع مع بعض السمات التي تميز الشخصية الروائية. فلأول مرة يلتجيء حنا مينة الى وظيفة الانتحار ليضع حدا نهائيا لبطل رواية «نهاية رجل شجاع» فمفيد الوحش يصاب على اثر خروجه من السجن بمرض عضال فيلتجئ الى فتح دكان يبيع فيه البضائع المهربة لكنه يجد نفسه في مواجهة «المعلم البطحيش» الذي يوظف رقيب الجمارك ليتخلص منه فعندئذ لا يجد مفيد الوحش إلا حلا وحيدا وهو أن يقتل الرقيب وأن ينتحر.

إن هذه الخاتمة تستجيب لمفهوم البطل الروائي كما حدده سابقا جورج لوكاش في كتابه النظري الشهير «نظرية الرواية» فهو يرى أن مآل البطل الاشكالي، في رحلة البحث عن القيم الأصيلة في مجتمع متدهور، هو الجنون أو الانتحار، وقد انتحر مفيد الوحش بعد رحلة بحث طويلة عن قيم أصيلة في مجتمع يعج بالفساد لكن هذه الخاتمة ذاتها تثير إشكالا فنيا يتعلق بصيغة السرد، فالسارد يستعمل في كامل الرواية ضمير المتكلم، إذ يتولى البطل الروائي سرد قصة حياته ولكنه في الصفحة الأخيرة يجد المؤلف نفسه مضطرا الى البحث عن سارد جديد بعد ما وضع حدا لحياة بطله السارد فيلتجيء عندئذ الى إحدى شخصيات الرواية ليوكل اليها مهمة إنهاء سرد قصة حياة مفيد الوحش «أنا لبيبة الشقرق، سأروي لكم ما حدث بعد ذلك، سأقول كلمات قليلة، بسيطة، مثل بساطة مفيد وقلة كلامه»[٤٤].

وقد لاحظنا كذلك في بعض هذه الروايات ميلا الى ضرب من البويهمية في سلوك البطل لم نعهدها في الأعمال الأولى. فبطل رواية «الرحيل عند الغروب» رغم صفات البطل البحار التقليدية عند حنا مينة، يبدو

لنا رجلا غنيا «يشرب ويتفلسف، غير عابىء بالموت والجنون[٤٥] مقبلا على الحياة بدون هدف واضح ويعيش رافضا كل شكل من أشكال السلطة والقانون معترفا بآثامه وخطاياه ولكنه لم يكن أبدا من المبالين[٤٦]. بيد أن هذه البويهمية تتسم أحيانا بضرب من الغرابة ولعل أبلغ مثال نذكره رواية «فوق الجبل وتحت الثلج» فالبطل مران الطوراني، يعيش كامل الرواية موقفا غريبا، إذ يجد نفسه صحبة عشيقته «بربارة» فوق الجبل وتحت الثلج تائها وسط عاصفة ثلجية لكنه ظل يشرب ويمارس الحب في وضعيات غريبة و«يتفلسف» في الحب والحياة والموت غير عابئ بالذئاب والثلج العاصف ومن هذه الوضعية الشاذة، انبثقت الرواية كلها في ذاكرة السارد الذي روى قصة مجيئه الى بلغاريا والتقائه بالوفد السوري، وكذلك قصة تعرفه على بربارة نفسها، وهكذا قطع حنا مينة كذلك مع التشخيص الواقعي في كثير من مقاطع الرواية نحو ضرب جديد من التشخيص ألا وهو التشخيص الرمزي.

ومع ذلك فإن الثابت يغلب المتحول رغم إدراكنا أن حنا مينة ـ في رواية التسعينيات ـ بدأ يدرك ضرورة أن يتجاوز ذاته وأن يبحث الإبداع عنده من مسالك جديدة حتى لا يقع في التكرار.

وهذا يعني أخيرا أن أعمال حنا مينة عامة تجسد تجسيدا بليغا جمالية النموذج أو النمط إذ لا تزال مثل هذه الأعمال تستقبل استقبالا واسعا قراءة ونقدا رغم بروز رواية التشخيص الرمزي والتشخيص النصي في الأدب العربي الحديث.

الهوامش:

(١) دار الآداب ـ بيروت ١٩٩٣.
(٢) دار الآداب ١٩٩٣.
(٣) النجوم تحاكم القمر ص ٥.
(٤) العبارة لحنا مينة.
(٥) مجلة الوان عدد ٥٥ ـ ١٩٨٣ ـ الجزائر، ص ٢٩.
(٦) دار الآداب ـ بيروت ١٩٨٥.
(٧) مجلة الآداب، عدد ١٠ ـ ١٢ ـ ١٩٨٤.
(٨) صدرت طبعته الأولى عن دار الآداب سنة ١٩٨٢.
(٩) هواجس في التجربة الروائية، ص ١١١.
(١٠) الأبنوسة البيضاء، دار الاداب ١٩٨١، ص ٢٢٧.
(١١) انظر كتابنا ـ حنا مينة كاتب الكفاح والفرح دار الآداب ١٩٩٣، ص ١٥١.
(١٢) نفس المرجع ص ١٤٩ ـ ١٥٧.
(١٣) دار الآداب، ١٩٨٩.
(١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩) الرواية ص ٧، ص٤٥، ص٥٥، ص٤٦، ص٧٠، ص٧٧، ص٢٣٥، ص٣٤٩، ص٣٤٩، ص١٦ ـ ١٩، ص١٦، ص٤٥، ص٦٢، ص٨٩، ص٣٤٧، ص٢٩٩).
(٣٠) دار الآداب ، ١٩٩٢.
(٣١) الرحيل عند الغروب، ص ٥.
(٣٢) حكاية بحار دار الآداب، ١٩٨١، ص٧.
(٣٣) الرحيل عند الغروب ص ٢٩٧.
(٣٤) المرفأ البعيد، دار الآداب ١٩٨٦، ص ٤٠٨.
(٣٥) الرحيل عند الغروب.
(٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩) انظر الرواية، ص٢١٥، ص٤٢، ص٨٦، ص٩١).
(٤٠) دار الآداب، ١٩٨٤.
(٤١) الربيع والخريف، ص ٣٥.
(٤٢) الربيع والخريف، ص ١٠٩.
(٤٣) فوق الجبل وتحت الثلج، ص ١٥٣.
(٤٤) الرواية ص ٤٠٦.
(٤٥) الرحيل عند الغروب، ص ٥٣، ص ٥٧.
(٤٦) راجع ـ الرواية ص ٢٨٠.

الشاعرُ الفذُّ [*]


حسين عرب

حيِّ هذا الفذَّ واستوقدْ زناده
حيٌّ فيه الشعْرَ مزهوُّ الريادة
حيِّه نَهْجاً بديعاً مُسْمِعاً
طاف بالآفاق يحْكيها مُراده
وغدا يسبُرُ أعْماق النُّهي
جاهداً يجلو فما أعْيتْ جهاده
كُلُّ أفقٍ رادهُ نوَّرهُ
كلُّ بحرٍ خاضهُ زاد اتِّقاده
فسنا كالفجر في إصباحه
من دياجير المدى شبَّ وقاده
فأتى الشعرُ الذي أبدعهُ
جوهراً يُهديه للدَّهر قلاده
شعَّ منهُ النُّورُ وحياً مُلْهماً
وخيالا شاد للشِّعْر عماده
فترى الشاعر سيفاً مُرْهفاً
وتراه الصبَّ يستجْدي سُعاده
وترى الحكمة من إشْعاعه
وسناها لاح يجلو ما أراده
وترى كيف الذي شاد الدُّنى
شادها، أو كيف ذا فلَّت عتاده
وترى الشَّادي على قيثاره
مُوقد الإحساس من شعر الإشاده
تُسْمعُ الأوتارُ من وقدته
خفقان السَّيف أو همساً لغاده

* * *

هكذا الشَّاعر في إبداعه
يُنْطقُ الإحْساس يسْتجْلي اعتماده
فإذا النُّطقُ شُجُونٌ سُبكتْ
وتراً يشدُو وسيفاً وجلاده
وحُلُوماً عظُمتْ مُبْدعة
وحبيباً يشْتهي منه وداده

* * *

بهرتهُ الغيدُ يوماً فرنا
قاصرات الطَّرف يُغْرين جياده
فدنا يُنْشدُ منْ شعْر الهوى
ورخى الأرْسان يُغري بالقياده

شعر الدكتور : **بهاء بن حسين عزي** - جدة

فإذا هنَّ أسيراتُ هواهُ
.. وفي الأسْر يُقيِّدن فُؤاده

فاستمع من شعره ذاك الصَّدى
كلَّما فرَّ من القلب أعاده

جذوة من خفْقة مُضْرمة
تتوالى من هوى رام الزِّياده

فزكت أفنانُهُ مُزهرة
حكمة الحسِّ .. قصيدا وعباده

فترى الشَّاعر مهديَّ الهوى
وترى الغيد تعشَّقْن الشَّهاده

* * *

يا قصيداً يقفُ الشاعرُ يُلـ
قي فتهتزُّ قلوب بالإشاده

هل يسود الشِّعرُ إن لم تحكه
ألسُنُ الدَّهر براهين سياده؟

فأجاب الدَّهرُ من غيرته
وله في رده صوتُ العماده

لا يغُرَّنَّك ما خطَّ الخوا
كلُّهُ يفنى وإن أغلى مداده

إنما الشِّعرُ الذي شاعرُه
أبدع المعنى وأوفاه احتشاده

عربيا قُدَّ نظما خافقا
بجناح لا ترى الدُّنيا امتداده

وترى الناس لدى إطلاله
ناقداً يدري ومن يزري انتقاده

كُلُّهم قاض .. فهذا عادلٌ
يُنصفُ الشِّعر، وفي ذاك مراده

والورى يعتدُّ بالشِّعر الذي
يشغلُ الدُّنيا ويستوحي رشاده

ولسانُ الناس في ترديده
يصطفي منهُ ويتلُو مستجاده

وإذا الشعرُ تخطَّى سفره
لصُدُور أشربتْ حُبَّ الإجاده

كان شعراً يرنمُ الكونُ به
بين تقدير الرضا والإستزاده

---

[*] هذه القصيدة ألقاها الدكتور بهاء عزي في الحفل الذى اقامه (منتدى على ابو العلا) بمكة المكرمة تكريما للشاعر الكبير حسين عرب.. والقصيدة تحية إكبار وتقدير لكل الشعراء المتميزين في العالم العربي.

الشيخ محمد بن ابراهيم بن جبير في ذمة الله

انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الخميس العاشر من شهر ذي القعدة ١٤٢٢هـ معالي الشيخ محمد بن ابراهيم بن جبير رئيس مجلس الشورى السعودي عن عمر يناهز ستة وسبعين عاما.

ولد الشيخ ابن جبير في (المجمعة) العام ١٣٤٨هـ، وتلقى تعليمه على يد بعض المشايخ، وحصل على الثانوية العامة من دار التوحيد بالطائف العام ١٣٦٨هـ، ثم تخرج في كلية الشريعة جامعة أم القرى بمكة المكرمة العام ١٣٧٢هـ.

وكان رحمه الله قد تقلد عدة مناصب فكان ملازما قضائيا ثم قاضيا في المحكمة المستعجلة بمكة المكرمة ثم محققا شرعيا بديوان المظالم ثم عضو محكمة التمييز ثم رئيسا للهيئة القضائية العليا بوزارة العدل ثم رئيسا للهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى ثم رئيسا لديوان المظالم وعضوا في مجلس الوزراء ثم وزيرا للعدل ورئيسا لمجلس القضاء الأعلى بالنيابة ورئيسا لديوان المظالم بالنيابة ثم رئيسا لمجلس الشورى.

وكان رحمه الله من العلماء الأفاضل المشهود لهم بالحذاقة وسداد الرأي وهو من الأخيار الذين خدموا دينهم ووطنهم ومليكهم.

شارك الفقيد في الندوات العلمية التى عقدت في الرياض وباريس والفاتيكان ومجلس الكنائس في جنيف والمجلس الأوربى في ستراسبورغ حول الشريعة الاسلامية وحقوق الانسان بين فريق من علماء المملكة وبين آخرين من كبار رجال الفكر والقانون في أوربا.

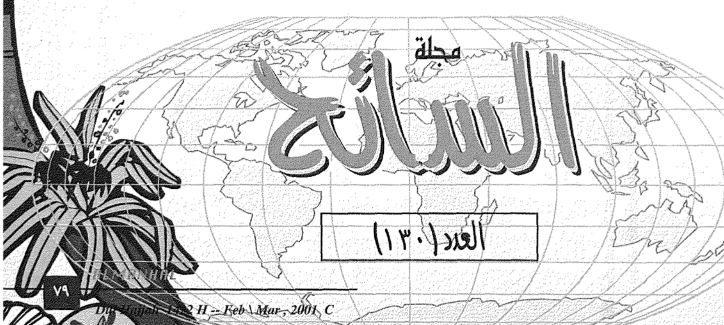
وللشيخ محمد بن ابراهيم بن جبير - عليه رحمة الله - مجموعة أحاديث إذاعية وتليفزيونية وأبحاث متخصصة ورسائل ومحاضرات في الشريعة الاسلامية وأحكام المعاملات على مذهب أهل السنة والاجماع للمنهاج العلمي للدراسات المقارنة لمشروع التقنين.

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته ومغفرته وأسكنه فسيح جناته.

و«إنا لله وإنا إليه راجعون».

في البلدان والعمران .. في التقاليد والأعراف في تقاطيع وجوه الناس، السائح يستقرئ الملامح ويرسم اللوحة

اليابان لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة (٢)





اليابان لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة

زيارة المركز الإسلامي في طوكيو:

ذهبت مع طائفة من الزملاء لزيارة المركز الإسلامي في طوكيو ويقع في محافظة سيتاجابا وطوكيو مكونة من ٢٣ محافظة بناء على دعوة من رئيسه الدكتور صالح السامرائى الذي زارنا في الفندق وشارك معنا في الندوة ببحث عن الإسلام في اليابان - ولحسن الحظ كان الجو غائماً مما يغري بالخروج والتجول وقد حضر سعادته الى المعهد وبعد انتهاء برنامج الندوة الصباحي ركبنا سيارة المعهد التى انطلقت بنا مخترقة شوارع طوكيو وميادينها وكان سعادته يشرح لنا بعض المعالم حتى وصلنا الى المنطقة التى يقع فيها المركز وهي منطقة لا تتميز بالسعة لكثرة المباني وصادف مرورنا خروج التلاميذ من مدارسهم فرأيناهم بملابس نظيفة وأجسام تظهر عليها الصحة والكفاية من الغذاء ووجدنا في الاستقبال في المركز مجموعة من الأخوة العرب واليابانيين وقد شرح لنا الدكتور صالح ما يقوم به المركز من عمل ونشاط وقد كتب اسم المركز على مدخله في لافتة كبيرة وهو يتكون من خمسة أدوار تجولنا في مختلف نواحيه - وقد حدثنا رئيس المركز الإسلامي في اليابان عن تاريخ الإسلام في اليابان وانتشاره الذى استغرق زماناً وامتد مكاناً وتأخر وصول الإسلام الى اليابان الى أواخر القرن التاسع عشر ويعبر اليابانيون عن أسفهم واستغرابهم من هذا التأخير في الوقت الذى وصل فيه الإسلام الى الصين والفلبين في وقت مبكر..

لقد عاش الدكتور صالح أربعين سنة في هذه الديار وكان قبلها أستاذاً في جامعة الملك سعود في الرياض وقد تحدث عن بداية دخول الإسلام الى اليابان على الباخرة «آل طغرل» وعلى ظهرها أكثر من ستمائة ضابط وجندي عثماني (ترك وعرب وألبان وبوسنيون... الخ) يقودهم الأميرال عثمان باشا، وذلك عام ١٨٩٠م. وبعد أن أدت البعثة مهمتها في اليابان وقابل رئيسها الإمبراطور، عادت أدراجها، إلا أنها وهي لا تزال على الشواطيء اليابانية ليس بعيداً عن أوساكا هب عليها إعصار شديد، أدى الى تحطمها واستشهد أكثر من خمسمئة وخمسين شخصاً وفيهم أخو السلطان ومعهم عثمان باشا.

هزت الحادثة الطرفين ونقل الناجون على باخرتين يابانيتين الى اسطنبول ودفن الشهداء عند الموقع وعمل متحف بجانبهم ويحتفل اليابانيون والأتراك إلى يومنا

بقلم : **عبدالله بن حمد الحقيل**

الأمين العام الأسبق لدارة الملك عبدالعزيز - السعودية



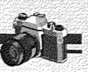
المعمار التراثي في اليابان قيمة ثقافية متحركة عبر الاجيال

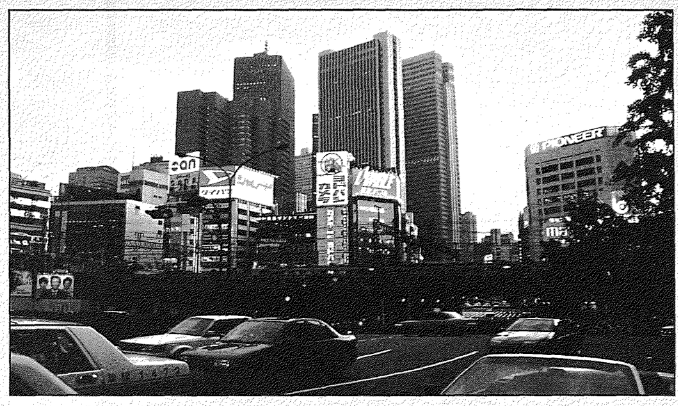
هذا كل خمس سنوات بهذا الحادث في نفس الموقع.

بعد سنة من الحادث تبرع صحفي ياباني شاب (أوشاتارو ونودا) وجمع تبرعات من اليابان لعوائل الشهداء وذهب الى اسطنبول عام ١٨٩١م، وسلم التبرعات للسلطات العثمانية وقابل السلطان عبد الحميد، وأثناء إقامته في اسطنبول لقي أول مسلم انجليزي وهو «عبد الله غليام» وهو من مدينة ليفربول، وبعد التحادث معه، قبل دين الإسلام وتسمى «عبد الحليم» كما تظهر الوثيقة العثمانية المرفقة. ويمكن اعتبار «عبد الحليم نودا» أول مسلم ياباني، تبعه بعد ذلك يامادا الذى وصل اسطنبول عام ١٨٩٣م يحمل التبرعات وطلب منه السلطان عبد الحميد تدريس اللغة اليابانية للضباط العثمانيين، واتخذ اسم خليل أو عبد الخليل، فبذا يمكن اعتباره ثاني مسلم ياباني.

أما الشخص الثالث فهو أحمد أريجا وكان مسيحياً يعمل في التجارة، زار مدينة بومبي عام ١٩٠٠م ولفت نظره مسجد فيها فدخله وأسلم هناك، وعاد داعية وشارك في إحدى ترجمات معاني القرآن الكريم لليابانية. وفي هذه المرحلة سكن تجار من الهند في كل من طوكيو ويوكوهاما وكوبي، وبذا يعتبرون أول جالية اسلامية تقيم في اليابان.

تردد على اليابان مبعوث للسلطان عبد الحميد يدعى «محمد علي» وذكرت الوثائق أنه كان يخطط لإقامة مسجد في يوكوهاما. كما زار اليابان الضابط برتو باشا مبعوث السلطان عبد الحميد كمراقب للحرب اليابانية الروسية ١٩٠٤ - ١٩٠٥م وأقام سنتين وقابل الإمبراطور وألف كتاباً من جزئين باللغة التركية.





المراكز التجارية الضخمة من السمات البارزة في اليابان

وبعد الحرب اليابانية الروسية سربت اليابان أنباء عالمية عن اهتمامها بالإسلام والعالم الإسلامي مما حفز المسلمين في كل مكان للاهتمام بنشر الإسلام في اليابان. فقد ذكر العقاد أن ضباطاً مصريين بهرتهم انتصارات اليابان وتطوعوا في الجيش الياباني وتزوجوا يابانيات وخلفوا ومنهم من عاد الى مصر ومنهم من بقي. كما زار الداعية الهندي سرفراز حسين اليابان عام ١٩٠٥م وأوائل ١٩٠٦م وألقى محاضرات عن الإسلام.

وأقيم أول مسجد في أوساكا للأسرى المسلمين الروس بعد الحرب التى ذكرناها وذلك عام ١٩٠٥م.

ولقد نشرت الأخبار في العالم الإسلامي أن مؤتمراً يعقد في طوكيو عام ١٩٠٦م يقارن اليابانيون فيه بين مختلف الأديان لاختيار الدين الصحيح، هكذا وصلت الأخبار المبالغ فيها، فتحمس المسلمون في كل مكان لحضور المؤتمر، وذكر السيد على أحمد الجرجاوي وهو محام شرعي أزهري أنه ذهب لحضور المؤتمر وألف كتاباً أسماه «الرحلة اليابانية» يقول انه وداعية صيني يسمى سليمان الصيني وروسي يدعى مخلص محمود وهندي اسمه حسين عبد المنعم كونوا جمعية في طوكيو للدعوة الإسلامية وأسلم على أيديهم اثنا عشر ألف يابانياً. وقد استهجن هذا الكلام بعد سنتين أو ثلاث رحالة وداعية مسلم من روسيا زار اليابان، استهجن هذا الإدعاء، واستهجن كذلك ادعاء الجرجاوي الداعية والمفكر الهندي محمد بركة الله الذي أقام في اليابان خمس سنوات ما بين ١٩٠٩ - ١٩١٤م.

كما جاء الداعية عبد الرشيد ابراهيم الى اليابان عام ١٩٠٩م وأقام ستة شهور، قابل فيها رجالات اليابان من الوزراء الى الفلاحين، واسلم على يديه نخبة

من المفكرين والصحفيين والضباط الشباب كما زار الصين وكوريا والهند والحجاز وألف كتاباً من ألف صفحة باللغة العثمانية أشرف كاتب هذه السطور على ترجمته ومراجعته.

وعبد الرشيد.. رحالة وداعية وسياسي وأديب وعالم وقال عن كتابه المرحوم عبد الوهاب عزام إنه أهم من كتاب ابن بطوطة.

كما زار اليابان محمد بركة الله من بهوبال في الهند وهو أول من علم الأوردية في جامعة اللغات الأجنبية في طوكيو وأصدر لثلاث سنوات مجلة «الاخوة الاسلامية» ما بين ١٩١٠ ـ ١٩١٢م، واسلم على يديه عدد من اليابانيين.

ولقد ازداد اهتمام اليابان بالعالم الاسلامي لأغراض متعددة، توسعية، اقتصادية، ثقافية، كما تمت ترجمات لمعاني القرآن الكريم وشكلت الجمعيات وألفت الكتب الإسلامية والاستشراقية.

وبدأ المهاجرون من المسلمين التتار يفدون الى اليابان فراراً من الحكم الشيوعي في روسيا واستقر اكثرهم في طوكيو وناغويا وكوبي. كما أدى ثاني مسلم ياباني فريضة الحج وهو المرحوم نور أبي تاناكا الذى أسلم في الصين. كما أسلم في الصين المرحوم عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم، وزار عمر ياما أوكا مصر وذهب الى الأزهر عام ١٩٢٤م.

وفي عام ١٩٧٣م أرسل الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله الدكتور السامرائي للدعوة الإسلامية في اليابان ومعه ستة آخرين (خالد كيبا (ياباني) وأسعد قربان على ابن مؤسس مسجد طوكيو المرحوم عبد الحي قربان على وعبد الباسط السباعي (مصري) وعلي الزعبي (سوري) وعبد الرحمن صديقي (باكستاني) وموسى محمد عمر (سوداني) وهم ممن درسوا في جامعات اليابان ولهم سابقة بالعمل الإسلامي فيها. أسس هذا الفريق أول مركز إسلامي متكامل في اليابان بالتعاون مع آخرين يابانيين ومقيمين من أمثال عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم لليابانية وعبد الكريم سايتو ومصطفى كومورا وتميم دار محيط وعبد المنير وأطانابا وعمر دراز خان وعلي حسن السمني ومطلوب علي وعينان صفا.

ولقد أوضح الدكتور صالح السامرائي مدير المركز خلال الحديث معه عن العمل الإسلامي أنه جاء تشكيل المركز في فترة هامة مرت بها اليابان وهي أزمة البترول لعام ١٩٧٣م وما بعدها فبدأ اليابانيون يهتمون بالإسلام، حيث إن أكثر الدول المصدرة للبترول إن لم تكن جميعها هي دول إسلامية، فبدأ يفد الى المركز الإسلامي الآحاد والعشرات بل المئات من اليابانيين ودخلوا في الإسلام أفواجاً، وقام المركز بإصدار أعداد كبيرة من الكتب والكتيبات عن الإسلام باللغة اليابانية وأصدر مجلة السلام باللغة اليابانية وغطى البلاد من أقصى الشمال الى الجنوب بالنشاط الدعوي ووصل الإسلام لأول جزيرة هوكايدو في أقصى الشمال وفتح الفروع في مدن عدة وأرسل الطلبة الى المملكة العربية السعودية ومصر للدراسات الإسلامية وأسس أول مجلس للتنسيق بين الجمعيات الإسلامية وعددها حينذاك اثنتى عشرة جمعية تضم التجمعات الإسلامية اليابانية في عدة مدن والجالية الإندونيسية وجمعية الطلبة المسلمين وذلك في عام ١٩٧٦م.

ولقد سألته عن عدد المسلمين في اليابان فأجاب:

كنا نعد المسلمين اليابانيين قبل هذه الفترة ما بين ألف إلي ثلاثة آلاف، وبدأنا فيها نعد المسلمين بعشرات الآلاف، وانتشر الوعي الإسلامي لدى الشعب الياباني فبعد أن كان الدين الإسلامي يدعى (كاي كيو) اصبح



يدعى (اسرام) لعدم وجود حرف اللام باللغة اليابانية ويستبدلونها بالراء وسألته عن أول ندوة عن الشريعة الإسلامية فقال: عملت في عام ١٩٧٧م أول ندوة عن الشريعة الإسلامية أقامها المركز بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي وجامعة شو أو CHUO وكان محركها الأستاذ خالد كيبا وحضرها عم الامبراطور الحالي وأعضاء المحكمة العليا وثلاثمائة من أئمة القانون في اليابان وحضرها المرحوم محمد علي الحركان واستمرت لثلاثة أيام، وكان من نتيجة هذه الندوة عمل دراسات مستمرة حتى يومنا هذا عن الشريعة الإسلامية في اليابان. كما عقدت ندوات ثقافية حضرها الآلاف في طوكيو والمدن الأخرى برعاية كبريات الصحف اليابانية التى تصدر الملايين لكل صحيفة بالتعاون بين المركز الإسلامي وجامعة (الملك سعود).

وسألت الدكتور صالح عن توفير الكتاب الإسلامي باللغة اليابانية. فقال: (إن المركز الإسلامي منذ تأسيسه قبل أكثر من عشرين سنة حرص على توفير الكتاب الإسلامي باللغة اليابانية، ويكاد المركز الإسلامي يكون هو المؤسسة الوحيدة في اليابان التى تزود بالكتاب الإسلامي، جميع الهيئات والجمعيات الإسلامية في اليابان والمؤسسات والأفراد داخل اليابان وخارجه.

ولقد أصدر المركز حتى الآن أكثر من أربعين كتاباً وكتيباً باللغة اليابانية أعيد طبع معظمها مرات عديدة. ولدى المركز الآن كتب بعضها معد للترجمة والبعض الآخر نفدت نسخه ويحتاج لإعادة طباعة.

(إننا نرجو من اخواننا المسلمين في كل مكان المساهمة في دعم هذا العمل الخيري وهو علم ينتفع به وصدقة جارية، والله يجزي الجميع عن الإسلام خير الجزاء).

ثم سألته عن أول ترجمة لمعانى القرآن الكريم فقال:

(إن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم يقوم بها مسلم هو المرحوم عمر ميتا نشرت في هذه الفترة وخصص لها الملك فيصل رحمه الله مبلغاً محترماً أودع بسفارة المملكة العربية السعودية يصرف منه على طبع الترجمة كلما نفدت نسخها).

وفي عام ١٩٨٠م تبرع الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله بأرض من أجل إقامة مقر شامخ للمركز الإسلامي، وقام الأميران الكريمان نايف بن عبد العزيز وأحمد بن عبد العزيز بتشييد البناء وبذلك أصبح المركز الإسلامي معلماً إسلامياً يقصده الأساتذة والطلبة والصحافيون والتلفزيون وعامة الناس، منهم من يعلن اسلامه ومنهم من يستعلم عن الاسلام، ولا يزال هذا المقر يؤدي دوره بتطور وتحسن مستمر. وانتهت زيارتنا لهذا المركز الاسلامي ونحمد الله فها هو الإسلام في اليابان أفضل حالا حيث تتابعت الجهود الخيرة الواعية التي وجدت رعاية واهتماماً بما يتفق مع مصالح المسلمين وآمالهم وترسيخ التعاون بينهم وارتفعت اليوم منارات شاهقة وصروح باسقة للإسلام في طوكيو وخارجها.

ورأينا مساجد تعمر وأفراد يدخلون في دين الله وها هي المساجد والجوامع والمعهد العربي الإسلامي كل ذلك يساعد بدفع موكب الدعوة وعجلة التعريف بالإسلام وحضارته التي رأيناها مزدهرة ومنتشرة بين مختلف الطبقات وأن مستقبل الدعوة سيكون مشرقاً في هذه البلاد.

ثم اصطحبنا الاخوة لزيارة جامع طوكيو ووصلنا بعد صلاة الظهر وأدينا الصلاة في هذا الجامع الرحب الفسيح وهو واسع وذو باحات متسعة وفرش نظيف وقد رحب بنا المشرف على الجامع ثم استأذن لوجود طائفة من الزوار ممن جاءوا للتعرف على الإسلام وممن جاء يعلن اسلامه وفي جانب آخر كان اجراء عقد زواج ثم غادرنا الجامع وزرنا مشروع مقر المدرسة الإسلامية حيث يجمعون التبرعات لبنائها نسأل الله أن يكون في عونهم لأهمية وجود مدرسة تعلم أبناء المسلمين ويشع نورها بتعاليم الإسلام فالتعليم الإسلامي أساس المحافظة على هوية أبناء الأمة الإسلامية وهي محاضن لتربية الأجيال الصاعدة من أبنائها ونظراً للغلاء الرهيب في اليابان فقد اشترى المسلمون هذه القطعة الصغيرة من الأرض بأكثر من ثلاثة ملايين دولار.

ثم اخترقنا شوارع العاصمة وكان الجو ممطراً والزحام شديداً حيث عدنا للفندق في انتظار أن يحين موعد الذهاب للمعهد فهذا اليوم هو آخر أيام الندوة الثقافية.

مشاعر متعاطفة مع الإسلام :

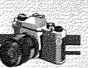
لقد سمعنا الكثير من الروايات عن الإسلام والمسلمين في هذه البلاد ومن ذلك أنه في كل عام يقوم ممثلو الأديان المختلفة بالاجتماع سنوياً في جامعة Showa Joshi Daigaku يحضره المواطنون في المحافظة يتقدمهم المحافظ، وان المنظمين للاجتماع يضعون المسلمين في أغلب السنين في أول البرنامج، رغم أنهم أقل الأديان أتباعاً. وفي هذا العام وضعوهم في أول القائمة، على المسرح وقد أذن الشيخ نعمة الله وصلى الدكتور صالح السامرائي بالمسلمين ركعتي نفل، وقرأ آيات من «القرآن الكريم» ووقف الشيخ نعمة الله ورددت معه جموع المواطنين اليابانيين الذين حضروا الاحتفال «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وكانت بأيدي الجميع ورقة مكتوب عليها باليابانية لفظ الأذان وشرحه ولفظ الشهادة وشرحها والصلاة وكل حركاتها وألفاظها ومعانيها باليابانية إنها أحد وسائل التعريف والدعوة.

ويقولون إن المنظم الرئيسي هو رئيس لفرقة بوذية كبرى قال: ذهبت الى اندونيسيا وكانت من قبل هندوكية وبوذية والآن أهلها مسلمون، ولأول مرة أعرف أن عدد المسلمين في العالم يزيد على عدد النصارى وعدد البوذيين. وهذا يظهر أيضاً احترام الشعب الياباني للإسلام. هذه حقائق يذكرها الأخوة وفقهم الله في نشر الدعوة.

لمحة عن التاريخ الثقافي لليابان :

من صفات الشعب الياباني حب العمل والابتكار.

قبل أن أسافر الى اليابان حرصت على زيارة السفارة اليابانية في الرياض والتقيت بالملحق الثقافي السيد/ عبد الله مانهام وهو رجل على جانب من اللطف والخلق الكريم وقد زودني بمجموعة من النشرات الثقافية والجوية والتاريخية فقرأت أكثر من كتاب وتكونت في خيالي عدة صور ونظرة شاملة للتاريخ الثقافي لليابان.. يدرك المرء أن هذه البلاد أخرجت خلال تاريخها الطويل ثقافة وطنية جيدة تعهدوها من داخل أنفسهم ومن القارة الآسيوية ومن الغرب وفقاً لأذواقهم وأدمجوها كعناصر جوهرية للثقافة مع تنوع متزايد في التطور الثقافي والالتقاء مع



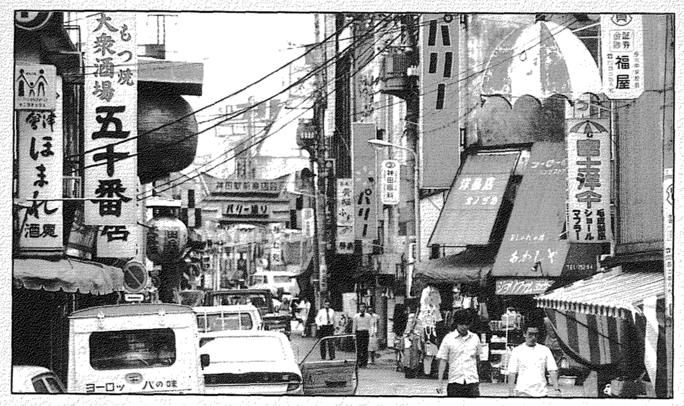
العالم الخارجي ويحتاج المرء الى وقت ودراسة لفهم الثقافة اليابانية والمركز الذي تحتله في التدفق المستمر لتاريخ الثقافة العالمي. لقد كنت حريصا في رحلاتي على التعرف على خصائص تلك البلاد وما تمتاز به من مظاهر العمران وما تختص به من ضروب المعارف والآداب وبدائع الفنون.

إن الإحساس بالجمال الذي يتسم به اليابانيون دليل وعي على الذوق الرفيع وحب الطبيعة مع البساطة الأنيقة ويتجلى ذلك فيما يشاهده المرء ويراه في المعارض والمحلات التجارية والمراكز الثقافية ـ ولقد حدثني أحد الاساتذة قائلا عندما خرجت اليابان من عزلتها فإنها كانت في مجال التكنولوجيا وراء الغرب بمسافة بعيدة وكان الاتصال بالغرب وكان لابد من تبني سياسة تطوير تتضمن جهوداً لإدخال التكنولوجيا وكان إدخال التكنولوجيا يستلزم تنظيماً اجتماعياً ووعياً قادراً على استيعابها ولذا فنحن نفخر بأعلى معدل في العالم لعدد الملتحقين بالمدارس والجامعات ـ وأن السمة التي ميزت الثقافة اليابانية هي القدرة على التكيف والتعدد كما أوجد التزاوج الذى تم بين الأجناس المختلفة التى استوطنت اليابان المزيد من القوة والمنجزات العلمية.

في كتب الجغرافيا كنا نقرأ أن اليابان تشتهر بأنها بلاد الشمس المشرقة والبراكين والزلازل ـ وهذا صحيح ولكنها اليوم أكثر من ذلك فهي تشتهر بأشياء تقنية كثيرة وخلال جولاتي في الأسواق سألت عن اللؤلؤ فاليابان تستخرج اللؤلؤ من البحر وعندهم لؤلؤ طبيعي وآخر صناعي وسعره مرتفع فهو غالي الثمن فمستوى المعيشة هنا مرتفع وفي شارع «جنزا» شاهدنا المعارض والمحلات الأنيقة المتوهجة تمتلىء بالبضائع والمعروضات بشكل أنيق وجذاب ورأيت ثقتهم وإخلاصهم في العمل كما أن وجوههم دائماً مبتسمة وهذا عنوان الأدب كما أنهم يتحدثون بصوت غير مرتفع، وبالجملة فهم شعب قد تعلم وتقدم ونشأ على حب العمل والابتكار وتطوير أدائهم في عملهم والاستفادة من وقت الفراغ وتحويله الى نوع نافع من الأعمال فالعلاقة مع العمل علاقة حب وولاء وليس منفعة فقط وقد أفاد مرافقونا من الشباب السعودي الذى يتلقى العلم في الجامعات اليابانية أن الكثير من الشباب يحاول استثمار وقت فراغه في محاولة التعرف على أسرار صناعات جديدة يمكن استثمارها بشكل مختلف وتعلم مهن أخرى الى جانب العمل الذى يجيدونه لاعتقادهم أنهم يمكن أن يكونوا أكثر انتاجية من خلاله كما يحرص البعض على الأبحاث العلمية المتخصصة التى يمكن أن تساعدهم على أداء العمل بشكل أفضل لأنها تشكل عائداً مالياً لهم من خلال بيع الاختراع لشركاتهم وخلاصة القول إن الشباب يمتلك قدرة عجيبة على التمسك بالعمل والصبر على المشاق وتطوير العمل الذي يقوم به وولاؤه مطلق للمؤسسة التى يعمل بها.

من أشهر مناطق السياحة :

في صباح يوم مشرق جميل بدأنا جولتنا بصحبة بعض الأخوة المرافقين لنا من شبابنا السعودي الذى يدرس في اليابان لزيارة برج طوكيو الشهير وهو برج مرتفع يشبه برج إيفل في باريس ولكنه أعلى وأجمل وقد أفاد المرشد الى أنه قد استخدم في بنائه حوالي ٥٠٠ طن من الصلب وفيه معارض ومتاحف ويقال إنه



الحركة التجارية متصاعدة

أعلى برج في العالم ولا غرو فاليابان دولة صناعية قادرة على تقليد كل شيء وتترجمه الى ما هو حسن ورائع وبعد جولة في البرج خرجنا منه وكان ممتلئاً بالزوار ثم أخذنا نتجول في شوارع طوكيو ذات الحيوية والحركة ليلا ونهاراً وبعد جولة في ربوع العاصمة خرجت الى بعض مناطق السياحة حيث تكثر في اليابان الينابيع الحارة ذات المياه المعدنية التى تتدفق مياهها نحو سطح الأرض ويقصدها السياح للترويح عن النفس والمرضى للتداوى ومن أشهر تلك الينابيع (ينبوع إيكاو) القائم في القرية التى سمي باسمها وتقع على سفح تل قرب العاصمة طوكيو وقد أقيم فيها عدة فنادق مدت اليها مياه ذاك الينبوع بأنابيب من الخيزران وزرعت على جميع حماماتها المزودة بأحواض يستقي منها النزلاء بعد ملئها بالماء الساخن وبعد إضافة شيء من الماء البارد إليه لأن درجة حرارة تلك المياه مرتفعة وبالإضافة الى جبل «فوجي» الذي يعتبر أهم معلم سياحي ومن المناطق التى تشتهر بجمالها الطبيعي وبغابات أشجار الصنوبر الشريط الساحلي الواقع شمال مدينة (كيوتو) وهناك مجموعة جزر (ماتسوشيما) وتوجد بحيرات رائعة الجمال تكتنفها الغابات من كل جانب وتقع على ارتفاع ١٢٦٩ متراً عن سطح البحر حيث يتدفق منها شلال (كيجون) وتعتبر هذه المنطقة من أكثر المناطق جذباً للسياح ولا سيما في فصل الصيف - وهناك يشاهد المرء الريف الجميل والبيوت المصنوعة من الخشب ذات الطابع المميز والمزخرف وأكثر البيوت من الخشب لكثرة الزلازل والبراكين التى تحدث في اليابان وتؤدي الى هدم البيوت واحراق المزارع والأشجار والمباني وتعتبر اليابان أغنى دولة بالغابات في العالم إذ تغطي حوالي ٦٨٪ من مساحتها العامة



ويستفيدون من أخشابها في سد حاجة الصناعات المختلفة كما شاهدت على سفوح الجبال الأعشاب والأزهار الرائعة ويقول المرافقون بأنها أسهمت في تنمية ذوق الشعب الياباني وجعله في طليعة الشعوب عناية بزراعة الأزهار وتنسيقها ولقد سألت عن عدم وجود الحيوانات البرية رغم الطبيعة الجبلية والغابات فقيل لي أن البراكين التي ثارت ولا يزال بعضها ثائراً قضت على الحيوانات البرية بحممها المحرقة وبرمادها المدمر - ومما يلاحظ توفر الكهرباء وذلك لغناها بالأنهار ذات الغزارة الدائمة والإنحدار الشديد وفي شوارع المدن المختلفة يلاحظ المرء مكاتب الشركات الصناعية الضخمة التى لفتت أنظار العالم إليها مثل شركات (ميتسوبيشي) و(تويوتا) و(سوزوكي) و(ميتسوي) و(سوميتومو) وغيرها بالإضافة الى مئات المصانع الصغيرة المقامة في البيوت والقرى ولقد أقيمت حول المصانع بيوت للسكن ومطاعم ونواد وحدائق ومدارس وعيادات أطباء ومصحات وأهم صناعات اليابان تتركز في أربع مدن كبرى موجودة في وسط جزيرة «هونشو» وهي طوكيو، ويوكوهاما، وناغويا، ويوكوسوكا كما شاهدنا ناقلات النفط العملاقة في أرصفة بناء السفن وفي عدد من المناطق قامت صناعة القاطرات والسكك الحديدية التي يبلغ طولها أكثر من ٤٠ ألف متر حيث تؤمن النقل الرخيص للأشخاص والبضائع والألمنيوم والنحاس كما تتركز صناعة الأجهزة الكهربائية والإلكترونية ولا سيما «المذياع والتلفاز والحاسوب وأجهزة الهاتف والغسالات والبرادات وغيرها» في مدن طوكيو، ويوكوهاما، وكيوتو، وكوبي كما تشتهر بصناعة الطائرات وقطع غيارها في مدينتي طوكيو وكوبي وهناك مدن أخرى تشتهر بصناعة الأدوية والمنسوجات المختلفة مثل مدينة «أوساكا - وكوبي» والى جانب ذلك ورغم قلة مساحة الأرض فهم يعملون على توسيع رقعة الأرض الزراعية عن طريق زيادة المدرجات الجبلية وتحويلها الى أرض زراعية ورغم ظروفها المختلفة فقد ظلت في طليعة الدول التى يحقق ميزانها التجاري الربح الدائم.

اليابان تنظم سباق واحة الصحراء للخيل على كأس سمو ولي العهد:

خلال وجودنا في طوكيو كان اللقاء بالأستاذ/ راشد الزنيدي مدير عام نادي الفروسية بالرياض الذى حضر للمشاركة في سباق واحة الصحراء على كأس سمو ولي العهد وقد حرصنا على الحضور والمشاركة بهذه المناسبة ولاحظت عشق اليابانيين واهتمامهم بهذه الرياضة حيث أقيم سباق واحة الصحراء على كأس صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد على ميدان سباق الخيل في طوكيو باليابان للعام الثالث على التوالى لمسافة ١٦٠٠ متر لخيل أربع سنوات فأكثر وشارك في هذا السباق خمسة عشر جواداً.

وحضر السباق ما ينوف عن ١٢٠,٠٠٠ (مائة وعشرون ألف) شخص كما نقل السباق حياً على الهواء من قبل التلفزيون الياباني ويقدر عدد المشاهدين بما لا يقل عن عشرين مليون مشاهد وأشادت وسائل الإعلام اليابانية من تلفزيون وراديو وصحافة وانترنت بهذا السباق وبالكأس المقدم من سموه الكريم الذى يحظى بتقدير واهتمام عشاق هذه الرياضة ونوه مدير عام نادي الفروسية بالرياض الأستاذ/ راشد بن عبد

المحسن الزنيدي إلى أن رعاية سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود لرياضة الفروسية العربية الأصيلة ليس في المملكة العربية السعودية موطنها ومنشؤها فحسب وإنما في أماكن شتى للدلالة على علاقة هذه الرياضة العربية أينما كانت ولتكون رمز صلة وتعاون بين مختلف الشعوب ومنها الشعب الياباني الصديق الذي أصبح بمختلف فئاته يعشقها الى حد كبير. وكانت مراسم السباق قد بدأت عند الساعة الثانية عشرة ظهراً برفع العلمين السعودي والياباني وعزف النشيدين الوطنيين بحضور كبار الشخصيات من دبلوماسيين ورسميين وإعلاميين ورئيس جمعية الصداقة العربية اليابانية ورئيس جمعية الصداقة السعودية اليابانية ورئيس نادي الفروسية في اليابان والقائمين على إدارة النادي.

مهرجان طوكيو :

يقام في طوكيو عدد كبير من التجمعات الفنية الشبابية كل عام ولكن أكبرها هو «ديزاين فيستا» وهو مهرجان تصميم يجري مرتين في السنة على أرض معرض «طوكيو بيغ سايت» الضخم. نظام المهرجان قائم على تأجير مساحاته المقسمة الى «دكاكين» صغيرة لمن يشاء وضع أعماله سواء للبيع أو العرض فقط، وإضافة الى كونه فرصة لتلاقي الفنانين الشباب، فإن له أهمية خاصة حيث يزوره ذوو الشأن في معظم شركات التصميم اليابانية بأنواعها المختلفة من منتجي الإعلانات وأفلام الرسوم المتحركة الى دور تصميم أزياء وغيرها. وذلك بحثاً عن مواهب جديدة لاجتذابها بعروض وظيفية أحياناً، أو لمجرد الاطلاع على آخر ما يدور في مخيلات شباب الجيل الصاعد الذين يصعب التكهن بآخر شطحاتهم.

ويتبارى طلاب المعاهد الفنية الشهيرة كمعهد بويوغي للرسوم المتحركة وغيره بعرض ابداعاتهم عن الشخصيات الخرافية التى قد يتم تبني بعضها من قبل أحد المنتجين الزوار. وفي تلك الحال، فإن ما يبدأ على شكل محارب فضائي مصنوع من لي بضعة أسلاك معدنية ملونة قد يصبح بضاعة تجلب الملايين من الدولارات واسماً يعرفه الأطفال في الملايين من المنازل حول العالم.

اليابانيون يتعلمون اللغة العربية:

اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحضارة الإسلامية ويحرص المسلمون في أنحاء العالم على تعلمها ودراستها والنطق بها وخلال زيارة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو ومشاهدة الطلبة اليابانيين وحرصهم على تعلم العربية يدرك المرء جهود المملكة العربية السعودية في نشر وتعليم اللغة العربية في العالم بصفة عامة، وعن جهود جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بصفة خاصة في نشر اللغة العربية ومدى اهتمام اليابانيين باللغة العربية كما أن هناك جهوداً ومؤلفات لبعض المستعربين اليابانيين. كما أن هناك تعاونا بين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في المعهد العربي الإسلامي بطوكيو وبين الجامعات والجمعيات اليابانية المعنية بالدراسات الإسلامية والعربية والشرق أوسطية. ولا شك أن ارسال الأساتذة السعوديين الى مراكز الدراسات العربية والإسلامية وأقسامها في الجامعات اليابانية للتدريس وعقد اللقاءات العلمية والقيام بالأبحاث



المشتركة سيكون له أثر كبير الى جانب تنشيط قسم الترجمة بالمعهد بحيث يقوم بالترجمة التبادلية بين العربية واليابانية فينقل الى اللغة العربية أهم الإصدارات اليابانية ويترجم الى اليابانية الكثير من الكتب العربية المهمة.

وتطوير مركز المعلومات بالمعهد حتى يكون له دور حيوي فاعل مع إصدار دورية علمية باللغتين العربية واليابانية لتكون معبرة عن نشاطات المعهد ولتنقل صورة واضحة عن التقدم العلمي في المملكة العربية السعودية لليابانيين ولتنقل للعرب مستجدات العلم في اليابان. كل ذلك سوف يسهم في خدمة التعاون بين البلدين ونشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة وتراث المسلمين الثقافي ومن هذا المنطلق ينبغي مضاعفة الجهود والاهتمام بنشرها في أرجاء العالم وبحث السبل والطرائق التى من شأنها ذلك خاصة وقد أخذت اللغة العربية اليوم تتقدم بخطى واثقة لتستعيد مكانتها في بعض المحافل الدولية.

بروفيسور ياباني يتوقع انتشار الاسلام في اليابان في زمن قياسي:

خلال جولاتي في اليابان سجلت بعض اللمحات العابرة لبعض جوانب الحياة ومظاهرها التى شاهدتها أثناء المرور السريع والحديث العابر وهي لمحات موجزة عن تلك الرحلة وما تركته من أثر في النفس مما مررت به في تلك البلاد.

- في مدن اليابان وقراها أعدت دور خاصة لتناول الشاي الأخضر فيها بالإضافة الى وجبات طعام مختلفة والشاي الأخضر هو المشروب المفضل ويتم تناوله بارداً وساخناً وتقدم بعض الحلوى زاهية الألوان لتعويض الطعم المر للشاي.

- فن تنسيق الزهور في اليابان ناحية هامة وهناك

أساليب عديدة لتنسيق الزهور تكمن وراء كل منها فلسفة مختلفة ولها أساليب غاية في البساطة والإتقان وهناك ما يزيد عن ٣٠٠٠ مدرسة للاهتمام بهذا الجانب.

- تبدأ السنة الدراسية في اليابان في شهر أبريل وتمتد اجازة الصيف لعدة أسابيع وتنتهي السنة الدراسية في شهر مارس وتبدأ الدراسة من الساعة الثامنة والنصف صباحاً حتى الرابعة والنصف مساء خلال أيام الأسبوع ويذهب الطلبة بعد ذلك لممارسة الرياضة وغيرها من الأنشطة خارج نطاق المنهج المدرسي وتتناوب مجموعات الطلبة في كل فصل لتنظيف الفصول والممرات والحمامات وفناء المدرسة وغيرها من الأماكن.

ويدرس الطلبة اللغة الإنجليزية في السنة الأولى من الدراسة الإعدادية وبالطبع اللغة اليابانية هي جزء شديد الأهمية في دراستهم وكتابة اللغة اليابانية تحتاج لوقت طويل وتتطلب تدريباً متواصلا.

- عناصر الطعام الطازجة تعد أمراً شديد الأهمية في الطعام الياباني التقليدي ورغم أن الأرز هو الغذاء الأساسي فإن السمك أيضاً مصدر هام للغذاء وأحد الأطباق المفضلة.

- اليابان واحدة من أكبر الدول المستوردة للمنتوجات الزراعية في العالم حيث لا يزرع من أرض اليابان سوى ١٣٪ فقط.

- الحياة في اليابان غالية ومرتفعة وقيمة المتر من الأرض في طوكيو وخاصة في منطقة «جنزا» تصل الى مليون دولار للمتر الواحد وقد علق أحد الزملاء قائلا: لقد بدا لي وأنا أقضم تفاحة في اليابان أنني أجتز قطعة من سبيكة ذهب وحينما بدأ في أكل قطعة شمام فقد تخيل أنه يقص ورقة من فئة المائة دولار الى شرائح. تلك نماذج باختصار من قصة الغلاء في طوكيو وقد روى أحد المرافقين لنا أن هناك نوعين من البقر يبلغ ثمن الكيلوغرام من لحمه ٤٠٠ دولار وأما السكن فهو يقص الظهر والجيب.

- المعهد العربي الإسلامي في طوكيو مفخرة سعودية حيث يقع في منطقة راقية في العاصمة يعتبر بحق قلعة علمية خصبة من قلاع العرب الإسلامية ومن حيث الموقع والمساحة وروعة التصميم وجودة التنفيذ فقد استطاعت الجامعة التغلب على المصاعب والتحديات لتأسيس هذا المعهد في ظروف اليابان الصعبة حيث الغلاء الملتهب إنه إنجاز بكل المقاييس.

- يحافظ اليابانيون على ثقافتهم وتقاليدهم بشكل كبير وعندهم حرص لافت للنظر على الاحتفاظ بالموروث والاهتمام به.

- لوحظ إقبال الشباب على الالتحاق بالمعهد العربي الاسلامي وقد وفق المعهد في جذب أعداد من الشباب وأبدى كثير منهم عناية واهتماماً بالدين الإسلامي واللغة العربية ويطلب الكثير منهم محاضرات عن الإسلام وحضارته وهذه هي المحصلة الطبيعية والمرجوة بإذن الله تعالى.. مما جعل المعهد يكثف نشاطه ويمد جسوره مع الشرائح اليابانية المتنوعة الأكاديمية والاجتماعية.

- «الجو» لعبة من ألعاب الذكاء وصلت لليابان من الصين ويميل الناس الى اعتبارها لعبة تراثية قديمة.

- مدينة «أوساكا» هي أكبر مدينة في غرب اليابان وقد ساهم موقعها في تحولها الى مركز اليابان التجاري وتزخر بالحركة والنشاط والصناعة وبها شركات متعددة تملك كلها تقنيات على المستوى العالمي.



- يقال إن الناس هناك في اليابان يسيرون أسرع من أي فرد في العالم وقد سألت عن السبب فقيل لي انهم يعتبرون الوقت من ذهب كما أن هذه الرغبة الدائمة في سرعة الحركة هي جزء من ثقافة هذه البلاد التي تكونت عبر القرون.

- «النوم مبكراً والأكل سريعاً» شعار يحترمه الجميع يشرحونه لنا قائلين إذا نمت مبكراً اقتصدت في تكاليف الإضاءة والتدفئة وإذا أكلت بسرعة وفرت وقتاً كبيراً للعمل. وهنا قلت لهم إن الوقت من ذهب.

- سواحل اليابان كثيرة التعرج زاخرة بالرؤوس والخلجان والجزر وأينما كنت فإن البحر قريب منك.

- على الرغم من صغر مساحة اليابان، فإن حوالى ٢٢٥ بركاناً تتوزع في مختلف مناطقها منها ١٦٥ بركاناً بين هادىء وخامد وما تبقى وقدره ٦٠ بركاناً كلها ثائرة وأهم براكين اليابان على الإطلاق بركان (فوجي) الذي يقع في القسم الشرقي من أواسط جزيرة (هونشوم) على بعد ٩٠ كيلا الى الجنوب الغربي من العاصمة طوكيو.

- يوجد في اليابان عدة أنهار من أشهرها نهر «تيسو» كما تضم أرض اليابان عدداً من البحيرات التى ترقد وادعة بين أحضان الجبال المكسوة بالغابات مما يضفي عليها جمالا ومشهداً أخاذاً كما تكثر ينابيع المياه الحارة والمعدنية التى تتدفق مياهها نحو سطح الأرض ويقصدها الكثيرون للتداوي وللترويح عن النفس.

- الإسلام الآن في اليابان هو أفضل حالا، مساجد تعمر وأفراد يدخلون في دين الله تعالى لا يدخلونه أفواجاً لكن مجموعة منهم ولو قليلة بدأت تسمع وتقرأ عن الإسلام. وهناك المعهد العربي الإسلامي والمراكز الإسلامية تساهم بدفع عجلة الدعوة والتعريف بالإسلام وحضارته.

- يعتمد جزء كبير من القوة الإقتصادية لليابان على التصنيع.. والسيارات هذه واحدة من أشهر المنتجات ففي عام ١٩٩٨م أنتجت اليابان أكثر من ١١ مليون سيارة ونصف السيارات المنتجة يتم تصديرها.

- جميع أنواع المواصلات موجودة في اليابان من الدراجة حتى أسرع قطار على وجه الأرض بشكل منتظم والسكك الحديدية هي وسيلة للنقل عالية الكفاءة.

- ترتبط جزر اليابان الأربع الرئيسية ببعضها البعض بحراً وجواً وبراً ومن خلال جسور وأنفاق.

- من خلال استعراض بعض الكتب يلاحظ أن هناك نهضة أدبية حديثة شديدة النشاط فالأدب الياباني المعاصر لقي اهتماماً دولياً وحصل مجموعة من أدبائه على جائزة نوبل للآداب.

- قرأت أن هناك عدداً لا حصر له من المهرجانات التى تعقد على مر العام مثل مهرجان الثلوج له جاذبية خاصة حيث يذهب إليه آلاف الزوار.

- بالرغم من أن اليابان بلد صغير من حيث مساحة الأرض، فإنها تضم ثامن أعلى عدد للسكان في العالم إذ يبلغ ١٢٧ مليون نسمة مما يجعلها من أعلى دول العالم كثافة بالسكان.

- طوكيو هي العاصمة منذ عام ١٩٦٨م ولعلها كما رأيت أكبر عواصم العالم من حيث المساحة والكثافة السكانية وهي نقطة جذب دولية للأنشطة التجارية وتتميز بتراثها الثقافي المتعدد.

- إن أول خطوات المسلمين في اليابان بدايتها عام

١٨٩٠م حينما رست سفينة تركية على الشواطىء اليابانية وفي عام ١٨٩١م أسلم أول رجل ياباني وفي عام ١٩٠٩م وصل مكة المكرمة أول حاج ياباني وفي عام ١٩٢١م استقرت أول جالية إسلامية في اليابان وتم بناء أول مسجد ياباني في عام ١٩٣٥م.

- اليابان تستعد لإحداث نقلة نوعية في علاقتها مع دول العالم الإسلامي.

- بروفيسور ياباني يتوقع من خلال دراساته واستقراءاته انتشار الإسلام باليابان في زمن قياسي.

فقد أوضح الدكتور صالح السامرائي مدير المركز الإسلامي في طوكيو أن بروفيسوراً يابانياً بوذياً وضع كتاباً ذكر فيه أن الإسلام إذا استقر قليلا في اليابان، فسيضم الإسلام اليابان كلها في زمن قياسي مثل ما حدث في اندونيسيا وماليزيا وذكر أن كل مسلم هو داعية وألف البروفيسور ساندا (رئيس معهد القانون المقارن في اليابان وعميد كلية القانون في جامعة شو أو من كبريات الجامعات في اليابان) كتاباً يؤكد فيه تفوق الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية ولزوم الدين الإسلامي للشعب الياباني ومسئولية المسلمين في العالم أن يقدموا الاسلام للشعب الياباني والعالم أجمع.

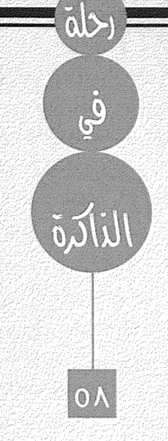
مغادرة اليابان :

كان هذا اليوم الخميس الموافق ١٤٢٢/٢/٢٠هـ هو يوم مغادرة اليابان ومن عادتي في ليلة السفر إعداد الحقيبة ولا أحب ترك ذلك للصباح أو اللحظة الأخيرة كما يفعل البعض وذلك تفادياً للنسيان أو ضياع شيء في بلاد بعيدة قد لا يعود لها المرء وأحرص دائماً على عدم كثرة المشتريات وأحرص على أن تكون أقل من القليل ولهذا لا يغمض لي جفن حتى كنت قد أعددت حقائب للسفر وفتشت الغرفة بحثاً عن الأوراق والأبحاث والكتب وغيرها وهذه عادة ثابتة فالزوايا والدواليب والأركان طالما ضاع فيها الشيء الكثير في عدد من رحلاتي القديمة وقد حاولت اصطياد لحظات نوم أغمض فيها عيني وعندما حاولت ذلك قرع مسئول الرحلة باب الغرفة طالباً استلام الحقيبة.. والاستعداد للإفطار والذهاب الى المطار وخرجنا من الفندق «نيو أوتاني» وهو يعج بالحركة ليلا ونهاراً - فهو من أضخم الفنادق - استعداداً للذهاب الى المطار والسفر بطبيعته يولد في النفس حالة من الشجن وعدم الاستقرار وخرجنا مبكرين قبل أن يستيقظ الناس وتعج الشوارع بحركة السيارات وفي الطريق من الفندق الى المطار كان إلقاء النظرة الأخيرة وكان زحام الطريق عادياً في مثل هذا الوقت ودخلنا الى المطار وتوجهنا الى ركن الخطوط اليابانية وكان المطار يعج بالمسافرين حيث إن المبنى تتوه فيه النظرات ولكن العمل فيه يتم بسرعة ونظام رغم ضخامة المبنى الذي يحتوي على مجموعة من الأسواق ذات أدوار متعددة ومترامية الأطراف وقبل الموعد المحدد كنا في الطريق الى الطائرة ووداع مودعينا من السفارة السعودية والمعهد العربي الإسلامي في طوكيو والطلبة السعوديين في اليابان.

وهكذا بعد تمضية أيام حافلة بالمتعة والفائدة ورؤية كل شيء يستحق أن يراه الزائر، ودّعت تلك البلاد والنفس مفعمة بشتى الانطباعات والذكريات الجميلة مردداً قول الشاعر العربي:

نزلنا ها هنا ثم ارتحلنا

فدنيانا نزول وارتحال





الإمام محمد متولي الشعراوي

اهتز العالم الاسلامي اهتزازا كبيرا لرحيل الإمام المفسّر الشيخ محمد المتولى الشعراوى الى جوار ربه الكريم، فقد كان الرجل بالغ الأثر في توجيه النفوس المؤمنة الى أشعة نور الله في كتابه المبين حيث رزق أسلوبا فريدا، يقرب القاصى، ويجمل الكثير في أيسر العبارات، وأشدها تأثيرا، وقد رزق حظوة لدى العامة والخاصة معا، لأن كلا الفريقين يأخذ من حديثه ما يمتع ويروق، كل وفق تفكيره وهو أمر لم يتح في تفسير آخر، وذلك توفيق الله.

لقد كان الشعراوى من أبطال التنوير الحقيقى في بلاد الإسلام، إذ جعل القرآن الكريم مصدر تنويره استجابة لقول الله عز وجل {**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُل السّلام، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم**} (المائدة/ ١٥، ١٦)، على حين ادعى التنوير قوم ينشرون الكتب المضللة على أنها أداة التنوير، فكتاب الاسلام وأصول الحكم لا يعتبر من التنوير إلا إذا قصد باللفظ ضد معناه، وقد رجع مؤلفه عن لباب ما جاء به كما أوضحت ذلك أكثر من مرة مؤيدا بالدليل ، فكيف يعاد نشره على أوسع نطاق، وكأنه حق لا مرية فيه، لقد ارتاع لذلك فضيلة الإمام الراحل جاد الحق على جاد الحق، واقترح عليَّ أن أقوم بتفنيد لفكرة الكتاب من جديد ليعلم الجيل الحديث من أمره ما قد يغيب عنه، وقد قمت بما أشار، وأصدرت مجلة الأزهر ملحقا خاصا بهذا التفنيد.

« أول اتصال » :

لم تكن لي صلة قريبة أو بعيدة بشخصية الشيخ، لظروف لم تهيىء هذا الاتصال، ثم ائتلق اسم الرجل فجأة، وأخذت دور النشر تتهالك على تسجيل أحاديثه في كتب خاصة دون أن ترجع اليه في تحقيق ما تنشر، فراعنى أن تنسب أقوال محرّفه للرجل الكبير، وقد رزق الله آثاره من الذيوع ما جعلها تنتشر في كل منزل، فسارعت بكتابة مقال نشرته بجريدة الجمهورية الصادرة في أول أغسطس ١٩٨٦م قلت فيه:

«إن ما ينشر من هذا التفسير الرائع على الناس في كتب صغيرة تتابع بها المطابع، وتتلقفها الأيدى واثقة مطمئنة لم يصدر أكثره عن أمر الشيخ ورقابته الدقيقه، بل تجرأ ذوو الكسب التجارى على سرعة الطبع، فنشروا ما يمكنهم تحصيله كما يتهيأ لعقولهم، فقد قرأت نصين يكادان يكونان مختلفين لتفسير آية كريمة نقلهما ناسخان عن الشيخ الكبير فكتب كل منهما ما خالف الواقع وفق ما فهم، وليست المسألة من السهولة بحيث يجوز عندها السكوت، فإن هذه النصوص المنسوبة للشيخ دون أن تلتزم الدقة



بقلم : **أ.د. محمد رجب البيومي**
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

المطابقة قد أصبحت بعض ميراثه العلمي وستكون وثيقة معتمدة أمام الأجيال القادمة، فربما زاد فيها المغرضون على عمد فنسبوا للشيخ ما لم يقل، وظهر المنسوبُ باطلا في كتاب يحمل اسمه، بل إني قرأت كتاباً يجمع خطبا منبرية قيل إنها من تأليف الشيخ، والعجيب كل العجب أن يعترف الناشر في مقدمة الكتاب أنه وضع لكل خطبة مقدمة من تأليفه هو، وخاتمة تحمل حديثاً نبويا ليتم للخطبة وضعها المألوف! وهذا عبث أقل ما يقال فيه إنه يغفل الفارق العلمي بين الدرس في المسجد، والخطبة في المنبر، فدرس المسجد ذو منهج عقلي يحمل الإقناع الفكري، وخطبة المنبر يوم الجمعة ذات طابع وجداني يجنح الى الاستمالة والتأثير النفسي ولا شك أن الرجل الكبير قد فوجيء بهذا العبث، وأغضى على ألم لم يشأ أن يعلنه تكرما وتسامحا ولكن الأمر جد».

هذا بعض ما قلته في مقال طويل بجريدة الجمهورية، وقد كان له صداه القوى لدى الشيخ، إذ قرأه مرات عدة كما نقل لي بعض مريديه، وقد أخبرني هذا الفاضل أن الشيخ كلفه بأن يشكرني على لسانه، وأن اقتراحي سيكون موضع التنفيذ.

وفعلا بادر الشيخ بإصدار مجلدات خاصة بالتفسير بلغت الآن أكثر من عشر مجلدات كبار، قام بمراجعتها شخصيا، وأحال على الدكتور أحمد عمر هاشم مراجعة الأحاديث النبوية وتحريكها في هوامش الصفحات، وكان جميلا منه أن يتفضل باهدائي كل ما صدر من التفسير عن طريق ولده الفاضل الأستاذ محمد سامي الشعراوي، وقد قرأت ما استطعت قراءته من هذه المجلدات الفاخرة حقا، فوجدت الأمر قد رجع الى نصابه، فبطل الزيف، وجاء الحق كاسحاً الباطل.

«حديث النكسة» :

بعض الذين يسوؤهم أن يجهر عالم بالحق، أخذوا يحصون على الشيخ عبارة تحدث بها عن النكسة الأليمة في حزيران ١٩٦٧م حديثا يحمل جانبا من المبالغة، والتمسوها مناسبة للنيل من فضله! وأنا أعرف شعور الشيخ عن الكارثة، منذ وقعت قبل أن يشتهر فضله بين الناس، فرأيت أن أكتب مقالا أشير فيه الى ما قاله الشيخ من قبل، لتعليم الناس أنه يصدر عن فكر مؤمن لا يتزحزح، فنشرت مقالا بمجلة الأزهر، قلت فيه:

«لقد كان الشيخ الشعراوى سنة ١٩٦٧ مديراً لمكتب الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر، وقد وكل إليه اعداد كلمة الافتتاح لمؤتمر مجمع البحوث الاسلامية المنعقد في سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م لتلقى على لسان الإمام الأكبر، وكان الحفل مشهودا حضره السيد نائب رئيس الجمهورية حسين الشافعي نائبا عن الرئيس جمال عبد الناصر، وامتلأت القاعة بكبار المسئولين وأعضاء المؤتمر من شتى بلاد الإسلام ولم يستطع الإمام الأكبر أن يلقى الكلمة لمرض نزل به، فوكل الى الشيخ الشعراوى أن يلقى خطبة الافتتاح من ورقة مكتوبة نيابة عنه، وهنا قال الشعراوى على لسان الشيخ ما لم يجرأ أحد أن يقوله في عهد عبد الناصر حيث صدع بقوله نقلا عن مجلة الأزهر (شعبان ١٩٦٨م) إذ ظهر عدد من المجلة خاص بالمؤتمر كانت كلمة الافتتاح في مقدمته، وفيها يقول:

«أيها الإخوة العلماء، إن نكبة النكسة التى واجهت أمة العرب، وشعوب الإسلام لم تكن محنة سياسية بقدر ما كانت محنة دين، فمن الجائز على سياسة البشر أن تخطىء تخطيطا، أو تخور مواجهة، ولكن ليس من الجائز أن يجعل الله للكافرين على المؤمنين

سبيلا، فحين صدم المسلمون بما كان، عجبوا أن يتخلى عنهم ربهم، ويُسْلمهم آلهمم، ولو كانوا أنصفوا لعرفوا موقعهم من دين الله، ولأدركوا أن ليس الإيمان بالتمنى، ولا شك وحضراتكم معى، أننا لو انتصرنا ونحن على ما كان في مجتمعنا من خلل وانحراف لازددنا جرأة على الله، ولجعلنا النصر شهادة على صدق التحلل، وسلامة الانحراف وصواب الانفلات من حضرة الله، ولهذا كانت الهزيمة غيرة من الله علينا، لأن فينا وجدان الدين، وان لم يكن لنا سلوك المتقين، فحاسبنا ربنا لنرجع إليه، وابتلانا لنقبل عليه، وذلك قانون الأحياء يحتم مرارة الجرعة لحلاوة الشفاء، فعلينا معشر العلماء أن نبين للناس أن الله لا يتغير من أجلنا، ولكن يجب أن نتغير نحن من أجل الله، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم».

هذا القول الجرىء قد هزّ المسئولين هزا، وقد حضر من يسأل الشيخ الأكبر عن هذه الصرخة الناقدة، فقال الشيخ مأمون، إن الشيخ الشعراوى قد كتب كلمة الافتتاح وعرضها عليّ، فوافقته على كل ما جاء بها وأنا مسئول عنها قبله، وهنا اتجهت الأنظار الى مراقبة الشيخ الجرىء، وأحس بالخطر، فبادر بالذهاب الى بعثة خارجية طال أمدها، ومعنى ذلك أن مرارة النكسة قد تغلغلت في نفسه منذ حانت، فلم يكن حديثه عنها فيما بعد مخالفاً لما قرر على رءوس الأشهاد.

(تفسير مريب) :

أصدر المستشرق الفرنسي جان بيرك ترجمته للقرآن الكريم حافلة بالأخطاء المقصودة وغير المقصودة، وكتب لها مقدمة طويلة جمعت الغرائب في سوء الفهم، واختلاق القول، وضلال النقل وسفه التهجم ومن غرائب هذا التفسير ومقدمته ما نص عليه من تأثير المعلقات السبع المعروفة في الأدب الجاهلى في النص القرآنى بدعوى أن ذكر المعلقات قد ورد في سورة النساء من القرآن!! وهى دعوى مضحكة حقا، لأن قول الله عز وجل **{ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، وان تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما}** (النساء/١٢٩)، هذا القول لا علاقة له إطلاقا بالمعلقات السبع! فإذا كان هذا منطق جاك بيرك فكيف يجرؤ على تفسير كتاب لا يعرف بدائهه فضلا عن غوامضه، ومن عجائبه أنه قال عن الجاثية في قول الله **{وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها}** «أن الجاثية هى المرأة الجالسة على عقبها» الى مئات من هذه الأباطيل، وقد احتفلت بعض المجلات المصرية بمقدمة التفسير المريبة ونقلتها جميعها في عدد واحد، وعدتها ضربا من التجديد المستنير!! الذى يدفع الى تعانق الشرق مع الغرب! وعرضت المقدمة والترجمة على مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر فكلفنى المجمع الموقر بكتابة رد شاف على أخطاء المقدمة، فقمت بما استطعت القيام به، وقرأ المجمع الرد وأقره، وفي صباح يوم تال، قابلنى الأمين العام للمجمع الأستاذ محمد سامى الشعراوى نجل الشيخ، وقال لي إن والده يريد أن يحدثنى تليفونيا، وقام معى الى الهاتف وطلب الشيخ الكبير، ففوجئت بقوله: إنه قرأ ردِّي جميعه على المقدمة المضللة، وأنه يكل الى الله أجرى فقد صاحبنى التوفيق في كل ما كتبت، وزاد الشيخ بأنه دعا لي عقب الصلاة بعد قراءة البحث! لقد كان الشيخ مريضا، ولكنه اتعب نفسه بقراءة البحث، ورأى ان يشجع كاتبه بكلمة تشد أزره! وهذا ما كان لانى دائما اشك في جودة ما اكتب واسأل الله ان يسبل الستر على اخطائي، فحين علمت حسن موقع البحث لدى الامام الكبير فرحت فرحا شديدا، إذ أزال بعض مخاوفي، ومن عطفه السابغ انه تفضل فاهدانى مصحفا كريما، وعباءة صوفية تعبيرا عن اعجابه! وكأنه لم يكتف بمحادثة التليفون.

وحين حدثت ذوي الصلات الحميمة بالشيخ عما

صنع، قال قائلهم، لست وحدك، فإن من عادته أن يفرح بالجيد المستطاب من القول، وان يبادر بكلمات التشجيع، ثم بالهدايا اللائقة وكم تم ذلك لنفر من ذوي البحث الجاد! وهذا ما اسجله اليوم بالعجب والاعجاب معا.

بين إمامين كبيرين :

في اليوم الثاني لرحيل الشيخ محمد المتولى الشعراوى أقام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ندوة علمية كبرى تتحدث عن مآثر الشيخ علميا وخلقيا، وتكلم كل عضو بما فتح الله عليه به في هذا المجال، ثم انتهت الندوة فخرجت مع بعض الزملاء متجهين الى الجامع الأزهر، فقال الزميل الكبير مشيرا الى الرواق العباسي، هنا كان الإمام محمد عبده في مطلع هذا القرن يلقى درس التفسير، وعن قريب بالمسجد الحسينى كان الشيخ محمد متولى الشعراوى في أواخر هذا القرن يلقى درس التفسير، والذين لم يتمتعوا بدرس الإمام من أهل هذا الجيل عوضهم الله بدروس الشيخ الشعراوى، فما ترى أنت في هذه المقارنة، قلت الحق معك، ولكن الفرق واضح جدا بين منهجي الرجلين الكبيرين، فإذا كان كلاهما قد اعتمد على النص المباشر للكتاب المبين دون خوض فيما قاله السابقون من المفسرين إلا فيما ندر، واذا كان كلاهما قد بعد عن الشطط الجامح في اعتساف الآراء، واختلاق الاحتمالات، والتكاثر بالمصطلحات العلمية مباهاة بعلوم النحو والبلاغة والأصول فإن لكل منهما بعد ذلك اتجاهه الخاص، فالإمام محمد عبده كان يبيح لنفسه حرية عقلية في التأويل إذا لم تَقُم الحقيقة لديه مقاماً واضح السطوع، أما الإمام الشعراوي فلم يلجأ الى التأويل اعتماداً على منهج خاص به، وهو أن مالا يعقل في منطق الناس قد يكون صحيحا مقبولا أمام قدرة الله، وأضرب المثل باتجاه الرجلين في تفسير قول الله عز وجل **{وعلّم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين}** (البقرة/ ٣١)، فمع أن الإمام محمد عبده قرر مذهب السلف في قيام حوار حقيقي بين الله وملائكته فإنه قرر مع ذلك مذهب الخلف فذكر أن المراد بالآية هو التمثيل البياني ليقرب الله عز وجل من أفهام الخلق ما تفيدهم معرفته من أحوال النشأة الآدمية، وما لها من المكانة الخصوصية إذ أخبر الله ملائكته بأنه جاعل في الأرض خليفة فقهوا من ذلك أن الله يودع في فطرة هذا النوع ما يكون به ذا إرادة مطلقة» الى آخر ما أفاض فيه في بيان هذا التمثيل، أما الإمام الشعراوى فلم يرتح الى التأويل العقلى لأنه يتعامل مع النص القرآني تعامل من يبعد التمثيل إبعادا تاما، إذ أن قدرة الله لا يعجزها شيء! وتطرق الحديث إلى آيات مشابهة، ولم أكد أفرغ من هذا السمر العلمى مع صديقى حتى وجدت محرر مجلة التصوف الإسلامي يلاحقنى طالبا مقالا عن الشيخ الشعراوى بمناسبة رحيله، فقلت في نفسى لماذا لا أجمع خلاصة ما قلت في إيضاح المذهبين المختلفين للمفسرين العظيمين ليكون منها محور الحديث المطلوب، وفعلا كتبت المقال تحت عنوان (بين الإمام محمد عبده والإمام محمد المتولى الشعراوى) وصدرته بقول حافظ ابراهيم في رثاء الإمام:

بكى عالم الإسلام عالم عصره
سراج الدياجي هادم الشبهات

لأن يوم الإمام كان في تأثيره الشديد بمحيط العالم الإسلامى شبيهاً بيوم الشيخ محمد المتولى الشعراوى، حيث ارتج الشرق الإسلامى رجة راجفة لفقد عالميه الكبيرين، وقد عبر عن ذلك حافظ ابراهيم في أبيات جيدة تصلح أن تقال اليوم بعد رحيل الشعراوي! ومازال لعلماء المسلمين من المكانة بين الناس ما يجعلهم في الحياة مصابيح وضّاءة، وفي الممات مهوى الأفئدة، ومتعشق الأرواح.

الفرق بين التبذير والإسراف

عندما يقرأ الإنسان القرآن الكريم، ويجد لفظتين متقاربتي المعنى: تطلق هذه تارة وتطلق هذه أخرى، يظن أن ذلك مجرد تغيير في العبارة، أو كما يسمى عند البلاغيين: تبدل في التعبير، وليس وراء ذلك كبير مقصد، ولا وراءه شيء من الحكمة، والحقيقة غير ذلك: فكل كلمة في القرآن الكريم في موضعها، وكل تبديل فلمعنى وحكمة، تظهر للقارىء الكريم بمجرد التأمل والتدبر **{أفلا يتدبرون القرآن}**[١] فالتأمل في آيات القرآن الكريم، يكشف للقارىء الكريم معاني عميقة، خذ مثلا قوله عز وجل **{وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور}**[٢] مع قوله جل جلاله **{وَلَمَنْ صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور}**[٣] فلماذا تركت اللام في الآية الأولى {إن ذلك من عزم الأمور} بينما أثبتت في الآية الثانية؟! {إن ذلك لمن عزم الأمور}.

الجواب: أن الداعية في الآية الأولى: لقي أذى من الناس فصبر على الأذى، ولم يرد عليهم بشيء، فهذا من عزم الأمور، لكن الداعية في الآية الثانية: لقي الأذى من قومه فصبر، وزاد على الداعية الأول، إذ دعا لهم بالمغفرة، فكان مثلُه كمثل النبي {صلى الله عليه وسلم} عندما آذاه قومه فقال «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٤] لذلك زاده الله عز وجل اللام: زيادة تأكيد وتقوية أنه من عزم الأمور، فكانت منزلته عظيمة، أعظم من منزلة الداعية الأول، وفي كل خير، فلولا اللام هذه لما فهمنا هذا المعنى الزائد.

والفرق الذي نريد أن نتحدث عنه هنا: هو الفرق بين كلمتين شديدتي الشبه: إنه الفرق بين الإسراف والتبذير، ولقد بلغ من شدة الشبه بينهما، أن الإنسان يقول: ما الفرق بين قوله جل جلاله {وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنه لا يحب المسرفين}[٥]، وبين قوله سبحانه وتعالى **{ولا تُبَذِّر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً}**[٦]، فما الفرق بين الكلمتين؟

الفرق بينهما: أن التبذير: صرف الشيء في غير محله اللائق به، والإسراف: صرف الشيء في المحل اللائق به، ولكن مع زيادة على اللازم[٧]، فعلى هذا، فالتبذير: تجاوز موضع الحق، وجهل بمواقع الحقوق، وأما الإسراف: فهو تجاوز في الكمية، وجهل في مقادير الحقوق، فالأول جهل بالمواقع، والثاني جهل بالمقادير[٨]، والله تعالى ذكر اللفظتين في القرآن الكريم: فذكر لفظ الإسراف في ٢٣ موضعاً[٩] بينما ذكر لفظ التبذير في ثلاثة مواضع فقط[١٠] وكلها في آية واحدة وهي قوله عز وجل **{وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً}**[١١].

ومع أن هذه الآية جاءت للحث على إيتاء ذوي القربى حقوقهم، ومثلهم المساكين وأبناء السبيل، إلا إنها حثت في الوقت نفسه على عدم التبذير، وبينت من المبذرون، وبينت أنهم إخوان الشياطين، كما بينت صفة الشيطان، وأنه لربه كفور، فعرفنا أن التبذير: وضع الشيء في غير محله من الأساس، أما الإسراف: فإنه وضع الشيء في محله، ولكن مع زيادة على اللزوم، كما يقول المثل المصري: زودها حبتين، وكما يقول المثل السوداني: بالغت، والمطلوب التوسط في الإنفاق، كما قال الله جل جلاله **{والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما}**[١٢]. فالإسراف كما قال الله تعالى {وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين}[١٣].

وهنا قد يتوهم متوهم: فيرى أن لا فرق بين التبذير والإسراف هنا؛ لأن الآكل زاد على الشبع، والمنفق زاد في الإنفاق، فلم سمي من زاد في الشبع مسرفا، والذي زاد في الإنفاق مبذرا، فما الفرق بينهما والكل زيادة؟ نقول: لما كان التبذير وضع الشيء في غير محله، فهذا المبذر كان عليه أن يعرف المكان الذي يحتاج الى الإنفاق فينفق، فإذا أنفق الإنسان أمواله في المنكرات، كشراء خمر أو شراء آلات لهو أو أعطاها للدجالين، فهو تبذير، لأنه وضع الأموال في غير محلها، فترك أصحاب الحقوق، وجعل أمواله في الحرام، أما النظر في الآية الأخيرة (ولا تسرفوا) فإلى الزيادة في تناول الطعام عما يحتاج إليه



بقلم : **د. ياسين بن ناصر الخطيب**

- جامعة أم القرى - مكة المكرمة -

الإنسان: أي أن هذا الإنسان وضع الطعام الزائد في غير محله اللائق به، فكان مسرفاً، فما كان حسب الحاجة فهو في محله، والزائد إسراف.

وانظر الى دقة التعبير في حديث النبي {صلى الله عليه وسلم}، فقد روى جعدة - مولى أبي إسرائيل - قال رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ورجل يقص عليه رؤيا، وذكر سمنه وعظمه - فقال له رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «لو كان هذا في غير هذا كان خيراً لك» (رواه الإمام أحمد في مسنده)[١٤]، يعني لو كان هذا الطعام الزائد في غير بطنك، لكان خيراً لك، فالتعبير النبوي الشريف: بيَّن أن هذا أكل حسب الحاجة، ثم زاد عن اللازم مما تسبب عنه البطنة، فهذا وضع الشيء الزائد في غير محله فهو إسراف، فالزيادة في الشبع إذاً إسراف.

وانظر الى تعبير قرآني آخر، يجلي لك الموقف، كان من عادة الجاهلية أن القبيلة إذا قتل لهم رجل، قتلوا أبا القاتل أو أخاه، أو قتلوا أكثر من واحد، فنهاهم الله جل جلاله عن ذلك[١٥]، فقال جل جلاله {**ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يُسرف في القتل إنه كان منصورا**}[١٦]، فجعل قتل غير القاتل إسرافا، لأن الواجب أن يقتل القاتل، فيكون قصاصا فهو عدل، لكن أن يقتل مع القاتل غيره، أو يقتل أكثر من القاتل فهو تجاوز في المقدار، فهو إذاً إسراف، ثم إن من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى ما خلقنا إلا للعبادة، لكن قد يقع الإنسان في المعصية فيتوب، فيتوب الله عليه، أما إذا شغل الإنسان نفسه بالمعصية، وضيع حياته بالغفلة، فقد تجاوز الحد، فهو مسرف؛ ولذلك قال الله جل جلاله {**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم**}[١٧].

فالذين أسرفوا: جعلوا حياتهم لهوا ولعباً وغفلة، نعم قد يحتاج الإنسان الى قليل من اللهو ليستعيد نشاطه[١٨]، لكن لا يمكن أن يجعل حياته كلها لهواً ولعباً، وقال الله عز وجل {**وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين**}[١٩] حيث تجاوز الحد عندما ادعى الألوهية، فجعله الله عز وجل من المسرفين، وكان أتباع الأنبياء عليهم السلام يدعون بهذا الدعاء: {**ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين**}[٢٠].

وهكذا تبين الفرق جلياً بين التبذير والإسراف.

الهوامش:

(١) النساء/ ٨٢
(٢) لقمان/ ١٧.
(٣) الشورى/ ٤٣.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) الأعراف/ ٣١.
(٦) الإسراء/ ٢٦ - ٢٧.
(٧) شرح مجلة الأحكام العدلية للمحامي علي حيدر ٥٨٧/٩ مادة رقم (٩٤٦).
(٨) تحفة المحتاج الى حل الفاظ المنهاج لابن حجر ١٦٨/٥.
(٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٣٤٩ - ٣٥٠.
(١٠) المعجم لألفاظ القرآن الكريم ١١٦.
(١١) الإسراء/ ٢٦ - ٢٧.
(١٢) الفرقان/ ٦٧.
(١٣) الأعراف/ ٣١.
(١٤) رواه الامام احمد في مسنده ١٠٧/٣.
(١٥) المدخل لدراسة الشريعة للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٣٦.
(١٦) الإسراء/ ٢٣.
(١٧) الزمر/ ٥٣.
(١٨) الترويح وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، كمال درويش ص٩، أوقات الفراغ والترويح د/ عطيات محمد خطاب ص٩ و١٩.
(١٩) يونس/ ٨٣.
(٢٠) آل عمران/ ١٤٧.

سلطان سعد القحطاني

من مواليد مدينة العيون بالإحساء عام ١٩٤٩م وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي ثم التحق بمعهد المعلمين حيث حصل على دبلوم في تدريس اللغة العربية لما دون الثانوية عام ١٩٧٣ ثم حصل على دبلوم عال في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك سعود عام ١٩٨٥م ، اما الدكتوراه فقد حصل عليها من جامعة جلاسكو في اسكوتلاندا عام ١٩٩٤م تخصص (رواية حديثة) وهو حاليا يدرس اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بجامعة الملك سعود منذ عام ١٩٨٣م وقد صدر له من المؤلفات:

١ ـ روائع الشعر العربي القديم ١٩٧٨م.

٢ ـ زائر المساء (رواية) ١٩٨٠م.

٣ ـ طائر بلا جناح (رواية) ١٩٨١م.

٤ ـ الرواية في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها ١٩٩٨م.

٥ ـ خطوات على جبال اليمن (رواية) وهي الرواية موضوع هذه الدراسة.

وله تحت الطبع: «نشأة النقد الحديث في المملكة العربية السعودية ـ اتجاهات الرواية العربية ـ المسلمات الاجتماعية في الرواية العربية (جذورها ومصادرها)».. إضافة الى ذلك فان له العديد من البحوث والمراجعات والمقالات المنشورة في عدد من المجلات والدوريات مثل: (مجلة الفيصل ـ مجلة العقيق ـ مجلة رؤى) وغيرها من المجلات[١].

وان الإطلاع على رواية (خطوات على جبال اليمن) كفيل بأن يعطي تصورا عن مدى إمكانية هذا الاديب في ان يثري الساحة الأدبية بما له من مساهمات ومشاركات ادبية وثقافية وانشطة تنم عن ما لديه من إمكانيات، بل رغبة في النهوض بالادب في المملكة العربية مشاركاً إخوانه الادباء والمفكرين في دعم تلك الهياكل العملية التي تقوم عليها الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية.

وقد تفضل بإهدائي روايته الأخيرة الموسومه بـ (خطوات على جبال اليمن) التي صدرت عام ١٤٢١هـ التي حاول أن يمزج من خلالها أدب الرحلات التى جاب خلالها جنوب الجزيرة العربية من الحديدة الى بلاد المهره. بالسرد الروائي الذى لا يترك ادق التفاصيل حيث تبدأ الرواية بداية مأساوية بفعل قذيفة ألقيت على السيارة التى كان يسافر عليها (بطل الرواية) من شمال اليمن مما استدعى ادخاله المستشفى والمكوث به ثلاثة اشهر حيث خرج فاقدا للذاكرة.. الا انه استطاع ان يتأقلم مع وضعه الجديد باسم (محمد شرف الدين) وبهذا الاسم عاش كمواطن يمني يتنقل من ولاية الى اخرى لجلب البضائع، وبين الحل والترحال كان لا يهمل ادق التفاصيل عن الحياة في المجتمع اليمني الذى احبه وعاش فيه وساير ايجابياته ونأى بنفسه عن سلبياته. الى ان وصل الى تلك الملحمة الرومانسية الانسانية التى يلتقي فيها الحب والعطف بالعادات والتقاليد المتوارثة منذ مئات السنين.

إن التفاصيل الدقيقة جدا التى أوردها الدكتور سلطان القحطاني تذكرني بتلك التفاصيل التى يحرص كبار الادباء الغربيين امثال همنجواي، واليزابيث الليندي، وكونان دويل. بايرادها وتتبعها بكل عناية حيث لا يترك الكاتب شاردة ولا واردة ليعطي صورا تمثل الواقع وهذا عمل لا يستطيعه الكثير من كتاب الرواية في الغالب لأن بعضهم اذا تتبع تلك التفاصيل انحرف الى مناح بعيدة عن جو الرواية وابتعد بالقارىء عن صلب الموضوع وأخذه الى دروب متشعبة.

والأداه التعبيرية (اللغة) التى استعملها الدكتور سلطان في هذه الرواية لغة صافية راقية لولا بعض



بقلم : **عبدالله بن أحمد الشباط**
الخُبَر – المملكة العربية السعودية

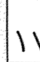
كلمات من اللهجة اليمنية ذات الاصول العربية حيث لا تختلف عن اصولها الا في النطق. وقد جاء استعماله لتلك الكلمات في اضيق الحدود.

والرواية في الاساس هي مجموعة قصص قصيرة تعالج عدة قضايا ترتبط مع بعضها موضوعيا وان اختلفت الازمنة والامكنة. والروائي هو الذي يستطيع ان يصهر تلك القصص في بوتقة واحدة ويربط بينها بأسلوب يراوح بين السرد الروائي واثبات الوقائع بصور ومشاهدات قد تكون من ابداع الروائي الا انها تنقل القارىء الى تلك الاجواء المشحونة بالحركة فيعيش في داخلها ويتحرك مع ابطالها زمانيا ومكانيا.. وهذا ما استطاع كاتبنا ادراكه والوصول اليه حيث انه قدم لنا خريطة ذات تفاصيل كثيرة التضاريس عن جزء مهم من الوطن العربي قد لا يعرف عنه الكثيرون شيئا الا ما تردده وسائل الاعلام.

وحيث ان العناصر الفنية الممكنة كما يقول الن نيت: (من المحتمل ان تكون على قدر من الكثرة يعادل القلة في مناحيها) والقارىء لرواية خطوات على جبال اليمن يلاحظ ان العناصر الفنية في هذه الرواية قد ضربت بقسط وافر من التنوع من السردي الى التصويري ومن الواقع الى الخيال حيث ينقل القارىء الى تلك الاجواء والربوع والمجتمعات التي لم يرها ولم يسمع عنها الا النذر اليسير عن طريق الرحالة أو المهاجرين من أبناء اليمن الى جميع انحاء العالم طلبا للرزق الحلال.

لقد استمعت - اقصد - قرأت فصول تلك الرواية وكأنني استمع الى حكاية من حكايات شهرزاد في الف ليلة وليلة وهي كما يقول عنها فورستر روائية عظيمة لا لانها كانت تجيد الوصف ولا لأنها كانت ناضجة في احكامها على الحياة والناس ولا لأنها امتلكت القدرة على خلق الشخصيات الحية النابضة.. بل اساسا لانها كانت تضع يدها على القانون الاساسي (لغتها).. والذي يستطيع أن يضع يده على ذلك القانون الادبي الذي يجب أن تخضع له الرواية يستطيع أيضا أن يشهر سلاح الترقب والانتظار في نهاية كل فصل ليبعث في نفس القارىء شغفا لمعرفة الآتي. وهذا ما استطاع القحطاني ان يستعمله لشد انتباه القارىء للمتابعة دون توقف للوصول الى النتائج التى لم تكن في حسبانه.

إن اللغة السهلة وهدوء الانتقال - غير المفاجيء - من مكان الى آخر يجعل القارىء يعيش تلك المرحلة بكل تفاصيلها في هدوء المتابع الذى يرغب في الحصول على النتيجة دون ان يضطر الى قفز الحواجز اللغوية والبيانية. وقد نجح المؤلف في أن يأخذ بيد القارىء ليشاركه كل المواقف المتعبة والممتعة بكل تفاصيلها مع لمسات رومانسية تحرك الوجدان وتصل الى اعماق الشعور بمعاناة الانسان في ساعات فقد الاحبة اما بالموت أو بالفراق.. وهو يرى نهايات احبائه تتوالى ليختفوا من مسرح حياته واحداً تلو الآخر حتى حدث له حادث سقوط فأصيب في رأسه ونقل الى المستشفى وبعد قليل من المعالجة عادت إليه الذاكرة.. وبعد طول معاناه مع هذا التغيير الذى طرأ على حياته المستعارة عاد الى اهله.. الى قريته.. التي ولد فيها والى احضان امه وابيه واخوته. كل ذلك في تسلسل روائي مبهج. ولذلك قال عنها احد النقاد: يمكن وصف هذه الرواية بأحداثها المتتالية بأنها مسلسل متكامل الاحداث يكشف لنا كما هائلا من الموروثات الشعبية التى يعتز بها المواطن اليمني في الاسرة وفي الشارع والمقاهي الشعبية وفي التجارة والعبادة والسفر والزراعة والصناعات الشعبية وطقوس الزواج والعلاقات الاجتماعية بما فيها تقاليد اعداد الطعام وطريقة تناوله وما يتعلق به بحيث ضمت هذه الرواية حشدا كبيرا جدا من تفاصيل ثقافة المجتمع اليمني في فترة الاربعينيات والخمسينيات وما بعدها والتى لا يعرف عنها المواطن العربي الا النذر اليسير.





خطف البصر بأشعة الليزر!!

حكى الصلاح الصفدي[١] قال:

لما حذقتُ فن الكتابة، ورقيتُ منبر الخطابة، وأجدتُ الخط والرّطانة، ونهلت من معين الأدب، وأحطت بأيام العرب، تقدمت للعمل في ديوان الإنشاء ، وهيأت نفسي للمقابلة، وكنت ثاني اثنين في المحاورة، فقال الممتحن للأول المدعم بالواسطة: ما اسم بلد المليون شهيد؟! فارتبك وتردد فهمس في أذنه: يبدأ بحرف الجيم، فقال الواسطي على الفور: عرفته إنه الجابون! قال الممتحن: اقتربت من الإجابة. قال: إذن هو جنوب إفريقيا! قال: تمهل ولا تعجل هو بلد يقع بين تونس والمغرب، ويبدأ بالجيم ثم الزاي ثم الألف. فقال الواسطي: هو الجزائر، فصفق الممتحن وقال: أحسنت يا علامة الجغرافيا والديمغرافيا! ثم التفت إليّ ساخراً مني: يا هذا، قد أجاب صاحبك أن بلد المليون شهيد هو الجزائر، والمطلوب منك الآن: أن تذكر أسماء هؤلاء المليون شهيد حسب الحروف الهجائية!!

قلت: هذا والله ضرب من التعجيز دُبِّر بليل لإخفاقي وإفشالي ، وما حالي إلا كما وصف القائل:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له
إياك إياك أن تبتل بالماء

والله إني لعلى يقين أن العمل في وكالة ناسا[٢] أيسر من العمل في ديوان الإنشاء! ولو سألتني عن أعلام الجزائر وأبطالها: عبد القادر الجزائري، وعبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، ومالك بن نبي، ومحمد العيد آل خليفة، ومفدى زكريا، وأبي بكر الجزائري، وأحمد بن بيلا، وعبد الملك مرتاض والطاهر وطار ومالك حداد وأحمد المدني وأبي القاسم سعد الله لأجبتك وأبهجت صدرك!



بقلم : **د. أحمد عطية السعودي** - الأردن

ولو سألتني عن مدنها الساحرة الجميلة: قسنطينة ووهران وبسكرة وتلمسان ومستغانم والأغواط، وأحيائها الراقية: اسطوالي وزارلدة ومرادية والأبيار، وأكلاتها الشعبية الشهية: كسو كسو وشكشوكة، لو سألتني لمتعتك بالحديث عنها حتى تهم بزيارتها! فضحك المتحن ملء شدقيه، وتمثل بقول المتنبي:

من أطاق التماس شيء غلابا
واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا!

ثم قال: يا هذا، لو كنتُ المظفر الرسولي[٣] لسألتك عما تقول، ولكني أنا المستعرض البطولي!

قال الصلاح الصفدي: فأتيتُ المظفر الرسولي، وقصصت عليه ما وقع لي في ديوان الإنشاء، فحدب علي وسرّى عن نفسي[٤]، ثم زودني بمعلومات ثرة غزيرة، وفوائد جمة جليلة، فاستكثرتُ من علمه وسألته: من الذي سفك دماء المليون شهيد، ولم يرحم الأطفال والنساء والشيوخ؟! قال: هم الفرنسيون سرطان الاستعمار الذين يدّعون المساواة والحرية ويتبنون الفرانكفونية[٥]:

دم الثوار تعرفه فرنسا
وتعلمُ أنه نورٌ وحقُّ!

وقد تصدى لهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه بقلوب جريئة وسواعد رامية وعزيمة متجددة تقدح النار واللظى كما قال مفدى زكريا:

نطق الرصاص فما يباح كلامُ
وجرى القصاص فما يتاح ملامُ
السيف أصدق لهجة من أحرف
كتبتْ فكان بيانها الإبهامُ

قلت: فمن أين كانت تستورد السيوف والخيل والرماح لقتل هؤلاء الأبرياء واغتصاب بلادهم مدة ثلاثين ومائة عام[٦]؟!

قال : ما كانت تقتلهم بالسيوف، بل بالبنادق الماحقة والمدافع الهادرة والقنابل الحارقة والدبابات الزاحفة والطائرات القاذفة!

قلت : على رسلك، ما أحسب البندقية إلا رمحاً يُحشى بالبندق ويستورد «بليل» من «تاجر البندقية»! وما أظن الطائرات إلا قذائف المنجنيق المتطايرة في جو السماء! أما المدافع والقنابل والدبابات فهي معروفة الصفات من عهد هانيبال الى عهد رومل المحتال[٧]!

قال : تُجيبُ وأنت بين يدي خبير بالأسلحة؟!

قلت : عفوك، إنما أتوقع، وإني لأعلم أنك مبرز في صناعة قنابل (المولوتوف) و(الملز) والمجانيق والأسلحة النفطية والألعاب النارية!

قال : لقد تطورت الأسلحة، وركب الناس الأجنحة، فأهملت السيوف والأسرجة، وغدا الفارس الشجاع من يتقن استعمال الاختراع، وينقذ أمته من الهزيمة والضياع وصارت القنبلة النووية الواحدة تقتل آلاف الأبرياء كما حدث في هيروشيما ونجازاكي[٨]!

قلت : من الذي ألقى القنبلتين على هاتين المدينتين، أمن الجن هو أم من الإنس؟!

قال : بل هم من دعاة حقوق الإنسان، وحرية اللسان، ومحاربة الأديان، وزرع الألغام، وقتل الأطفال في فيتنام، وإبادة الهنود الحمر والأيتام السمر!

قلت : لم أعرفهم بعد، أهم من سكان الأرض ولهم عقول وشعور وقلوب في الصدور؟!

قال : إنهم سدنة الدولار ومن يزرع الشر بأسلحة الدمار، ويهلك الحرث والثمار، ويقذف بالليزر فيثير الرعب والخطر، وينشر الفساد الأكبر!

قلت : سبحان الله، وما الليزر أيها الملك المظفر؟!

قال : الليزر يا صفدي، أشعة موجهة ذات قوة مدمرة، وقدرة عالية، توجه القذائف بدقة متناهية، تعمي البصر، وتلحق بالخصم الخسر!

قلت : ما فهمت شيئاً من شرحك وبيانك!

قال : أعرف أنك لا تفهم هذه المصطلحات إلا بالشواهد والأبيات، فاسمع قول الشاعر في وصف الليزر:

فيها ترى موكبُ
الإنجاز بالخيرات يزخرْ
قد راح يعرضها لنا
صوراً من الموجات ليزرْ[٩]

قلت : كيف السبيل الى رد هذه الأشعة على أعقابها، وتحرير الأرض من غُصّابها، ونحن في ضعف وهوان، وقد خلا الميدان من خالد وسعد، وموسى وطارق، وصلاح الدين وقطز؟

قال : بالإعداد، ومواصلة الجهاد، والحرص على الاستشهاد، ألم تقرأ قول الله تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}[١٠].

قلت : لابد إذن للحق من قوة، ولابد للأمة من هيبة، ولا يكون ذلك إلا كما قال الجواهري:

بالمدفع استشهدي إن كنت ناطقة
أو رمت أن تسمعي من يشتكي الصمما
لا تطلبي من يد الجبار مرحمة
ضعي على هامة جبارة قدما!

قال : حقاً إذا أكلت الأمة مما تزرع، ولبست مما تصنع، واستمسكت بإيمانها، فلن تذل ولن تخضع، وذلك وعد الله تعالى: {وكان حقاً علينا نصر المؤمنين}[١١]. وما هانت الأمة إلا عندما ركنت الى الدعة، وتعلقت بالمزمار، وشغفت بالشجب والاستنكار:

الزق والرق والمزمار عدتنا
والخصم عدته علم وآلاتُ
وشرعةُ الله في القرآن نهجرها
وشرعة الخصم تلمود وتوراةُ
وعدة الخصم صاروخ وطائرة
ونحن عدتنا الكبرى قراراتُ!

قلت : لنعد الى كلمة ليزر، هل هي ممنوعة من الصرف أم مصروفة في كل ظرف؟

قال : بل هي مصروفة في أغراض السلم والحرب، وتصحيح النظر، وثقب الأجسام والجُدر!

قلت : لمَ نخاف المستعمر وعندنا ما يدحر الكفر ويسحق الليزر؟!

قال : وما ذاك المخزون الذري يا صفدي؟

قلت : الأربعون النووية[١٢]!

قال: حقاً إنها أربعون هداية نبوية، وأربعون حماية نووية!

قلت : قد عاد العالم اليوم إلى رشده بعد الحربين العالمتين المدمرتين، وخُصصت جوائز للسلام والوئام، وتبرع نوبل[١٣] بماله تكفيراً عن جرائم ديناميته، وأنت تدعو الى المواجهة والمقاومة؟!

قال : أنا أدعو الى العنف والإرهاب وطرد الذئاب؟ بل أدعو الى إقامة أندية للضحك والاستلقاء، وصالونات للاسترخاء، وصالات للمسابح والمسارح، والمطاعم والولائم، وتكبير شاشات عرض الأفلام، وكسر السيوف والأقلام، فالعالم ينعم بالإيمان والأمان، والناس في الغرب قد تركوا السمر في النادي النووي، وركلوا بأرجلهم حلف الناتو، وحولوا المفاعلات النووية الى مصانع بخور هندية، وصيروا أقمار التجسس الصناعية ألعاباً لأولاد القارة الأفريقية!!

قلت : سأكتب إذن الى صاحبي أبي يوسف المنجنيقي[١٤] ليتخلى عن صناعة الأسلحة والمجانيق، ويتبنى المقولة المشهورة:

وفي الهيجاء ما جريت نفسي
ولكن في الهزيمة كالغزال!

فقد حل السلم وانتفى الغدر، وتطوَّر الشِّعر، وأنجب قصيدة النثر، فهل بعد هذا النصر نصر؟!!

قال : لا تفعل، حتى تطلعه أولا على ما كتبتُ في الليزر!

قلت : وما الذي كتبته في الليزر أيها الملك المظفر؟!

قال : رسالة مشهورة للأمة المنصورة جعلتُ عنوان إكليلها: «خطف البصر بأشعة الليزر».

الهوامش:

(١) الصلاح الصفدي: هو صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، عالم وأديب وشاعر ومؤرخ ورسام وخطاط، ولد في صفد وتعلم في دمشق والقاهرة حتى أصبح أستاذا لأساتذته، له كتاب «الوافي بالوفيات» وكان لكثرة ما كتب يقول: «كتبت بيدي ما يقارب خمسمائة مجلدة، ولعل الذي كتبته في ديوان الإنشاء ضعف ذلك». ت ٧٦٤هـ.

(٢) وكالة ناسا: وكالة أمريكية متخصصة في أبحاث الفضاء.

(٣) المظفر الرسولي: هو يوسف بن عمر الرسولي: ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن كان حسن السياسة في رعيته، بارعا في العلوم والصناعة له كتاب «المخترع في فنون من الصنع» ذكر فيه إبداعه في صناعة المجانيق والقنابل (المولوتوف والملز) ت ٦٩٤هـ.

(٤) حدب عليه: انحنى وعطف. سرّى عنه: أزال ما به من هم.

(٥) الفرانكفونية: دعوة الى سيادة الثقافة واللغة الفرنسية من خلال رابطة المستعمرات القديمة الناطقة بالفرنسية.

(٦) دام حكم الاستعمار الفرنسي للجزائر مدة ١٣٢ سنة من (١٨٣٠ ـ ١٩٦٢م) خاض خلالها الشعب الجزائري أشرس المعارك وضحوا بمليون شهيد حتى نالوا الاستقلال.

(٧) ليل : مدينة بفرنسا. تاجر البندقية: مسرحية لشكسبير تصور جشع اليهود وطمعهم.

المدفع: معروف قديما، آلة تدفع بها قذائف نارية وترمى على الحصون.

القنبلة: قديما هي طائفة من الخيل دون الخمسين (ج) قنابل.

الدبابة: قديما صندوق خشبي يشبه البرج ويحمل على عجلات ويحتمي بداخله الجند.

هانيبال: قائد قرطاجي قديم (ت ١٣٠ ق.م) رومل: قائد ألماني من مشاهير قادة الحرب العالمية ٢ أطلق عليه ثعلب الصحراء (ت ١٩٤٤م).

(٨) هيروشيما ونجازاكي: مدينتان في اليابان ألقت عليهما الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتين ذريتين قتلتا نحو (٢٠٠ر٠٠٠) إنسان أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م.

(٩) البيتان للشاعر السعودي عمر الكردي (انظر مجلة المنهل ع ٥٥٤ ص ١٣٩).

(١٠) الأنفال آية/ ٦٠.

(١١) الروم آية/ ٤٧.

(١٢) الأربعون النووية: مجموعة من الأحاديث النبوية الجامعة لأصول الإسلام وأحكامه، اختارها الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) صاحب رياض الصالحين، وشرح صحيح مسلم.

(١٣) نوبل: الفريد نوبل كيميائي ومخترع سويدي صنع الديناميت، ت (١٨٩٦م).

(١٤) المنجنيقي: أبو يوسف يعقوب بن صابر، شاعر متفوق في صناعة المنجنيق، مغرم بالسلاح وصناعته، له عمدة السالك وديوان شعر، ت ببغداد (٦٢٦هـ - ١٢٢٩م).

وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى للأديب الشاعر/ عبد الله بن خميس

الأستاذ الأديب الشاعر عبد الله بن خميس، واحد من أعلام الكلمة وروادها.. وواحد من فرسانها المبرزين في العديد من مجالاتها.. كتب المقال والدراسة، والبحث في العديد من قضايا الأدب والنقد والثقافة، وفي التاريخ والبلدان، وفي اللغة ومفرداتها.

وله كتاباته المتميزة في قضايا العادات والتقاليد والاعراف، والمثل الشعبي السائر.. وله اهتماماته الواضحة في (الادب الشعبي) في جميع معطياته ومجالاته.

وهو شاعر يملك الكلمة معنى وصياغة واستخداما.. شعره ينبض بعاطفته وحسّه ووجدانه..

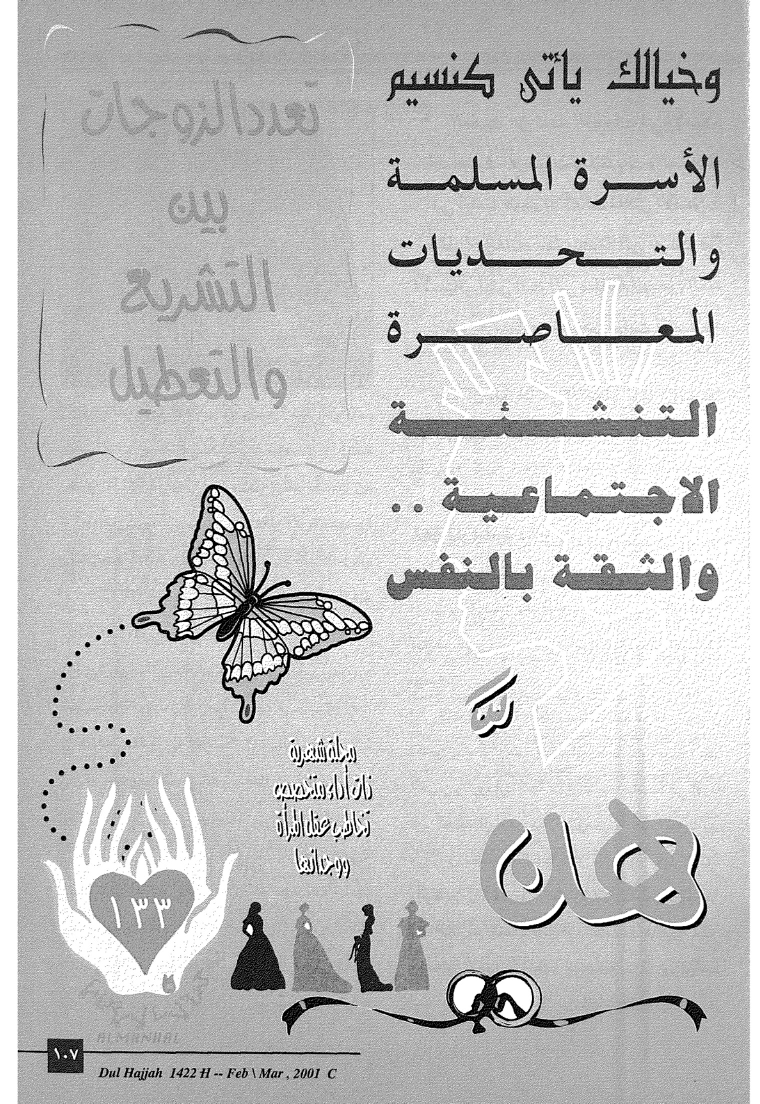
الكلمة عنده (شعراً ونثراً) مسئولية وأمانة.. يسخرها لما ينبغي ان تسخَّر فيه، ويجريها في ميدانها الذي ينبغي ان تعمل فيه.. من أجل بناء أمته وقومه، الكلمة عند الأستاذ الأديب الشاعر عبد الله بن خميس، تنمية للوجدان، وارتقاء بالحسّ، وسمو بالمشاعر.. وحسبنا أن تكون هذه (المسئولية والأمانة) واحدة من سمات جيل الرواد، وهو جيل ـ رغم قساوة ظروفه التى عاشها إلا انه استطاع أن يبنى مجداً، من العلم والثقافة والأدب والفكر.. وهذه في مجموعها ـ لا شك ـ موجهات أجيال وأجيال.

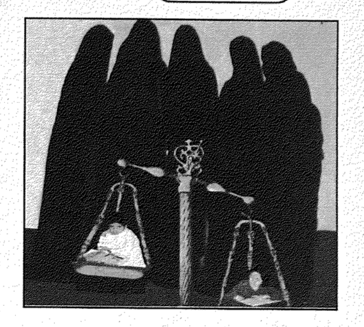


الاستاذ الاديب الشاعر عبد الله بن خميس، كتاباته واشعاره منثورة في العديد من وسائل الاعلام المتاحة، ومجلة المنهل كانت واحدة مما احتضن كتاباته.وهو كان، ولا يزال، وفياً لها حفيا بها.

وكانت المنهل، ولا تزال حفية به سعيدة بادائه وعطائه العلمى والفكري والادبي..

لهذا، فان المنهل ـ وقد سعدت كل السعادة بتشرفه بهذا الوسام الرفيع ـ ترفع لسيادته كل معاني التقدير، متمنية له دوام الصحة والعافية.. ولاديبنا وأستاذنا الكبير عبد الله بن خميس نسوق التهنئة موصولة دائماً..


وخيالك يأتي كنسيم
الأسرة المسلمة
والتحديات
المعاصرة
التنشئة
الاجتماعية ..
والثقة بالنفس
تعدد الزوجات
بين
التشريع
والتعطيل
مجلة شهرية
ذات آراء متخصصة
تخاطب عقل المرأة
ووجدانها
١٣٣



تعدد الزوجات بين التشريع والتعطيل

الحديث عن تعدد الزوجات في الإسلام بات حديث المؤتمرات والمنتديات والصحافة في أيامنا هذه، إذ تعالت بعض الأصوات مطالبة بإلغائه، مما يدعونا الى البحث عن الأسباب التى أدت الى مطالبة البعض إلغاء تشريع سماوي يعد من ثوابت الإسلام.

وقبل أن نتعرف على الأسباب علينا أن نتوقف عند قواعد وأسس وأحكام نظام تعدد الزوجات في الإسلام.

لمحة تاريخية :

قد يغفل البعض أن تعدد الزوجات لم يحدثه الإسلام، بل نظمه وقننه، وحدَّده بأربع، إذ كان العدد مطلقاً غير محدد في الشرائع والأديان السابقة للإسلام.

فقد كان هذا النظام سائداً عند قدماء اليونان فكانوا يبيحونه بغير حساب، كما كان سائداً عند الفرس والرومان، كما كان التعدد فاشياً في أوربا عند الجولد في زمن سيزار، ومعروفاً عند الجرمانيين في زمن ناسيت، كما كان موجوداً عند الهنود والبابليين والآشوريين والمصريين والصينيين، ولم يكن عند أكثرهم محدداً، بل لقد سمحت شريعة ليكي الصينية بتعدد الزوجات الى مائة امرأة، وكان عند أحد أباطرة الصين نحواً من ثلاثين ألف امرأة.



بقلم : سهيلة زين العابدين حمَّاد

رئيسة لجنة الأديبات برابطة الأدب الإسلامي العالمية - الرياض

والديانة اليهودية كانت تبيح التعدد وبدون حد، فقد كان مباحاً لليهودي أن يتخذ من النساء ما طاب له بلا قيد أو شرط، وأنبياء التوراة جميعاً بلا استثناء كانت لهم زوجات كثيرات، ولكن ظهر في العصور الوسطى الحاخام الفقيه المفسر «جرشوم بن يهود» الذى أفتى بوجوب تحريم تعدد الزوجات بين اليهود[١].

أما الديانة المسيحية فلم يرد في كتبها نص صريح بتحريم تعدد الزوجات، وإنما ورد في كلام بولس الاكتفاء بزوجة واحدة للأسقف وحده، وهذا دليل على جوازه لغيره، وقد ثبت تاريخياً أن بين المسيحيين الأقدمين من كانوا يتزوجون أكثر من واحدة، وفي آباء الكنيسة الأقدمين من كان لهم كثير من الزوجات، وقد بقي تعدد الزوجات مباحاً، وباعتراف الكنيسة حتى القرن السابع عشر، وقد ذكر هذا وستر مارك في كتابه «ثقافة تاريخ الزواج» كما ذكر فيه أيضا (أن ديار مارسدن ملك ايرلنده كان له زوجتان وسريتان، كما تعددت زوجات الميروفنجيين أكثر من مرة في القرون الوسطى، وكان لشرلمان زوجتان وكثير من السراري، كما يظهر من قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولا بين رجال الدين أنفسهم)[٢].

التعدد في الإسلام :

وجاء الإسلام في وسط هذه الإباحة المطلقة للتعدد، وهو أول شريعة صرحت تصريحاً قاطعاً بأن المرأة لها من الحقوق بقدر ما عليها من واجبات، إذ قال جلَّ شأنه **{ولهنَّ مثل الذي عليهنَّ بالمعروف وللرجال عليهنَّ درجة}** **فقيد التعدد بعدد محدود مشترطاً فيه العدل، يضوح هذا قوله تعالى: {وإنْ خفْتُم ألا تُقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورُباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانُكم ذلك أدنى أن تعُولوا * وآتوا النساء صَدُقاتهن نحْلة فإن طبْن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً}** (النساء/ ٣، ٤).

وسبب نزول هذه الآية أن بعض الأولياء كانوا يتزوجون يتامى في ولايتهن كابن العم يتزوج ابنة عمه، ولا يعطيها مهرها فنهوا عن ذلك، وقال سبحانه تعالى: **{وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع}**.. الى آخر الآية، والمعنى: اعدلوا مع يتامى النساء اللاتي في ولايتكم إذا أردتم الزواج منهن، فإن خفتم ألا تعدلوا فالنساء أمامكم، فانكحوا ما طاب لكم مثنى وثلاث ورباع شريطة أن تعدلوا، والعدل المقصود في هذه الآية هو العدل في الأمور المادية مثل النفقة والبيات والرعاية.

أما العدل المحكوم عليه باستحالة تحقيقه الوارد في قوله تعالى: {ولن تستطيعوا أن تعدلوا} هو العدل في الميل القلبي الذي لا يملكه الإنسان مهما حرص على أن يحمل نفسه عليه، وبناء على هذا الفهم الذي يتمشى مع واقع الأمور قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك». وهناك من يفسر قوله تعالى **{ولن تستطيعوا أن تعدلوا}** باستحالة تحقيق شرط العدل، وفي هذه الحالة يكون التعدد محرماً، ويرد الدكتور «محمد بلتاجي» في كتابه «دراسات في أحكام الأسرة» عليهم بقوله «إن الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يحرم تعدد الزوجات تحريماً مطلقاً لما أباحه على هذا النحو المشروط ثم أعلن بعد ذلك استحالة تحقيق هذا الشرط، لأن هذا يشبه أن يكون عبثاً يجب تنزيه القرآن الكريم عنه وما هو إلا فصاحة وبلاغة وإعجازاً وأحكاماً، فالعدل المشترط هنا العدل المادي المستطاع»[٣].

فالعدل في الأمور المادية شرط أساسي في التعدد مع وجود ضوابط وضعها الفقهاء، وهذه الضوابط تتعلق بضرورات شخصية، وضرورات اجتماعية.

أولا: الضرورات الاجتماعية للتعدد: منها:

١ ـ زيادة عدد الإناث على عدد الذكور في الأحوال العادية، كما هو الشأن في كثير من البلدان كشمال أوربا حيث تصل نسبة الذكور الى الإناث ١ : ٣.

٢ ـ أحوال الحروب التى يفنى فيها الملايين من الشباب، كما في الحربين العالميتين الأولى والثانية، فهنا يكون التعدد واجباً اجتماعياً وأخلاقياً ودينياً قبل أي شيء آخر لحماية الأعراض وصيانتها، ولحفظ الأنساب، وهنا نجد الفيلسوف الانجليزي «هربرت سبنسر» الذى يرفض تعدد الزوجات يرى بضرورته للأمة التى يفنى رجالها في الحروب يقول في كتابه «أصول علم الاجتماع» (إذا طرأت على الأمة حال اجتاحت رجالها بالحروب، ولم يكن لكل رجل من الباقين إلا زوجة واحدة، وبقيت نساء عديدات بلا أزواج ينتج عن ذلك نقص في عدد المواليد لا محالة، ولا يكون عددهم مساوياً لعدد الوفيات، فإذا ما تقاتلت أمتان مع فرض أنهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية، وكانت احداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاد، فإنها لا تستطيع أن تقاوم خصيمتها التى يستولد رجالها جميع نسائها، وتكون النتيجة أن الأمة الموحدة للزوجات تفنى أمام الأمة المعددة للزوجات)[٤].

ومن هذا المنطلق نجد هجوم أعدائنا على تعدد الزوجات لأنهم يريدون التقليص من أعدادنا بكل الوسائل.



ثانيا: الضرورات الشخصية وهي:

١ ـ عقم الزوجة:

وقد يقول قائل الآن اصبح بإمكان الزوجة العاقر الإنجاب عن طريق الأنابيب، هذا صحيح ولكن هناك حالات يفشل فيها الحمل بالأنابيب، وأنا أعرف صديقة حاولت الإنجاب عن طريق الأنابيب، وفشلت كل المحاولات، إضافة إلى ارتفاع تكاليفها.

فالمرأة العاقر أكرم لها أن تظل في بيت زوجها تتمتع بكل الحقوق الزوجية من أن تطلق، وقد لا يوجد من يعيلها، وإن وجد المعيل فهل ستعيش حياة كريمة هانئة، وإن كان المعيل أباً له زوج غير أمها أو كان أخاً له زوج أنانية شريرة حاقدة لا تخاف الله، أو قد يكون الأخ ذاته أنانياً قاسياً جاحداً يتنصل من الإنفاق عليها.

٢ ـ مرض الزوجة:

فقد تمرض بمرض مزمن أو معد أو منفر بحيث لا يستطيع معه الزوج أن يعاشرها معاشرة الأزواج،

فإن صبر على مرضها وكان وفياً فله جزاء الصابرين، وهو أعظم جزاء، يقول الله تعالى: {**إنّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**}، وإن لم يستطع الصبر فمن المروءة والأخلاق الكريمة أن يحتفظ بها، ويقوم على رعايتها وعلاجها ويتزوج بأخرى خير من أن يطلقها.

ومما لا يخفى على الجميع أن المرض يحتاج الى خدمة ورعاية ونفقة، فإن طلقها وهي مريضة فليس هذا من الإنسانية بشيء، لأنه لن يتوفر لها من سيقوم على خدمتها والنفقة على علاجها خاصة إن فقدت المعيل خاصة في زمن كهذا الزمن الذي طغت عليه المصلحة المادية والأنانية المطلقة، والمريض لن يجد من يرعاه إلا من الوالدين اللذين لا يريدان منه مصلحة ولا منفعة، فإن فقدت هذه الزوجة المريضة الوالدين كيف ستكون حالها إن طلقت؟ حتى لو كان لديها أولاد فللأسف الشديد هناك كثير من الأبناء قد تخلوا عن آبائهم وأمهاتهم ورموهم في دور المسنين.

٣ ـ كثرة تنقل الزوج وترحاله:

فقد يكون الرجل بحكم عمله كثير التنقل والترحال، ولا يستطيع اصطحاب زوجه في كل الأسفار، فهنا الأفضل والأصون له أن يتزوج بأخرى من أن يسلك طريقاً غير شرعية، وينجب أبناء غير شرعيين.

٤ ـ لتحصين الزوج:

فهناك من الرجال من لا تحصنه زوجة واحدة، فيستحب له الزيادة عن الواحدة.

هذه أسس تعدد الزوجات في الإسلام وضوابطه، كما رأينا فيها صيانة لكرامة المرأة، وحرصاً شديداً على عرضها.

والسؤال هنا: هل الرجال المعددون التزموا بهذه الأسس؟.

للأسف الشديد الجواب في الغالب يكون بالنفي إلا في حالات نادرة، فالشائع أن الكثير منهم أساء الى نظام تعدد الزوجات، فهم يعددون دون أن يلتزموا بالعدل، كما أنهم يعددون بدون مبررات شرعية، إذ تفاجأ الزوجة المكافحة الصبورة التى وقفت الى جانب زوجها في مشوار حياته، وأسهمت معه في بناء مستقبله، وجاهدت وضحت وتنازلت عن كثير من حقوقها في سبيل تحقيق مستقبل أفضل له، وبلوغ مكانة مرموقة في المجتمع، وما أن يفتح الله عليه أبواب الرزق، ويصبح شخصية مرموقة في المجتمع يكافىء هذه الزوجة بأن يتزوج عليها امرأة ثانية، لأنها من وجهة نظره لم تعد مناسبة له، ويتزوج من فتاة قد تكون في مثل سن ابنته!!

ونجده يميل كل الميل الى الزوجة الجديدة، وينصرف عن زوجه الأولى، فهنا المرأة افتقدت



الإحساس بالأمان، وأعطاها شعوراً بأن دينها قد ظلمها عندما أعطاه حق الزواج بأكثر من واحدة، فأساء الى تعدد الزوجات في الإسلام بإساءته استخدام هذا الحق.

وهناك رجال يجمعون بين أربع زوجات ويحرصون أن يكن موظفات لتتحمل كل واحدة منهن مسؤولية الإنفاق على نفسها، فهناك من يتهرب من الإنفاق بدعوى الزهد والتقشف أحياناً، وبتحريم الطيبات التى أحلها الإسلام باسم الإسلام أحياناً أخرى، والإسلام من ذلك بريء، ولا يكتفي بهذا فقد يهمل الزوجة الواحدة عدة أشهر.

رد فعل النساء على ظلم الرجال المعددين:

وكان رد فعل النساء على ظلم الرجال المعددين أن طالب بعضهن بإصدار قوانين تلغي تعدد الزوجات، واستجابت ـ للأسف الشديد ـ بعض الحكومات الإسلامية لهذا الطلب كما حدث في تونس، فلقد نص القانون التونسي الجديد على منع تعدد الزوجات منعاً مطلقاً من غير قيد أو شرط، فمن يتزوج بأكثر من واحدة يستوجب عقاباً بالسجن مدة عام، وبغرامة قدرها ٢٤٠٠ فرنك، أو بإحدى العقوبتين.

وفي بلاد أخرى كمصر قيد التعدد بشرط موافقة الزوجة الأولى، فلا يتم عقد الزواج من أخرى إلا بموافقتها، فلجأ الرجل الى «الزواج العرفي».

أما في الخليج العربي فقد استحدث «زواج المسيار» تخلصاً من ظلم وقهر الرجل المعدد.

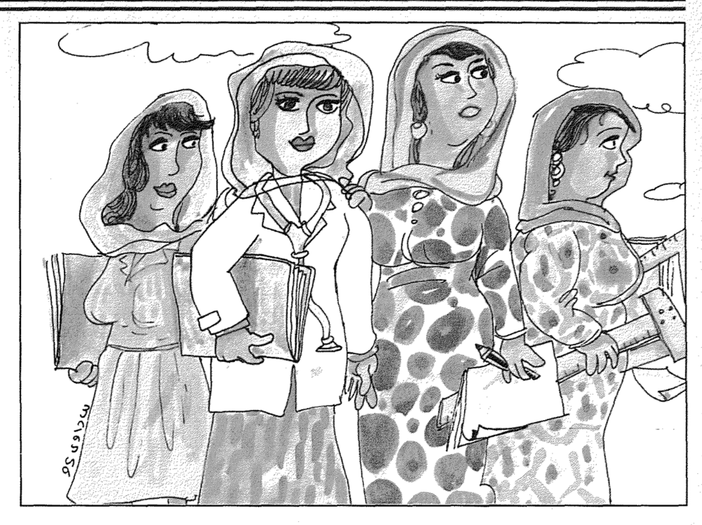
أحوال المجتمعات التى تحرم التعدد:

وعند تأملنا لأحوال المجتمعات التى تحرم تعدد الزوجات نجدها في حالة من الفوضى الجنسية، والمرأة أولا وأخيراً هي الضحية، وهي المظلومة؛ إذ تشير التقديرات إلى أن ما بين ٤٠ ـ ٦٠ مليون امرأة في العالم سنوياً تحاول إجراء عملية إجهاض لجنين غير مرغوب فيه، وغير المتزوجات يمثلن أعلى نسبة للإجهاض، ففي بريطانيا كان المجموع الكلي للإجهاض ازداد من (٦٣٫٤ ألف) عام ١٩٧٢م إلى (١٢١٫٨ ألف) عام ١٩٩٢م لكافة الأعمار من قبل غير المتزوجات، أي أن العدد تضاعف خلال عشرين عاماً[٥]. وبالرغم من حالات الإجهاض فهناك ارتفاع مذهل في عدد الولادات غير الشرعية.

والأولاد غير الشرعيين يكونون منبوذين من المجتمع، ولا يلقون الرعاية الكافية فينشأون ناقمين على المجتمع والناس، ويعيشون حياة كلها بؤس وتشرد وشقاء، وهذا يدفعهم الى العنف والجريمة.

أما أمهاتهم فيلفظهن المجتمع، وقد يتحولن الى مومسات ضائعات. فالمرأة هنا هي الضحية.

هذا ولقد تعالت الصيحات في بريطانيا مع مطلع القرن العشرين تطالب بإباحة تعدد الزوجات،



فقد نشرت جريدة «لاجوس ويكلي ريكورد» في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ ابريل عام ١٩٠١م نقلا عن جريدة «لندن تروث» بقلم احدى السيدات الانجليزيات ما يلي:

(أي ظن يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلا وعاراً على المجتمع، فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب والهون، ويسلم عرضهن وعرض أولادهن، إن تعدد الزوجات يجعل كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين)[٦].

والمرأة تكون الضحية أيضاً عند تقييد الزواج بثانية أو بأخرى بموافقة الزوجة الأولى، ونتيجة لهذا التقييد يلجأ الزوج الى الزواج العرفي، تلافياً لأية مشاكل بينه وبين زوجه الأولى، وحرصاً على وضعه أمام أولاده منها.

حكم الزواج العرفي :

والزواج العرفي زواج غير شرعي للأسباب التالية:

١ ـ إنه يفتقر الى الإشهار والإعلان.

٢ ـ إنه يحرم الزوجة والأولاد من حقوقهم



الشرعية، فالزوجة «عرفيا» لا يحق لها ميراث زوجها هى وأولادها ما لم يكن هناك اعتراف من الزوج بها كزوجة، وأولاده منها، وهذا الاعتراف نادراً ما يحدث.

٣ ـ يفتقر الى الديمومة والاستمرار، فهو كالزواج الموقوت الذي لا تتوفر فيه عوامل الاستقرار والديمومة والاستمرار، واستمراريته هنا مرهونة بعدم علم الزوجة الأولى، فإذا علمت به، مُزِّقت ورقة الزواج، وقذف بالزوجة «عرفياً» في الشارع، وقد تكون حاملا، ولا يحق لها نسبة الولد الذي في بطنها لأبيه لأن الأب سينكره، فأصبح وضعها كوضع المرأة التى حملت سفاحاً.

فالمرأة إن ظنت أنها قد أنصفت نفسها بهذا التقييد، فهي على خطأ كبير لأنها ظلمت نفسها به ظلماً ما بعده ظلم، وهنا تتجلى لنا الحكمة الإلهية في عدم تقييد الزواج بالثانية برضا الزوجة الأولى، لأنه لا توجد زوجة على أرض البسيطة توافق على أن يتزوج زوجها بغيرها إلا ما ندر.

زواج المسيار :

وزواج المسيار الذى ظهر في دول الخليج العربي في الآونة الآخيرة ما هو إلا نتيجة من نتائج إساءة تطبيق حق التعدد، إذ ظهرت في الخليج العربي في الآونة الأخيرة دعوة أن الأصل في الزواج التعدد، وأنه على الرجل أن يعدد بلا سبب، وذلك إحياء للسنة، وأصبح بعض خطباء المساجد، وبعض المحاضرين في المساجد، وفي الجلسات العلمية يحثون الرجال على التعدد، ويتهمون الزوجة التي لا تخطب لزوجها أنها غير مؤمنة، فأقبل الرجال على التعدد، وأصبحت النساء قلقات على الدوام منتظرات بين لحظة وأخرى أن يفاجئهن أزواجهن بزوجة ثانية، وثالثة، ورابعة، اضافة الى أن هؤلاء الرجال حرصوا على الزواج من موظفات، وتهربوا من الإيفاء بمطالبهن بتحريم ما أباحه الله من الطيبات، فرأت المرأة أنها مسؤولة عن نفقة نفسها وبيتها وهي في ذمة هذا الزوج، وفي الوقت ذاته هي خاضعة لقوامته، وعادة يكون هؤلاء الأزواج مسيئون لمفهوم القوامة، فيعطونها مفهوم السلطة والاستبداد والاستعلاء، فرأت بعض نساء الخليج في زواج المسيار رداً لكرامتهن، فما دمن غير مسؤولات من أزواجهن المعددين بالنفقة، فليكن زواجهن زواجاً مسياراً، ولا قوامة لأزواجهن عليهن.

والذين يقولون إن الأصل في الزواج التعدد هم على خطأ كبير، إذ لو كان كذلك لخلق الله لأبينا آدم عليه السلام أكثر من حواء.

ولو كان التعدد هو الأصل في الزواج، لما اكتفى الرسول [صلى الله عليه وسلم] وهو في سني الشباب بزوجه أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله

عنها، والتي تكبره بخمسة عشر سنة، والرسول {صلى الله عليه وسلم} لم يعدد إلا بعد أمره بالجهر بالدعوة، وكان في سن الثالثة والخمسين، فكان تعدده للزوجات للتشريع، ولأسباب تتعلق بنشر الإسلام، ونبذ الأحقاد واحتقان الدماء عن طريق المصاهرة، ولأسباب إنسانية، فلقد عدَّد النبي محمد عليه الصلاة والسلام للتشريع كزواجه من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها بعد طلاقها من زيد بن حارثة الذي كان ابن الرسول {صلى الله عليه وسلم} بالتبني ـ قبل الرسالة ـ فالله جل شأنه قد زوج رسوله منها ليشرع الزواج من زوجة الابن بالتبني، إذ كانت زوجة المتبنى تعامل معاملة زوج الابن، كما كان في تعدد الرسول عليه الصلاة والسلام للزوجات حكمة توضيح أحكام الزواج، والمعاشرة الزوجية، ولعل الأحاديث النبوية التى روتها أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن تؤكد هذا، كما كان زواجه ليس للشهوة كما يزعم بعض المستشرقين فقد تزوج من المُسِّنة (سودة بنت زمعة) رضي الله عنها براً بها، ومن أرامل لتكريمهن، والسيدة عائشة رضي الله عنها هي البكر الوحيدة التى تزوجها عليه الصلاة والسلام، وقد تزوجها إكراماً لأبيها الصديق أبي بكر رضي الله عنه، بينما أغلب المعددين يبحثون عن الصغيرات والأبكار والموظفات. ثم هل المعددون يعدلون بين زوجاتهم كعدل النبي {صلى الله عليه وسلم}؟!.

حكم زواج المسيار :

وزواج المسيار إن أباحه بعض العلماء، فأنا أرى أنه غير جائز شرعاً لأنه يفتقر الى أسس الزواج وهي:

١ ـ القوامة، لأن القوامة لا تتحقق إلا بشرطين هما تحمل مسؤولية الأسرة والنفقة، وهذان مفتقدان في زواج المسيار.

٢ ـ المودة والسكن والرحمة، وهي ثمار الزواج الروحية.

٣ ـ ثمار الزواج المادية، البنين والحفدة، وإن كان هناك أبناء فمن المسؤول عنهم؟.

٤ ـ الإعلان عنه بالشكل المتعارف عليه، فهو معلن عنه لدى أهل الزوجة القريبين فقط.

وهذا لا يكفي، ولا يعطي للمرأة حقها كزوجة شرعية أمام الناس والمجتمع.

كما يترتب على هذا الزواج أمور أخرى خاصة بالميراث، إذ كيف يرث زوج المسيار زوجته، وهو أساساً لم يكن مسؤولا عن نفقتها؟[٧].

وكما رأينا في هذا الزواج غبناً وظلماً وقهراً للمرأة، بل وامتهاناً لها. وما أراه إلا مخادنة ألبست لباس الشرعية بمسمى «زواج».

وهكذا نجد حال المجتمعات عندما تلغي شريعة تعدد الزوجات، وتستبدلها بشرائع أخرى وضعية، ففي كل الأحوال نجد أن تعدد الزوجات، كما شرعه



الله هو الأفضل والأصون للمرأة وللمجتمعات لأنه كفل لها جميع حقوقها، والله أعلم بأحوال خلقه، وبما يصلح لهم، وعندما شرَّع تعدد الزوجات شرعه لحماية الأعراض وصون كرامة النساء، وقد رأيتم بأنفسكم ما يحدث للمرأة عندما يحرَّم تعدد الزوجات.

ما الحل إذن ؟

المطلوب من الرجل والمرأة تقوى الله، فالرجل الذي يعدد عليه بتقوى الله، وأن لا يستخدم التعدد لظلم المرأة وقهرها، وأن لا يلجأ الى التعدد إلا للضرورة القصوى، وأن يكون عادلا بين زوجتيه أو زوجاته.

والمطلوب من المرأة تقوى الله في تربية أولادها، وأن تزرع في قلوبهم تقوى الله ومراقبته في كل قول وعمل، لأن هؤلاء الرجال نتاج تربيتها، كما عليها تقوى الله فلا تجعل زوجها المعدد يميل كل الميل إليها، ويظلم زوجه الأخرى، فإن كانت تحب زوجها حقاً عليها أن تحثه على العدل بينها وبين زوجه الأخرى، لأنه إن ظلمها سيبعث يوم القيامة وشقه الأيمن أعوج، وسيحاسب على ظلمه، ومن يحب إنساناً يريد له الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

ثم إن الأمر بيد المرأة أولا وأخيراً، وعليها ألا تقبل الزواج من رجل متزوج، قد يقول قائل: إن ظروفها الاجتماعية قد تضطرها القبول بالزواج من رجل متزوج.

وأقول : وهنا تتجلى لنا الحكمة الإلهية في تشريع التعدد فعلام الاعتراض إذن ؟؟

الهوامش :

(١) د. حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي، ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) د. عبد الناصر توفيق العطار: تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية ، طبعة بدون رقم، سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الشروق ـ جدة.

(٣) د. محمد البلتاجي: أحكام الأسرة في الإسلام، طبعة بدون رقم، سنة ١٩٧٤م، مكتبة الشباب، مصر.

(٤) د. مصطفى السباعى: المرأة بين الفقه والقانون.

(٥) د. شذى سلمان الزركلي: المرأة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة، ص ٨٩.

(٦) د. مصطفي السباعي: المرأة بين الفقه والقانون ، ط٣، دار المكتب الإسلامي ـ دمشق.

(٧) سهيلة زين العابدين حمَّاد: مسيرة المرأة السعودية الى أين، نشر على حلقات في مجلة المنهل.

الأسرة المسلمة التحديات المعاصرة

لقد اهتم الإسلام اهتماما شديدا بالأسرة لأنها اللبنة الأولى لبناء المجتمع، وعلى صلاح هذه اللبنة يبنى صلاح المجتمع بأسره. وقد كانت الأسرة العربية تمثل نموذجا ومثلا أعلى بما تتبناه من قيم وما تقوم عليه من أسس وضعها الإسلام وهي: المودة والرحمة بين الزوجين والتى لا تصلح الحياة الزوجية بدونهما، والعدالة وهي حق لكلا الزوجين وللزوجة بشكل خاص، والتكافل الاجتماعي.

إلا أنه لم يعد نمط حياة الأسرة المسلمة كما كان في الماضي فقد طرأت بعض التغيرات في الأسرة العربية بداية من تكوينها، فالزواج الذي هو الطريقة الأساسية لتكوين أسرة جديدة قد اختلت موازينه فقد ابتعد بعض الشباب عن المعايير الإسلامية في اختيار الزوج أو الزوجة، فالشاب يختار الآن الزوجة في ضوء معايير الجمال والمصلحة التى قد يحققها من وظيفة لهذه الزوجة أو لأحد أفراد أسرتها ونسى الشاب قول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «اظفر بذات الدين تربت يداك» وكذلك الفتاة فقد أصبح كل ما يغريها المال أو المركز الاجتماعي دونما أي تقدير للنواحي الدينية ونسى ولي أمرها قوله {صلى الله عليه وسلم}، «إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه» أضف الى ذلك ما انتاب مجتمعنا الاسلامي من تقاليد مرتبطة بالزواج وضرورة توفير بعض المتطلبات التى كانت سابقا من الكماليات فقد أصبح اليوم لا تهاون ولا تنازل عن التجهيزات الفاخرة والحفل الذي ينهك الزوج فيقبل على حياة زوجية جديدة بهموم ومسئوليات جسام.

وبذلك اقتصر الاهتمام كله في الزواج بهذه الأمور دون وعي لما يحققه الزواج من الفوائد وهي: الولد لإبقاء النوع الإنساني، كسر الشهوة والتحصن من الشيطان، تدبير المنزل.. فالمرأة الصالحة تدبر أمور منزلها وتفرغ قلب الزوج للعلم والعمل، وترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والاستمتاع بما يحقق الراحة والطمأنينة، مجاهدة النفس ورياضتها والقيام بحقوق الأهل مما يزيد من الأعمال عظيمة الفضل ثقيلة الميزان.

ونظرا لكثرة المسئوليات التى تقابل الزوجين كان لابد من خروج المرأة للعمل وهنا تظهر العديد من المشكلات فخروج المرأة من بيتها ترتب عليه التخلى عن بعض الأدوار التى تقوم بها ومحاولة التخفف من مسئولياتها وهذا يؤثر أكبر الأثر على تنشئة الأولاد وعلى علاقة الزوجة مع زوجها، فالمرأة العاملة دائما وقتها لا يتسع إلا للقيام بالمهام الرئيسة والعاجلة فقط في منزلها ولأفراد أسرتها وهذا ما يجعل خروجها على حساب منزلها وأسرتها، كما أن خروج المرأة للعمل وتقاضى راتب عن هذا العمل قد خلق بعض المشكلات



بقلم : د. هدى مصطفى محمد
- مصـــر -

بين الأزواج في الإنفاق، فيرى بعض الأزواج أن على الزوجة المشاركة في الإنفاق على الأسرة، وترى الزوجات أن القوامة والإنفاق للرجل وهذا ما جعل التفكك والخراب يدب في كيان بعض الأسر لهذه الأسباب، هذا بالإضافة الى عدم التفرغ من قبل المرأة لرعاية أبنائها بما يتناسب وروح العصر الذي نخشى فيه على أبنائنا من كل المؤثرات الخارجية التى زادت قوتها عما قبل بمغريات الحضارة فها هي دور السينما والأقمار الصناعية تنشر أفكارها وتبث سمومها بين الشباب وهذا ما أثر بوضوح على أخلاقيات شبابنا، فقد ظهرت في الآونة الأخيرة طائفة من السلوكيات والجرائم التى يقوم بها الشباب وهي غريبة عن مجتمعنا العربي الإسلامي.

وكل ذلك نتج عن عدم قيام الأسرة بدورها في تربية الأبناء ويقف وراء هذا العديد من الأسباب مثل: انخفاض مستوى الدخل وهذا ما يجعل الأب يندفع في محاولات الحصول على وسائل للكسب لرفع مستوى دخله مما زاد من أعبائه وأثر على وجوده في الأسرة، وقل توجيهه وإرشاده لأبنائه وبذلك قلت فرص التوجيه الفكري والأخلاقي للأبناء من قبل الآباء، هذا بالإضافة الى ميل الأبناء للحرية المطلقة ورغبتهم في التحرر من مراقبة الآباء واعتبارهم توجيهات الآباء - إن وجدت - تزمتا لا يتماشى وروح العصر الذي يعيشونه اعتقادا منهم أنهم خلقوا لزمن غير زمن الآباء وبذلك لا تساير أفكار الآباء هذا الزمان.

ولا شك أن كل العوامل السابقة أثرت على طبيعة العلاقة بين الزوجين، فضغوط العمل على كلا الزوجين أثرت على كيان الأسرة فالمرأة أحيانا تطالب الرجل بالمشاركة الجادة في كل الأعمال المنزلية وفي هذا انهيار للأسرة وهز لكيان وصورة رب البيت التى اعتاد عليها البيت العربي، وليس معنى هذا عدم التعاون من الرجل على الإطلاق ولكن في حدود مقننة ومنظمة، لا كما هو الحال في البيوت الغربية التى تحاول بعض الأسر العربية تقليدها. والتي ما إن ظهرت في مجتمعنا العربي حتى زاد التنافر بين الزوجين وتعكرت الأجواء الأسرية وامتلأت بالخلافات.

هذا بالإضافة الى انشغال الزوجين أحيانا بمشكلات العمل وهمومه ونقل هذه الهموم الى المنازل مما أثر على سير الحياة الأسرية بداخل هذه المنازل. ولنا أن نتخيل أن كلا منهما يأتي بمشكلات تختلف في طبيعتها ومداها وفق طبيعة العمل ، فهذا تشاجر مع زميل له، أو تأخر عن العمل فعوقب، أو هو مطالب بإنجاز بعض المهام المهنية التى تستغرق أوقاتا خارج نطاق العمل.. الخ.

وهذا كله يؤدى الى عدم استقرار نفسي وصفاء ذهني داخل المنزل. وهذا ما يجعل التوتر يسود بعض الأسر ليس لسبب إلا أعباء العمل وهمومه.

وأخيراً لنا أن نتخيل الأسرة بهذا الحال لم تقم من البداية على أسس إسلامية صحيحة مما جعل البنيان يوشك على السقوط من قبل اكتماله وها هو حال كثير من أسرنا «أسر آيلة للسقوط»، مع مواجهة كل الضغوط النفسية والمادية والاجتماعية والأخلاقية والانشغال الدائم بمشكلاتها فهي تعيش في معزل عن الحياة الاجتماعية، وبذلك أصبحت العلاقات الاجتماعية تحكمها المصلحة وقل الترابط بين الأقارب وأصبحت الأسرة منغلقة على أفرادها وهموم ومشكلات هؤلاء الأفراد والسعي لتحقيق مصلحة كل فرد منهم، وقل التعاون بين الأفراد وضعفت الروابط الاجتماعية مما أظهر المجتمع العربي مجتمعا متفككاً كنتاج لمجموع أسر متفككة.

فالأسرة الآن تعيش في أزمة، أب منهك طوال اليوم لتوفير لقمة العيش، وأم مرهقة بين المهنة خارج المنزل وواجباتها داخل المنزل، وأبناء في صراع مع اتجاهات التحضر وضعف التوجيه الأسري والاعتماد على ما يصادفهم من صداقات ورفاق تحمل اتجاهات موجبة أو سالبة، وجدران تضم كل هذه الأشتات المتناثرة ويطلق عليها منزل أسري.

ولذلك فالأمر يحتاج الى وقفة تأمل وليتبع هذه الوقفة بحث عن بدائل ممكنة لبعث روح الترابط الأسري العربي الإسلامي الأصيل في جو من الإنتاج والإنجاز مما يساعد على مواصلة ركب الحضارة العالمي في ضوء معطياتها العربية الإسلامية.

الإعلام المرئي والأسرة :

لقد أصبح التليفزيون أحد وسائل الإعلام المرئية وأكثرها انتشارا.. وهو يمثل أحد المؤثرات والتحديات الرئيسة التى تواجه الأسرة العربية، فقد فشلت معظم الأسر العربية في التحكم والسيطرة على هذا الضيف الذي يدخل كل بيت بلا استئذان فقد أصبح التليفزيون أحد المحاور الرئيسة التى تدور الأسرة حول فلكها، فما يصبح الصباح حتى يتم تشغيل التليفزيون مع أول إشراقة ويستمر هذا الحال دون أي ملل ودون ترك أي عمل تليفزيوني فالمشاهد العربي يشاهد كل ما يقدم سواء ما يوجه للأطفال أو الكبار.

ومشاهدة التليفزيون لها أكبر الأثر على الأطفال نظرا لارتباط الصوت بالصورة وعدم الحاجة الى إتقان القراءة والكتابة، ويظهر هذا التأثير بداية من تضييع الوقت والجلوس لساعات طويلة بسلبية شديدة مما يعوق بعض الأطفال وقد يصيبهم ببعض الأمراض، كذلك يؤثر بما يقدمه من محتوى قد لا يتناسب مع مجتمعنا العربي ولذلك فهو أحد عوامل الهدم لقيمنا العربية إن لم يحسن اختيار المادة الإعلامية المقدمة، فواقع الحال يؤكد أن معظم ما يقدمه التليفزيون لا يتناسب وأطفالنا، حتى بما فيها البرامج الموجهة للأطفال أنفسهم، فمعظم أفلام الكرتون المقدمة للطفل العربي هي من إنتاج غربي تحمل من الأفكار أحيانا أو السلوكيات ما يتنافى وطبيعة الطفل العربي المسلم، وتشجعه بطريقة غير مباشرة أو طريق المصادفة لبعض الأفعال العدوانية وخاصة في حالة وجود دوافع ونزعات عدوانية لدى هذا الطفل، أو في حالة اندفاع التليفزيون نحو تمجيد الجريمة أو تحقير بعض القيم الاجتماعية، فكثيرا ما يتأثر الأطفال بمناظر العنف التي يشاهدونها.

ورغم أهمية التليفزيون فإن الآراء تتعارض حول هذه الأهمية في تكوين الشخصية، فالمؤيدون يرون أنه وسيلة لتوسيع آفاق الطفل وخلق اهتمامات لديه، وإثراء خياله وشخصيته وتنمية العديد من المهارات والقدرات التي يحتاجها الطفل. أما المعارضون فيركزون على ما يعرضه التليفزيون من صور للعنف والجريمة قد تؤثر على الطفل، فالأطفال يتأثرون ويقلدون ما يشاهدون من مظاهر العنف والعدوان وخاصة إذا ما قدمت من قبل بطل يفضلونه.

ومهما اختلفت الآراء حول مزايا أو عيوب التليفزيون كوسيلة إعلامية مؤثرة على الأسرة والمجتمع فلا خلاف علي أنه من أهم وأخطر المؤسسات التى تؤثر على النشء، وتقف حائلا دون تأثير الأسرة بالقدر المطلوب، ولذلك لو نجح التليفزيون في تقديم البرامج الهادفة المسايرة لقيم مجتمعنا وأهدافه لأسهم بنصيب كبير في دعم دور الأسرة في تنشئة أبنائها.

ولكن لسان الحال ينطق بالأسى من التليفزيون ففي هذا العصر الذي أصبح العالم قرية صغيرة بفضل تمام التواصل عبر القنوات الفضائية أو الانترنت، وهذا ما جعل المسئولين على هذا الجهاز الإعلامي الخطير يقدمون كل ما يحلو لهم لمنافسة ما



يقدم عبر القنوات الفضائية دون رقابة على أن تكون كل أسرة هي مصدر الرقابة على أبنائها وهذا ما جعل التحدي أكبر أمام الأسر العربية، فقد وجدنا كل ما أنتج من أفلام منعت من العرض في فترات سابقة بدأت تهجم على بيوتنا وأطفالنا تقدم النماذج السيئة وتستثير لديهم الغرائز.

وبعد أن كانت الأسرة تترك أبناءها أمام شاشات التليفزيون معتمدة على دور الرقابة أصبحت الأسرة تخشى على أبنائها من هذا الزائر الذي قد أصبح بمثابة الأب الثالث للأطفال. وبعد أن كانت مشاهدة التليفزيون وسيلة لتحقيق المتعة والتسلية للأطفال أصبحت هدفا مرجوا من الأطفال.

التعليم والأسرة :

ومن التحديات الأخرى التى تواجه الأسرة العربية دون تحقيق أهدافها الاجتماعية والتربوية انخفاض المستوى التعليمي للمرأة العربية، فبالرغم من أن النظام التعليمي في أي دولة يوفر التعليم العام قبل الجامعي لجميع المواطنين في سن التعليم أي منذ السادسة حتى الثامنة عشرة ويحرص على أن يقدم في هذا التعليم مهارات التعليم الذاتي لكي يتمكن المواطن من مواصلة التثقيف الذاتي بعد هذا النوع من التعليم لينجح في مسايرة العصر والمتغيرات الحديثة في عصر التكنولوجيا والعولة، وهذا يعني استيعاب جميع الأطفال في التعليم العام حتى الثانوية العامة أو ما يعادلها.

إلا أن الوطن العربي يعاني من وجود نسبة كبيرة من الإناث لا تجد مكانا في التعليم الابتدائي أو لا تلتحق به، إما لصعوبات اقتصادية أو اجتماعية أو تعليمية فنتج عن ذلك وجود نسبة كبيرة من الفتيات تقع أعمارهن ما بين السادسة والعاشرة خارج المدرسة ويعانين من الأمية. وتزيد النسبة إذا ما انتقلنا للتعليم الإعدادي ونجد في هذه المرحلة من يلتحق بما يسمى المسار الخاص وهو يعني انخفاض المستوى التعليمي وسرعان ما يعود هؤلاء الى فئة الأمية، ومع التحرك للتعليم الثانوي يبرز هذا النقص في عدد الإناث الملتحقات بالتعليم الثانوي، ويمكن إرجاع هذا النقص في التحاق الإناث بالتعليم الى العديد من الأسباب منها: عدم توفير المباني المدرسية وبعدها عن المجتمعات السكانية في بعض الأحيان مما يدفع بعض الأسر لمنع الفتيات من مواصلة التعليم في المدارس الواقعة بعيدا عن إقامتهم، والنظرة العربية القاصرة الى الفتاة وأنها لا تستحق من الاهتمام ما يستحقه الولد فتعليم الولد هو المفضل للأسر عن الفتاة، وزيادة عدد أفراد الأسرة مما يدفع بعض الأسر لاستبقاء الفتيات في المنزل لمعاونة الأم في تدبير شئون الأسرة.

ويمكن علاج هذه المشكلة عن طريق: توفير المباني المدرسية وأن تكون قريبة من المناطق السكانية ليسهل على الفتيات الالتحاق بها، توفير المدارس ذات الفصل الواحد إذا لم يتيسر الحل الأول لإتاحة الفرصة لفتيات القرى والنجوع من مواصلة تعليمهن، توفير برامج محو الأمية للإناث للقضاء على هذه المشكلة، إزالة معوقات تعليم الفتيات بمحاولة توفير التغذية المدرسية، وتزويدهن بالزي المدرسي، وإعفائهن من الرسوم الدراسية، وتعليمهن بعض المهن التى قد تدر عليهن ربحا ويحقق لهن فرصا للعمل بعد الانتهاء من التعليم، التركيز في تعليم الفتاة على الثقافة الأسرية التى تساعدهن على امتصاص ثقافة القرن وتحديات ثقافة القرن الجديد.

وفي هذا كله محاولة للوصول الى فتاة متميزة لتصبح في مستقبلها أُمّاً متميزة تنجح في القيام بمهامها الأسرية ورعاية أبنائها وتوجيههم بأفضل ما يكون التوجيه.



على الأسرة مراقبة مايشاهده الأطفال .

التنشئة الاجتماعية .. والثقة بالنفس

التنشئة الاجتماعية عملية تعليم وتعلم اجتماعي ونمو طبيعي مستمر داخل ظروف بيئية معقدة ومتشابكة بهدف الوصول بالفرد الى أن يكون عضوا اجتماعيا نافعا ومقبولا بسلوكه الاجتماعي.

تعتمد التنشئة الاجتماعية على القيم الاجتماعية السائدة في العلاقات الأسرية، والحجر الأساسي في التنشئة الاجتماعية هو القيم القائمة في تلك العلاقات وفي الدفء الذي توفره العائلة للطفل والانسجام العائلي وعلاقة الوالدين بالطفل واتجاهاتهم نحوه. تختلف التنشئة الاجتماعية باختلاف المقومات العائلية التي تعكس إلى حد ما



بقلم : د. أمل المخزومي
أستاذة علم النفس - تركيا

الطابع المختلف للمجتمعات. ينتج هذا الاختلاف من تأكيد المجتمعات على جانب معين من الحياة التي يمارسها الأفراد في الفترة الزمنية التي يمرون بها.

على سبيل المثال هناك مجتمع يؤكد على الجوانب المادية وذاك يؤكد على الجوانب الروحية وثالث يؤكد على الجوانب الاجتماعية مما يؤدي بالتالي الى اختلاف أساليب التنشئة الاجتماعية التي يمارسها ذلك المجتمع. كما يشمل الاختلاف البيئة الاجتماعية داخل المجتمع الواحد أيضا.

تقوم التنشئة الاجتماعية بنقل الحضارة والثقافة والمدنية في داخل المجتمع الواحد من ناحية وبين المجتمعات من ناحية أخرى. هناك نوعان من النقلة الثقافية والمدنية.

تتضمن الأولى: النقلة الطولية للثقافة وتحصل عن طريق نقل الثقافة من جيل الى آخر.

أما الثانية: وهي النقلة العرضية التى تتم عن طريق التجارة والسياحة ووسائل الاتصال والزواج الذى يتم بين أفراد المجتمعات المتباينة ونتيجة لذلك تؤثر المجتمعات بعضها بالبعض الآخر. تدعو العولمة في العصر الجديد الآن الى تطبيق النقلة العرضية كي تستطيع تذويب المجتمعات في بوتقة واحدة.

تهدف التنشئة الاجتماعية الى تنمية الذات الاجتماعية لدى الفرد وكيفية التعبير عن تلك الذات وزيادة القدرة على حل المشاكل وتحقيق النجاح وغرس القيم الخلقية وتحقيق تكيف الفرد مع المجتمع. ركز الدين الإسلامي على تطبيق تلك الأهداف في تنشئة المسلم ليكون قويا. نالت التنشئة الاجتماعية اهتمام المربين الإسلاميين والعمل الجاد على تقوية ثقة الأفراد بأنفسهم. تلعب الثقة بالنفس دورا مهما في سلوك الفرد في مختلف المجالات والأعمار. يمكن أن نعرف الثقة بالنفس على أنها إحدى سمات الشخصية الأساسية التي يبدأ تكوينها منذ نشأة الفرد، كما ترتبط ارتباطا وثيقا بتكيف الفرد نفسيا واجتماعيا. وتعتمد اعتمادا كليا على مقوماته العقلية والجسمية والنفسية.

التنشئة والثقة بالنفس :

أكدت التربية الإسلامية على زرع الثقة في نفوس الأبناء، وقد استوعب هذا الموضوع المجلدات. وفي هذه العجالة نستعرضه باختصار بالشكل التالي:

١ ـ تعتمد التنشئة الاجتماعية الإسلامية على أسس سليمة في زرع الثقة بنفوس الأبناء وذلك باعتبار أن المسلم القوي الذى يدافع عن مقوماته التى تتضمن العقيدة والقيم وكيان المجتمع الاسلامى هو خير من المسلم الضعيف الذى يخضع للظلم والحيف الذى يلحق بتلك المقومات، نعلم بأن القوي تكون ثقته بنفسه عالية وهذه البذرة الأولى التى يحاول الآباء زرعها في نفوس أبنائهم ويكون مردودها بالتالي كبيرا جدا.

٢ ـ لقد ركز الإسلام على الوراثة التى تؤدى دورا مهما في تكوين شخصية الفرد وثقته بنفسه. يكون الفرد واثقا من نفسه عندما يكون سليما من الأمراض العقلية والجسمية والتشوهات الخلقية، ورد في الحديث الشريف (تخيروا لنطفكم، فإن العرق دساس) (تربية الأولاد في الاسلام لعبد الله ناصح علوان: ج١:٣٧) يؤكد هذا الحديث على تأثير الوراثة على تكوين الفرد والتى أضحت من مسلمات العلم الحديث. ويقول النبي {صلى الله عليه وسلم} «لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويا» (تربية الأولاد في الاسلام لعبد الله ناصح علوان: ج١:٣٩) لقد أثبتت البحوث الحديثة أيضا تأثير الزواج من الأقارب على إصابة الأطفال بكثير من الأمراض ومن ضمنها التخلف العقلي والتشوهات الخلقية ومرض السكر وعمى الألوان وغيرها من الأمراض التى تنتقل بالوراثة.

٣ ـ لو دققنا في الآيات الكريمة لوجدنا ان الآيات التي تبشر بالثواب أكثر من العقاب. لقد أثبتت جميع البحوث النفسية بأن للثواب تأثيراً اكبر وأهم على شخصية الفرد ودوافعه من الناحية الإيجابية بينما تأثير العقاب يكون أقل أهمية وقد يكون تأثيره سلبيا على الفرد. إن الإثابة في الإسلام كبيرة لمن يعمل الخير للجميع. **{من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها}** (الأنعام/١٦٠).

يدعو الإسلام من ناحية أخرى الى عمل الخير والصلاح، فالآية الكريمة تؤكد وتشير الى عمل الخير **{مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم}** (البقرة/٢٦١).

كذلك الحديث الشريف يؤكد هو الآخر على عمل الخير قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «من دل على خير فله مثل اجر فاعله» (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول لعلي ناصف، ج ١ :٦٤).

تتميز النظرية الإسلامية في هذا الخصوص عما جاء بالنظريات النفسية بميزة خاصة وهي أن ثواب العمل الصالح يكون أضعافا مضاعفة. أما العقاب فإنه يكون على قدر الذنب. إن تطبيق هذا المبدأ الإسلامي في التنشئة الاجتماعية يدفع الأطفال الى القيام بالسلوك المرغوب فيه من قبل الوالدين والمجتمع والدين الإسلامي.

٤ ـ لقد ركز الإسلام على تعليم الصغار والكبار والذكور والإناث ولا فرق في ذلك في فرص التعليم. وهناك من يؤكد على ان تعليم المرأة له فوائد اعم واشمل لأنها تتولى تربية الجيل الصاعد، فإن كانت مثقفة وواعية للتعاليم الإسلامية استطاعت أن تُنْشيء جيلا اسلامياً يقاوم عاديات الزمان وهجمات العولمة. على سبيل المثال نذكر قول: الإمام ابن باديس **{إذا علمت ولدا فقد علمت فردا، وإذا علمت بنتا فقد علمت أمة}**. وهكذا إن الأمة الإسلامية بحاجة الى أمهات متعلمات مثقفات ثقافة إسلامية.

أشاد المسلمون بأثر التعليم وشجع الإسلام طلب العلم على سبيل المثال قول الشافعي (يا ربيع اطلب العلم ولو كان في الصين) (الإمام الشافعي من



أعلام التربية الاسلامية لعبد الغني الدقر، ج١، ٢١٣) علما بأن في فترة ظهور الإسلام كانت المشقة في التنقل بين الدول والمدن بسبب انعدام التكنولوجيا ووسائل النقل وبالرغم من ذلك كان المسلمون يشدون الرجال ويتحدون الصعوبات لطلب العلم والمعرفة.

٥ ـ الخبرة السابقة والتجارب التى يتعرض لها الفرد أثناء حياته: تتميز مسيرة المسلمين بخبرات وتجارب لا حصر لها. فقد دخل في الدين الإسلامي القاصي والداني. وهذا يدل على براعة المسلمين في الإقناع وثقتهم العالية بأنفسهم. فعلا، كان المسلمون واثقين كل الثقة بأنفسهم ويعود السبب في ذلك الى صدق نواياهم وأصالة عزائمهم.

٦ ـ يعتمد سلوك المسلم في ممارسة عبادته على السلوك العلمي السليم. يؤدي المسلمون سلوكيات فريدة في نوعها، يقف الأجنبي أمامها مندهشا. على سبيل المثال اهتمام المسلم بالوضوء قبل أداء الصلاة. وقد أثبتت الدراسات أن للوضوء فوائده الكثيرة أهمها النظافة، وتنشيط الجهاز العصبي. يؤدي استعمال الماء في الوضوء الى تخليص الجسم من الشحنات الكهربائية الناتجة عن التوتر الذي يؤددى دورا مهما في الكثير من الأمراض النفسية. كما يساعد الوضوء على تنشيط خلايا الجلد وبالتالي يحفظه من التجاعيد. لقد أثار الوقوف المنتظم أثناء الصلاة والطواف في أوقات الحج إعجاب العالم. كما يتعلم المسلم الضبط والسيطرة الذاتية الناتجة عن طريق الصوم في شهر رمضان المبارك. إضافة الى أن تلك السلوكيات تساعد على تقوية التفاعل الاجتماعي السليم والتي تجعل المسلم يفتخر بها أمام غير المسلمين. يؤدي هذا الافتخار بالتالي الى الثقة بالنفس.

٧ ـ تساعد البيئة الاجتماعية والجغرافية العربية والإسلامية على صقل شخصية الفرد وذلك عن طريق إقامة الشعائر الدينية المختلفة. كما تؤدي الأهداف السامية من وراء الأعياد الدينية التي يهتم بها المسلمون اهتماما كبيرا دورا مهما في تقوية الروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.. وعن طريق تلك الشعائر الإسلامية يتولد التفاعل الاجتماعي بين المسلمين من مختلف الأقطار وهي بدورها تساعد على النمو الاجتماعي لجميع مراحل العمر.

٨ ـ لقد أكد علماء التربية الإسلامية على التنشئة الاجتماعية وأهميتها في غرس العادات الحميدة وممارسة تلك العادات في الحياة الاجتماعية، لقد ذهب الامام الغزالي (في إحياء علوم الدين ـ أبو حامد الغزالي ـ ج٣:٥٣) في هذا الصدد الى ما يأتى **(ولن ترسخ جميع الأخلاق الدينية في النفس، ما لم تتعود النفس على جميع العادات الحسنة، وما لم تترك الأفعال السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق للأفعال الجميلة ويتنعم بها، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها)**.

لقد جاء الإسلام بأساليب ووسائل مختلفة للتنشئة الاجتماعية السليمة، وقال تعالى: **{ونَفْس وما سوَّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكَّاها وقد خاب من دَسَّاها}** (الشمس/ ٧ ـ ١٠) يذكر الرازي (التفسير الكبير ـ للفخر الرازي، ج٣١،

١٩٣) عن تزكية النفوس ويقول (فاعلم إن التزكية عبارة عن التطهير أو عن الإنماء)٠ تكلم عن معنى (وقد خاب من دساها) فيقول (من دسها في المعاصي حتى انغمس فيها، أما المعنى الآخر فهو الإعراض عن الطاعات والاشتغال بالمعاصي ، والخمول المهمل المنسي كالشيء المدسوس في الاختفاء والخمول)٠

إن تزكية النفوس مهمة في الإسلام، وقد قال سبحانه وتعالى: {**يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم**} (البقرة/ ١٢٩)٠ تتزكى النفوس عن طريق العلم والإيمان٠ والسبب في إعطاء هذه الأهمية لتزكية النفوس في الإسلام ينبع من أن الهدف من هذه التزكية هو تقويم سلوك الفرد وتحقيق الصحة النفسية له وشعوره بالراحة والاطمئنان٠

النظريات النفسية والثقة بالنفس:

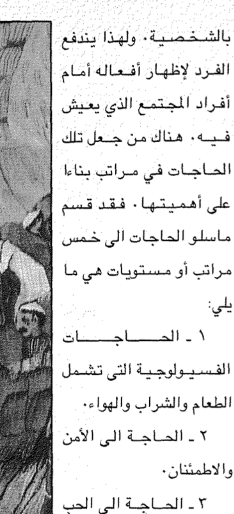
منذ زمن بعيد نال موضوع الثقة بالنفس اهتمام الباحثين على اختلاف آرائهم وجاءت نظريات مختلفة تلتقي في اكثر المواقف التى تتعرض للتنشئة الاجتماعية مع النظرية الإسلامية نذكر منها ما يلي:

أكدت النظرية التحليلية Analytic على خبرات الطفولة السابقة التى يتعرض لها الفرد٠ ولا ننسى الحديث الشريف عندما شجع النبي {صلى الله عليه وسلم} المربين والآباء على الاهتمام بمرحلة الطفولة الأولى وذلك بجعل الطفل سعيدا بقوله: (لاعبوا أولادكم لسبع) أي أن الطفل في هذه الفترة يحتاج الى اللعب والملاحظة والحنان الذي يؤدى الى التنشئة التى تعتمد على الانسجام العائلي، كما ركزت النظرية التحليلية على الشعور واللاشعور، وكيف إن الفرد يكبت الخبرة المؤلمة في اللاشعور وأيده بذلك يونك وقسم اللاشعور الى قسمين: (اللاشعور الشخصي واللاشعور الاجتماعي)٠

لقد تعرض القرآن الكريم في عدة آيات كريمة الى الشعور واللاشعور، وقد يكون أصحاب تلك النظرية استفادوا من تلك الآيات، ذكر يونك بأننا نخاف من الظلام لأننا تعرضنا الى خبرة مخيفة في الظلام، كما تطرق الى أن هناك عاملين مهمين يؤثران على اتجاهاتنا هما: العامل الداخلي الذي يتضمن أفكار الفرد، والعامل الخارجي الذي يشمل استجابة الفرد لأفكار الآخرين٠ الحقيقة جميع ما ذكر في هذه النظرية جاء بها الإسلام وفي الآيات القرآنية المختلفة٠

أما أصحاب النظرية الاجتماعية التحليلية ومنهم ادلر ، وفروم ، وهورني، وسوليفان٠ فقد أكدوا على العوامل الاجتماعية والثقافية٠ وان الفرد مخلوق اجتماعي، يدفعه شعوره الى تحقيق الأهداف الاجتماعية بالاعتماد على النفس، كما أكد فروم على شخصية الفرد التى تتأثر بمقومات المجتمع والتى تنعكس على شخصيته بشكل مباشر، أكدت النظريات على أن حاجات الفرد الاجتماعية تؤدي دورا مهما في سلوكه وهى تتضمن الحاجة الى الأقرباء، الحاجة الى التفوق، الحاجة الى الانتماء، الحاجة الى الذاتية، الحاجة الى التعريف




نموذج من الأعمال الفنية التي ابدعتها الانامل الصغيرة

بالشخصية. ولهذا يندفع الفرد لإظهار أفعاله أمام أفراد المجتمع الذي يعيش فيه. هناك من جعل تلك الحاجات في مراتب بناءا على أهميتها. فقد قسم ماسلو الحاجات الى خمس مراتب أو مستويات هي ما يلي:

١ - الحاجات الفسيولوجية التى تشمل الطعام والشراب والهواء.

٢ - الحاجة الى الأمن والاطمئنان.

٣ - الحاجة الى الحب والانتماء للعائلة والجماعة.

٤ - الحاجة الى احترام الذات التى تتضمن الاستقلالية وقيمة الذات.

٥ - حاجة تحقيق الذات التى تتضمن المعرفة والتطلع الى الكمال والجمال.

لقد مثلت الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن والاطمئنان حاجات أساسية وبعد إشباعها يأتي دور الحاجات النفسية التى تتضمن الفقرة الثالثة والرابعة والخامسة.

أكدت الأبحاث المختلفة على أهمية العلاقة بين الأم والطفل، والتفاعل الحاصل بينهما، وتذكر تلك الأبحاث بأن أساس القلق الذي ينتاب الفرد هو ناتج عن شعور الطفل في فترة الطفولة المبكرة بالوحدة والانفصال. قد يعود السبب في ذلك الى عدم تقبل الوالدين لطفلهم، أو إهمال حاجاته البايولوجية، أو حدوث نقص في العواطف التى يحتاجها الطفل كحاجته للأمن والاطمئنان، يؤدي هذا الفقدان الى أن يسلك الطفل سلوكا معينا غرضه الحصول على الحب والحنان من قبل الآخرين أو جلب انتباههم

اليه، يستمر الفرد في الكفاح بكل الوسائل والطرق من أجل تحقيق ذاته.

تعتبر الشخصية محصلة ناتجة من التفاعل الاجتماعي القائم بين الأفراد المزوج بالمقومات البايولوجية، لكي نتوصل الى معرفة شخصية الفرد علينا معرفة طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بينه وبين أفراد الجماعة التى يتعامل معها، ونوعية تفكيره نحو المجتمع الذي ينتمي إليه. هناك نوع من الديناميكية تعمل على تنظيم السلوك اليومي الذي يؤديه الفرد، كمعاملته للآخرين أو أداء السلوكيات الأخرى كتناول الطعام والشراب مثلا وما يرافق تلك العملية من ممارسات، يؤثر شعور الفرد واتجاهه وأفكاره على نشاطه اليومي وعلى نمو خياله وعلى عملية الإدراك التى تدور حول العلاقات الناتجة عن التفاعل الاجتماعي بين الأفراد منذ الميلاد ونمو تلك العملية وتطويرها خلال مسيرة حياته.

أدت التربية الإسلامية دورا مهما في تقويم وتقييم العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، كما إن لتلك العوامل دورا مهما في تنمية الذات، على سبيل المثال إن ساد الحب والتعاون والتضحية بين أفراد العائلة فإنه يؤدي الى تنمية الذات وعكسه يضعف تلك التنمية، أشارت بعض البحوث الى ان العلاقة القائمة بين أفراد العائلة الإسلامية تعتمد على الاحترام والطاعة، كما أن الإسلام قد نهى عن ذكر عيوب الآخرين التى كثيرا ما تسبب لهم الحرج والانطواء **{ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان}** (الحجرات/ ١١). وأثبتت البحوث النفسية أن للعاهات والعيوب الخلقية تأثيرات ايجابية وأخرى سلبية على الفرد، إن أثرت بالفرد إيجابيا فإنها تدفعه الى أن يبرز في جانب معين ويكون مشهورا في ذلك المجال، أما إن أثرت عليه من الناحية السلبية فقد تجعله يشعر بالنقص ويدفعه هذا الشعور الى تجنب المجتمع أو الانتقام منه أو الانطواء.

تأتى المدرسة بعد البيت، وإن للخبرات المدرسية الإيجابية والسلبية تأثيراً كبيراً على نوعية سلوك الفرد وعلى ثقته بنفسه. تتضمن تلك الخبرات تحقيق النجاح في المدرسة فإن واجه التلميذ نجاحا في المدرسة انعكس ذلك على ثقته بنفسه، أما إن واجه الفرد الفشل فإن ذلك يؤدى الى تزعزع ثقته بنفسه، كما تؤثر العلاقات بين الرفاق وبخاصة تلك التى تتميز بالاستحسان أو الاستهجان، قد تعتمد تلك العلاقات على الاستحسان وتتسم بالانسجام والقوة وتعتمد على التعاون والتضحية بحيث يؤدي ذلك النوع من العلاقة الى ثقة الفرد بنفسه، أما إذا كان العكس فإنه يؤدي الى سيادة العدوان والصراع والقلق وعدم الثقة بالنفس، وهكذا فإن علاقة الفرد بالبيئة التى يعيش فيها لها دور مهم في تنمية الثقة بالنفس، إضافة الى أن الثقة بالنفس هي العامل المهم الذى يمثل اتجاهات الفرد نحو ذاته ونحو بيئته الاجتماعية، ويحدد هذا الاتجاه إقدام الفرد نحو البيئة أو احجامه عنها، فعندما يقدم الفرد على البيئة يوصف بأنه واثق من نفسه، أما إذا أحجم عنها فهذا مؤشر لضعف ثقته بنفسه.



تعتبر الذات أساسا في البناء الاجتماعي، ويعتمد هذا البناء على اكتساب الفرد للخبرة الاجتماعية ولا تتكون الذات بدون تلك الخبرة، وإن اختلف الأفراد فإنما يختلفون من حيث درجة تلك الخبرة ودرجة نشاطهم في استيعابها والبحث عنها، يتميز بعض الأفراد بالنشاط الديناميكي للعمل والبحث دائما عن خبرات جديدة، وإن لم يجدوا فإنهم يستمرون في البحث عنها الى أن يتحقق لهم اكتشافها أو ابتكارها، ينبغي علينا تهيئة البيئة المناسبة لهؤلاء وتشجيعهم على البحث والتنقيب عن الحقيقة العلمية، إن كان في البيت أو المدرسة، كما يلعب المستوى الاجتماعي والاقتصادي دورا كبيرا في تلك البيئة وإن لهذا المستوى اثراً في مفهوم الذات خاصة لدى المراهق.

تؤدي وسائل الإدراك المتوفرة في بيئة الفرد دورا مهما في تكوين الذات. يعتبر هذا الإدراك إطارا مرجعيا يعتمد عليه الفرد عند إصدار أحكامه على العلاقات الاجتماعية. هناك من أطلق **الذات المدركة أو الواقعية** التى تتكون من الخبرة والحاجات والسلوكيات التى يؤديها الفرد، والتى تعتمد على أفكاره المنسقة والمحددة الأبعاد، وعلى قدراته والقابليات التى تنسجم مع متطلبات المجتمع الذي هو فيه، تساعد هذه الذات الفرد على اتخاذ مكانه في المجتمع، كما تساعده على إدراك الأساليب السلوكية التى يضعها له المجتمع من خلال التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية القائمة بينه وبين أفراد المجتمع الذى يعيش فيه، **أما الذات الاجتماعية** فإنها تقوم على مساعدة الفرد على إدراك سلوك الآخرين ونوعية العلاقة بينه وبين الذين يتعامل معهم، **أما الذات المثالية** فإنها تشمل التصورات والمدركات التى يتمنى الفرد أن يكون عليها، عندها يستطيع أن يحدد مستقبله وطموحاته وأهدافه التي تمكنه أن يتخذ الخطوات في تحقيق ذلك، تدفع هذه الذات الفرد الى الاستقلالية، كما تعتبر العامل الأساسي في الاستقرار النفسي عندما يحقق ذلك الاستقلال، وإن لم يستطع تحقيق ذلك الاستقلال فإنه يصاب بالاضطراب النفسي، **وهناك الذات الحقيقية** التى تعتمد على مدى القوة الداخلية التى يشعر بها الفرد وتعتبر منبع التطور واتخاذ القرارات، تلعب تلك العناصر الأساسية أو الذوات دورا مهما في تشكيل سلوك الفرد، إن أي انحراف يطرأ على تلك الأسس من الذوات يمكن تعديله وتغييره عن طريق إخضاعه لظروف علاجية نفسية مع المحاولات الممكنة لتعديل البيئة التى يعيش فيها الفرد، ينبغي على العائلة الحذر في معاملة الأطفال وعدم الإخلال بالتفاعل الاجتماعي الإيجابي القائم بين أفراد العائلة الواحدة.

قسم بعض العلماء الأفراد الى **العادي** الذي يتخطى المشاكل والذى يحاول التوافق بين ذاته وبين البيئة التى يكون فيها، والى الفرد **العصابي** الذي يتميز سلوكه بالتمركز حول ذاته وعالمه الخاص به ينتاب هذا النوع من الأفراد الخوف والقلق والتردد في المواقف التى يتعرضون لها بسبب مشاعرهم السلبية تجاه الآخرين، بالرغم من رغبتهم في أن

يكونوا أشخاصا اجتماعيين وباستطاعتهم تكوين علاقات اجتماعية، وجد العلماء أيضا بأن فقدان الثقة بالنفس هو أحد المظاهر الأساسية للمنطوين العصابيين، وقد ميزوا بين **الخجل الاجتماعي الانطوائي، والخجل الاجتماعي العصابي،** فالمنطوي يميل الى العزلة وتجنب الاختلاط بالآخرين، قد يمارس هؤلاء في بعض الأحيان دورا فعالا في المواقف الاجتماعية إذا دعت الضرورة ولكنهم على الأغلب انطوائيين، **أما الفرد التوافقي** فهو الذي يجعل التوافق بين البيئة وذاته قائما وبذلك يتحقق نمو الإرادة في الذات، هذا النوع من الأفراد هو الذي نطمح إليه في تنشئة أطفالنا، كما هناك علاقة وثيقة بين ضعف الثقة بالنفس والحساسية والخجل وضعف الاتزان الانفعالي، توجد علاقة بين الثقة بالنفس وبين الإقدام الاجتماعي وحسن التكيف، كذلك بين ضعف الثقة بالنفس وسوء التكيف والميول العصابية.



المكتبة من ضرورات التنشئة العقلية للطفل

مميزات الفرد الواثق من نفسه:

يتميز الفرد الذي يحمل ثقة عالية بنفسه بما يلي:

١ ـ يميل سلوكه الى الاتزان والتحديد والتنسيق والتنظيم.

٢ ـ له القدرة على مقاومة المشاكل والتغلب على المواقف الصعبة التى يتعرض لها.

٣ ـ يستطيع أن يشكل خبرات جديدة تنسجم مع مفهومه عن ذاته.

٤ ـ له القدرة على المحافظة على ثبات وتماسك مفهوم الذات لديه.

٥ ـ يعتمد إدراكه لنفسه وتقيمه لها على المنطق.

٦ ـ يحمل معتقدات إيجابية حول نفسه وله محاولات دائبة لرفع شأن تلك الذات والدفاع عنها.

٧ ـ له القدرة على التوافق مع البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها والثبات عليها.

٨ ـ إنه لا يتخوف من مجابهة المواقف الاجتماعية أيا كان نوعها.



٩ ـ يندفع الى الانضمام الى الآخرين من مختلف الأعمار والأجناس.

١٠ ـ لديه مظاهر ارتباط إيجابية وثيقة الصلة بين نمو الثقة بالنفس والنمو الجسمي والاجتماعي.

١١ ـ يشعر بالأمن والاطمئنان ويشبع حاجاته البايولوجية والنفسية بطريقة بعيدة عن التطرف والغضب والخوف والتوتر والقلق.

١٢ ـ له القدرة على اكتساب الخبرات المتنوعة والمختلفة والاستفادة منها.

١٣ ـ يحمل اتجاهات إيجابية نحو البيئة الاجتماعية التى يتعامل معها.

١٤ ـ لا يتردد في التعبير عما يدور في خلده.

١٥ ـ يمارس نشاطه الحركي والفكري بشكل مستقل.

يعتمد نمو الذات على الخبرات التى يتعرض لها الفرد في حياته، وعلى عمليات النمو في التعلم والنضج. هناك علاقة بين نمو الذات أو الثقة بالنفس والمثيرات الإيجابية التى يتلقاها عن طريق التنشئة الاجتماعية القائمة في البيئة التى يعيش فيها الفرد. لهذه البيئة الغزيرة بالمثيرات الإيجابية ارتباط وثيق بمفهوم الذات لدى الفرد إضافة الى اتجاهاته نحو نفسه.

تؤدي توقعات الفرد ودوافعه واتجاهاته نحو ذاته دورا مهما في تحديد نوعية علاقته بالآخرين وتفاعله معهم، تؤثر تلك التوقعات على إدراكه للمواقف الجديدة التى يتعرض لها في حياته، تعتبر الذات بمثابة العامل المشترك بين البيئة وبين طبيعة الإدراك لدى الفرد. تلعب البيئة الاجتماعية دورا مهما في تقوية الثقة بالنفس أو إضعافها فالفرد الذي ينشأ في بيئة مملوءة بالثقة بالنفس يكون واثقا من نفسه.

إن إتاحة الفرص المتعددة والمختلفة للفرد للتعامل مع الآخرين هو الآخر يؤدي الى تكوين الثقة بالنفس وتقويتها. تتأثر التنشئة الاجتماعية بعوامل كثيرة منها صحة الطفل أو عدمها، وذكائه وعدمه، وانبساطه وانطوائه. على سبيل المثال إن كان الطفل مصابا بإحدى العاهات أو عليلا، أو لديه بعض النقص في النمو كثيرا ما يؤدي هذا الى تركيز اهتمام الأم على هذا الطفل لعطفها الشديد عليه. وتحاول أن تساعده في كثير من الأمور وذلك لشعورها بحاجته الى تلك المساعدة. كما أن التطرف في التدليل والاهتمام بالطفل يؤدي الى أن يصبح معتمدا اعتمادا كليا على الآخرين وخاصة الأم. فعندما يواجه مشكلة لا يفكر في حلها وإنما يفكر في كيفية الوصول الى أمه كي تساعده على حلها. مما يؤدي به أن يصبح عديم الثقة بنفسه ويكون اتكالياً على غيره. وقد يصبح أنانيا نتيجة لتلك المواقف.

تؤدي النواهي المتعددة والمختلفة والانتقادات التى يتلقاها الطفل من الوالدين والكبار والاخوة الأكبر منه سنا الى ضعف ثقته بنفسه أو فقدانها. كما يؤثر تكليف الطفل فوق قدراته وطاقاته الى

فقدان احترام الذات وضعف الثقة بالنفس. كثيرا ما يحدث هذا بسبب جهل قدرات الأطفال أو التوقعات العالية التى تنتج عن الوالدين والمعلمين. عندما يشعر الفرد بأنه لا يستطيع مواجهة المواقف التى يجابهها من الجانب الآخر يكون الدفع عليه قويا من الآخرين يؤدي هذا الى شعور الفرد بعدم جدارته بحب الآخرين له وبالتالي يؤدي الى فقدان ثقته بنفسه وبالآخرين وبالبيئة المحيطة به. فعليه ينبغي تهيئة البيئة السليمة لجعل الفرد أن يكون معتمدا على التلقائية في سلوكه بعيدا عن الأساليب الدفاعية. أما إن واجه القيود من المربين والاتجاهات المتناقضة في البيئة الاجتماعية التى هو فيها فإنه يلاقي صعوبة في التكيف مع هذه البيئة الاجتماعية.

يميل الطفل الى تقليد سلوك الكبار المحيطين به. واغلب ما يقلد الأبوين. ويهتم بالعلاقة القائمة بينهما. فان شاع الاطمئنان والحب والاستقرار النفسي للوالدين فان هذا سينعكس على شخصية الطفل. ويؤدي به الى ان يكون هو الآخر مستقرا في شخصيته وسلوكه الاجتماعي والنفسي. ويؤدى هذا الاستقرار بالتالي الى حدوث التوازن في سلوكه وثقته بنفسه. أشارت الأبحاث النفسية التى أجريت على الجانحين بأن السبب الأساسي في ذلك الجنوح هو عدم شعور الجانحين بالاستقرار العائلي. وإن العلاقة العدوانية القائمة بين الأم والأب انعكست على سلوكهم وأصبحوا بالتالي هم عدوانيين.

ينشد الفرد الحرية والاستقلالية منذ الصغر وينبذ تقيد تلك الحرية، كما إنه يتحدى ذلك ويستمر هذا التحدي الى الكبر. وكم من افراد ضحوا من أجل تلك الحرية. تبدأ بوادر مشاعر الطفل بالكفاءة والاستقلالية منذ الأعوام الأولى من حياته، ويظهر ذلك عندما يمارس قدراته النامية، عن طريق محاولاته التمتع بتلك الاستقلالية التى يرغب بها. ويستمر هذا التمتع ويتطور مع تطور النفس الاجتماعية. ويتم ذلك التطور والنمو تبعا لطبيعة إشباع حاجات الفرد الرئيسية المتضمنة لحاجاته البايولوجية من طعام وشراب والحاجات الاجتماعية كحاجة الفرد للأمن والراحة والاطمئنان. فإعطاء الحرية المعتدلة للطفل تساعده على ممارسة الديمقراطية في الكبر. عن طريق التنشئة الاجتماعية السليمة. كما يمكننا أن نخلق من الفرد شخصاً متعاونا وذلك بواسطة تغذية ميله الى التعاون منذ مرحلة الطفولة. كثيرا ما نلاحظ الأطفال يهبون لمساعدة الكبار في عبور الشارع أو حمل الأشياء عنهم بالرغم من ثقلها، أو المساهمة بالأعمال المنزلية أو العناية بزهور الحديقة أو تنظيف السيارة.. الخ من المواقف السلوكية التى تشير الى مدى ثقتهم بأنفسهم.

يلعب ذكاء الفرد دورا مهما في تكيفه وتوافقه مع البيئة. يؤدي هذا التوافق الى تقوية الثقة بالنفس. فالفرد المتمتع بالذكاء والثقة العالية بالنفس، يكون من السهل عليه التوافق والتكيف مع المجتمعات المتباينة. تلعب العلاقات الاجتماعية السليمة دورا مهما في استمرار تلك الحلقة القائمة



بين تنمية الثقة بالنفس والجرأة على ارتياد المجتمعات المختلفة بقلب قوي وخال من الخوف أو الوجل. كما تساعده على أن يتكيف مع المجتمعات الأخرى المختلفة وينسجم مع المواقف المتباينة التى يتعرض لها في حياته اليومية.

يؤدي السلوك التسلطي الذي يقع على الأطفال الى جعلهم انطوائيين. هذا ما توصلت إليه من خلال الأسئلة الموجهة الى الإنطوائيين، الى انهم جميعا كانت لديهم صعوبات مع آبائهم المتسلطين أو إخوانهم الأكبر منهم سنا. وذكروا بأنهم كانوا تحت وابل من الانتقادات المتأتية من ذويهم المتسلطين بحيث جعلهم ينسحبون من الميدان الاجتماعي تدريجيا. كما يؤدي هذا التراكم الى الشعور بالنقص وفقدان الثقة بالنفس. لم يعترف بعضهم بذلك في أول الأمر والبعض الآخر اعترف وأراد التخلص منه. يتم علاج تلك الحالات بفصل هؤلاء عن المصدر الذي يسبب لهم تلك الحالة. وقد صادفت حالة من الصعب السيطرة عليها وهي أن شابا كان يفتخر بأخيه وكلما كانت لديه مشكلة يقول أخي يستطيع أن يحلها. وفي داخله كان يريد التخلص من وضعه الذى هو فيه. فاقترحت على الوالدين أن يفصلوا الشاب عن أخيه وشاءت الصدف أن يذهب إلى الخدمة العسكرية وأثناء تلك الخدمة نَفَّس عما يعانيه بممارسة القسوة مع الجنود، وكان يشعر بالراحة.. من ذلك بدأت ثقته بنفسه تتحسن، والذي زاد في ذلك بأنه فقد من وزنه بحيث اصبح وسيما. وعندما عاد من الخدمة العسكرية شاءت الصدف أن لا يستطيع الحصول على وظيفة أو عمل عندها عادت له الحالة السابقة وهي الزيادة في الوزن والشعور بالنقص. ومن هذا المنطلق توصلت الى أن المعاملة التي تعتمد على التسلط كثيرا ما تؤدي الى شعور الفرد بالنقص وعدم الثقة بالنفس.

الثقة بالنفس والشباب :

يحظى الشباب في جميع أنحاء العالم بالاهتمام وذلك لأنهم عماد المستقبل وعليهم المعول في اخذ دفة الأمور وتسييرها. فعليه لابد من زرع الثقة في نفوسهم كي يكونوا أهلا لتحمل المسئولية. يمر الفرد بمرحلة المراهقة التى يعتبرها البعض من اصعب واكثر مراحل النمو تعقيدا. تلك الفترة التى تقع بين البلوغ وسن الرشد. ويتميز المراهق في هذه الفترة بالقلق الشديد لكثير من المظاهر منها مظاهر جسمه وعلاقته بالآخرين ونظرتهم له.

تؤدي العائلة دورا مهما في الحالة النفسية للشباب والمراهقين. يؤثر التفاعل الاجتماعي بين أفراد العائلة بشكل خاص وأفراد المجتمع بشكل عام في تكوين الذات لدى المراهقين والشباب. فإن اعتمدت العلاقة بين أفراد الأسرة على التفاهم والتعاون والمحبة ساد الاطمئنان والثقة بالنفس في نفوسهم أيضا. كما إن تبادل الخدمات والخبرات بين المراهقين والكبار تؤدي الى أن ينشأ هؤلاء نشأة

مميزة بقوة الذات وبالثقة بالنفس وبالآخرين. تساعد هذه المواقف المراهقين على النجاح في حياتهم العامة والخاصة. كما تؤثر قوة الذات ونموها على مواقفهم الاجتماعية وعلى بيئتهم التى يعيشون فيها. وتساعد على زيادة الوعي بذواتهم. وبالتالي يكونون دقيقين في تقييم تلك الذات. يعتمد تكامل الذات على النمو النفسي للمراهق، وعلى صورة المثالية لديه ولدى من يتعامل معه. يطمح المراهق ويبذل جهودا لتدعيم الذات والمحافظة عليها بكل طاقته. ويدفعه هذا الى زيادة اهتمامه بنشاطه وخبراته وأفكاره وتطلعاته. إضافة الى إنه يطمح إلى الاستفادة من خبرات الآخرين وإيجاد واستيعاب خبرات جديدة وهي بدورها تؤدي الى تقوية ذاته ونموها. كما يطمح الى الاستقلال عن سلطة الكبار.

تختلف نظرة المراهق عن تكوينه الجسمي كأن يكون قويا سريع الحركة، أو عكسه يكون ضعيفاً بطيء الحركة. أو هناك تناسق عضلي أو عدمه... الى أخر ذلك من مقومات جسمية مهمة في نظر المراهق. كما تختلف نظرة المجتمع نحو ذلك التكوين الجسمي الذي يكون عليه المراهق. على سبيل المثال تفضل اكثر المجتمعات أن يكون الرجل قويا مفتول العضل طويل القامة. وكثيرا ما تؤثر تلك المواصفات على نظرة المراهق نحو مقوماته الجسمية وعلى سلوكه. أما نظرة المجتمع نحو الفتاة بحيث تكون جميلة ذات رقة ظاهرة وأنوثة متناهية... الخ من صفات محببة للمجتمع بحيث تدفع الفتاة أن تكون مواصفاتها مطابقة لتلك النظرة. نتيجة لذلك تجد المراهقين يصرفون الساعات الطوال أمام المرآة يتفحصون تقاطيع وجوههم وأجسامهم.

هناك مجتمعات أخرى تركز اهتمامها على القدرات العقلية والتحصيل العلمي مما تجعل المراهق يندفع لتحقيق تلك الامتيازات. وإن حقق ما يصبو اليه المجتمع يشعر بالتقدير والقبول من ذلك المجتمع الذي يعيش فيه. ويؤدي بالتالي الى قناعته ورضاه عن مواصفاته مما يجعله واثقا من نفسه. تلعب الأدوار الاجتماعية التى تعطي للمراهق دورا مهما في تحقيق الذات وتقويتها.

فالعائلة التى تعتمد على مساعدة المراهق في تدبير شئونها تجعل المراهق يدرك أهميته ومنزلته في تلك العائلة. وينعكس هذا الشعور على اطمئنانه واستقراره النفسي.

بعض التوصيات
لإعادة الثقة في النفس :

- إتباع القواعد التربوية الإسلامية في تنشئة الأبناء.
- الابتعاد عن تكليف الأطفال ما لا طاقة لهم عليه.
- إشراك أفراد العائلة كبيرها وصغيرها ومناقشتهم عند الإقدام على شراء مستلزمات للأسرة مثل السيارة أو البيت وما شاكل ذلك والمحافظة عليها.
- عدم التطرف في العناية بالأطفال والامتناع عن التدليل لأنه يضر بالفرد ضررا بالغا ويستمر هذا للكبر.

- الابتعاد عن التطرف في إظهار مميزات الطفل أمام الآخرين لان المبالغة لها ضررها اكثر من نفعها. وخير الأمور أوسطها.

- الابتعاد عن التنابز بالألقاب.

- تكليف أفراد العائلة في شراء بعض حاجيات البيت، وإعطائهم الحرية في اقتناء تلك الأشياء.

- إشراك الأطفال في بعض الأمور العائلية، كثيرا ما كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يستشير الصبيان في بعض الأمور ويقول: (لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس على حداثة السن وقدمه، ولكن الله تعالى يضعه حيث يشاء) (عمر بن الخطاب واهتماماته التربوية - خليل مصطفى أبو العينين، ج/١ - ٤٧).

- عدم توبيخ الأطفال أو وصفهم بصفات غير مرغوب فيها أمام الزملاء والضيوف.

- إتاحة الفرصة للأفراد للاطلاع على الجوانب المفيدة في البيئة الاجتماعية وذلك عن طريق الاشتراك بالرحلات الجماعية والمخيمات الكشفية والنوادي وغيرها.

- إتاحة الفرصة للفرد أن يعتمد على نفسه في أداء بعض الأعمال التى تخصه خاصة في مرحلة الطفولة والمراهقة.

- إن واجه الفرد مشكلة ينبغي تركه ليحاول حلها بنفسه دون الإسراع لمساعدته. أما إن تعقد الأمر عندها يمكن التدخل.

- العمل على إعادة ثقة الأفراد بأنفسهم خاصة في مرحلة الطفولة وذلك بدفعهم للإطلاع على حياة المشاهير والقصص التى تدور حول الصعوبات التى اجتازوها بتصميمهم.

- إقامة النشاطات المختلفة كالنشاطات الرياضية والكشفية والمخيمات وإقامة الحفلات وتشجيع الأفراد على الاشتراك بها لأنها تعمل على تكوين وتقوية الثقة بالنفس.

- إتاحة الفرصة للأفراد في أن يتحدثوا عما يجول في أذهانهم دون ردعهم.

- تجنب التفريق بين الذكر والأنثى في المواقف التي يمكنهم أن يعملوا بها على السواء.

- تجنب الإشارة الى العاهات والعيوب الجسمية أو التخلف في مهارة من المهارات لان هذا يؤدي الى التراجع والنكوص.

- عدم الاستهزاء أو الضحك على الفرد خاصة في مرحلة السنوات الأولى التي يتعلم فيها الطفل اللغة وبعض المهارات.

- عدم التدخل في شئون الأبناء وفي الأمور الصغيرة والكبيرة.

- تشجيع التعليم للبنات أسوة بالبنين.

- ينبغي أن يكون الكبار قدوة حسنة أمام الأبناء.

- الابتعاد على الأساليب التسلطية في معاملة الأبناء.

- الالتزام باحترام المعتقدات الدينية والقيم الاجتماعية خاصة عندما نكون مع الأجانب الذين لا يعرفون عنا شيئا.

وخيالك يأتي كنسيم

هبّات الريح المشتدة
قطفت من جيد العذراء
عقوداً وردية
ألقتها ارض ليّاء مطوية
اخذتك الريح اليها
حملتك مسافات الزمن القاسي
عبر نوافذ منسية
كالقمر تطل وتزهو
في ليلة عرس
فوق شواطىء رملية
همست شفتاك
بغزل عذري
أعطت وعداً لحبيبة
ورميت بوعدك
باقة ورد عطرية
سأعود اليك
عيناك تطل ترف
وشفاهك مازالت تحكي
قصة عنتر وسلامة
عشق المجنون لليلي
حب (السعدي) لارض فلسطين
قد كنت تقول
عشق الارض
كعشق النفس واكثر

بل فوق السهد وفوق الهمس
وفوق حقوقي البشرية
كنت تقول
أشعر أني في وطني أكبر
أشعر أني حر رغم القيد
ومنع التجوال
نسمة ريح تأتي
من فتحة باب
أو من شق في نافذة
يعطيني دفءاً نوراً حرية
سأعود اليها مشياً
زحفاً
يحملني صوت الناي أثيراً
يأخذني حباً شعراً
ومشيت اليها
اخذتك خطاك بعيداً
ووصلت البحر
ونصبت الخيمة في عتمة ليل
لم تثنك الريح
ولا البارود
ولا حتى المدفع
صرت قريباً من يافا
خطوات تبعد عنك اللد
للرملة تهدي قبلة



شهلا خليل الكيالي

– الاردن –

(وسفيرة) حب ترسلها
مع أول طلقة
للام وللأخت وللعمة
وسمعنا أنك في السجن مقيد
صوتك رعد تهتز لقوته
جدران الصمت
أركان الأمة
ويهز ضميراً نامت عيناه المعصوبة
في دفء وعود منسية
حلمت أحلاماً وردية
وخيالك يأتي كنسيم
من بين شقوق الزنزانة
من نافذة عند السطح
يطل ويكتب أسفاراً
ينشدها أطفال الوطن الضائع
أشعاراً
قرطاسك ناي يصدح
ذهب يلمع
كلماتك نار تحرق
كل غريب في أرضي
صوتك يأتينا رغم البعد
يعطينا صبراً
يمنحنا جرحاً يمتد ويمتد كموّال
يكسي الارض وروداً عذرية
قبوة تأتيها كل صباح
تسقيها ماء

تنشد فوق الغصن جناح
في ليلة حب قمرية
تحكي عنك القبرة حكايا شعرية
أحفظها أترنم مغناها
ونشيداً حلواً أزليا
قالت عنك القبرة لاطفال الحارة
كالعشب الاخضر تنمو داخل سجن في غزة
لن يحصد هذا العشب سوى
طفل يأتي من ارض
كانت يوماً
ترقص جذلا عند سماع القيثارة
كانت نجم سهيل
تهدي الركب لدرب الخيل
كانت كشراع يهتز
حنيناً للأمواج .. لصوت البحارة
لاني الفلاح سيرقص هذا العشب
سيغني للشبابة للموال العربي
جذلا بمواسم فرح أخضر
عند شبابيك الحرية
سجل في القرطاس وصية
تقرأها الاجيال الحيّة
ان فرّق سجن أجساداً
فالروح ستغدو كفراشة
تختال تطير مع الانغام
في الروض لها زفة لقيا .. أبدية



التكنولوجيا وآلية التغيير في المدينة العربية

** يتناول موضوع البحث تحليل مسألتين مهمتين:

أولاهما: الانفجار الحضري في الوطن العربي وما آل اليه من مشاكل اثقلت كاهل المدن العربية، وما يتطلبه ذلك من ضرورة البحث عن البدائل الممكنة لجوانب الوهن التي تعتري تطور المدن العربية.

ثانيتهما: تتعلق بمدى مساهمة التكنولوجيا واستخدامها في مجال اختيار البدائل الملائمة للتغيرات الحضرية المنشودة.

مشكلة البحث تكمن في كيفية التآلف والتكافؤ بين هاتين المسألتين، وبما يمكننا من تسخير المعطيات التكنولوجية في المجال الحضري، هذه المعطيات التي غطت ميادين عديدة في المواصلات والاعلام والفضاء والصناعة والهندسة والزراعة وغيرها.

ويرتبط بالمشكلة الرئيسية مشاكل ثانوية اخرى تتعلق بمتطلبات آلية التبدل الحضرى والانماط التكنولوجية المتوفرة، بين التكنولوجيا المستعارة أو المقيدة وبين المعارف المكتسبة، ومدى التطابق أو الاستجابة بين هذه التكنولوجيا وبيئة المدينة العربية.

ويبغي البحث وراء ذلك تحديد المسار الذى ينبغي ان تسير بموجبه مدننا العربية في المستقبل، بعيدا عن المنغصات الحضرية، وبطرق ثقافية حديثة تؤمن لها ذلك.

بقلم : **د. محمد صالح العجيلي**
أستاذ الجغرافيا المساعد - الجامعة المستنصرية - بغداد



الاسواق والمناطق السكنية في المدينة العربية

أولا: مفاهيم اساسية:

١ - التكنولوجيا: اهميتها: تنجلى اهمية التكنولوجيا كونها تمثل جزءا من حركة المجتمع الكلية، ويمتد هذا الارتباط ليشمل مرتكزات المجتمع في ابعاده كافة: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية، ارتباطا وثيقا وعميقا. وان التكنولوجيا وهي ذلك الجزء من المجتمع الذى يخلقه، قد تحولت بدورها الى زخم يصيره، وانها في الوقت ذاته قد اثبتت كونها وسيلة هيمنه لمن يتميز في خلقها ويستحوذ على نتائجها. وفي كل الاحوال، حق عليها القول: ان من لا يمتلك ناصيتها، يرتهن مستقبله بمن يدركها.

وعلى الصعيد التنموى، هناك ترابط عضوى بين التكنولوجيا والتنمية ولعدة اعتبارات منها: ان التكنولوجيا تمثل شرطاً ضرورياً لبناء القاعدة الصناعية، والعامل الحاسم في تحقيق عملية التحول الهيكلي والاقتصادى والاجتماعي، والاداة الرئيسة لسكان الحضر لتحسين احوالهم المعاشية.

ولما كانت التكنولوجيا هي اساسا وليدة المعرفة العلمية المنظمة، حينها يصبح للتعليم والتدريب ومؤسساتهما الدور المحسوس في كل حلقات التكنولوجيا من تنمية قدرات النقل والاستيعاب والتطويع والخلق والابداع الذاتي[١]. ولعل تفجر المعرفة العلمية والثقافية وتلازمهما من اوضح سمات النصف الثاني من القرن العشرين واصدقها تمثيلا لأوضاعه، فقد أديا الى تغير جوهرى في الحياة لم تعهده البشرية من قبل.

مفهوم التكنولوجيا:

بالرغم من التباين الواضح في مفهوم التكنولوجيا من حيث الجوهر والمحتوى والابعاد، الا انها على العموم تعرف في انها الاداة الاقتصادية والاجتماعية للعلم، ومن ثم هي تطبيق للعلوم لحل مشاكل محددة، وتمثل النتاج النهائي لعملية طويلة معقدة للتطبيق الاساسي للبحث والتطوير[٢]. وهي عبارة عن النظام الذى يبين الطريقة التي يؤدي فيها المجتمع وظائفه. وتعرف التكنولوجيا بانها مركب قوامه المعدات والمعرفة، أو انها بناء من المعرفة المطبقة في انتاج سلع وخلق اخرى، او انها عنصر جوهري في الانتاج[٣].

ومهما يكن الموقف من المفهوم، يمكن اعتبار

التكنولوجيا عملية ديناميكيه مستمرة تتضمن ترابط اربعة عوامل: المعرفي وهو نتاج العلم، الابتكاري وهو تعبير المهارات والابتكار، المادى وتمثيله المنقول من سلع وخدمات، التطبيقي وتجسيد استخدامه في العملية الانتاجية.

سمات التكنولوجيا:

تمتاز التكنولوجيا بالعديد من السمات أهمها[٤]:

١ - اصبحت تشتمل على جميع المراحل المتكاملة لعملية الانتاج.

٢ - ظهور الطاقة كاحدى الادوات الفعالة في الانتاج.

٣ - إن المدة الزمنية اللازمة ما بين الاكتشاف العلمي وتطبيقه قد تضاءلت الى حد كبير.

٤ - إن العمر الزمني لاستخدام التكنولوجيا قد قصر، ويترتب على ذلك ابدال التقنيات القديمة بأخرى جديدة، او تطوير القديمة بالابدال الجزئي بسرعة كبيرة، وتسمى هذه الظاهرة «بالتقادم التكنولوجي».

٥ - تزايد اهمية المعلومات - صناعة كانت او زراعة او اجتماعية أو سياسية أو علمية - وتزايد ربحية صناعة المعلومات.

٢ - العلاقة بين التكنولوجيا والتحضر:

يعتبر المجتمع منظومة كلية تتكون من منظومات فرعية جميعها متساندة مع بعضها، وتتسق من خلال الادوار التي تؤديها. وترتبط المنظومات الفرعية مع المجتمع الكلية، وفلسفة التكنولوجيا جزء من الفلسفة الاجتماعية الشاملة التي تحكم منظومة المجتمع الكلية. وتمثل المدينة الحيز الذى تطبق فيه المنطلقات الفلسفية للتكنولوجيا، وسكان المدينة يمثلون الاداة التى تقوم بهذا التطبيق ونشره.

ومن بين المنظومات الفرعية الاخرى، تتميز منظومة التكنولوجيا من انها منظومة رائدة واساسية، يستند اليها ادراك المجتمع لمشاكل نموه وتطوره، فيقوم وبأسلوب علمي بدراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية ويكتشف العلاقات فيما بينهما، ويصوغ القوانين التي بدونها يكون النشاط العملي الواعي مستحيلا، ومن هنا تبرز اهمية العلاقة بين منظومة التكنولوجيا (الثقافة) والمشروع الحضارى الذى يتبناه المجتمع[٥].

ولما كانت المدينة عبارة عن جهاز كبير معقد ومفكك الاوصال، معداتها جسيمة، جامدة ومكلفة، وانها تبطل بمعدل يندر أن يقل عن العشرات من السنين، وقد يكون معدل البطلان في بعض الاحيان سالبا حين تصبح المعدات بمرور الوقت ذات قيمة اعلى. ثم ان الزيادة في سكان المدن مستمرة بوتيرة متصاعدة وبصعودها يزداد الضغط على المكونات المادية للمدينة، وفي ذات الوقت تقل فاعليتها في تلبية حاجات السكان. مقابل ذلك، لم تعد هناك وسيلة امام المدينة دون ان تقولب العلم وصناعته، وابداع تقنية تطبيقيه كانت الريادة فيها لحضارات الشرق القديم، خصوصا في مصر القديمة وفي بلاد ما بين النهرين[٦].

ومن التقنيات المبكرة التى اعتمدتها المدينة العربية الاسلامية هي في اختيار العرب المسلمين لمواضع المدن، اذ كانوا يأخذون بنظر الاعتبار تنظيم

الشوارع الرئيسية للمدن والشوارع الفرعية وفق اجراء هندسي دقيق، وبتراتيب دقيقة من حيث الطول والعرض لكل من الشوارع والازقة. ولم يقتصر هذا التنظيم الدقيق على الشوارع فقط، وانما روعي في ذلك ايضا وضع الخطط التفصيلية والتى تقدم من خلالها خدمات عامة لسكان المدينة، كما اورد الماوردي في كتابه (الاحكام السلطانية) «وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لربط خيولهم وقبور موتاهم»[٧]. والواضح ان هذه الاجراءات التنظيمية لم تتخذ اعتباطا، انما طبقت بهدف تسهيل مرور الناس والدواب والتغلب على مشكلة التزاحم.

وعندما اختار العرب مواضع مدنهم، وضعوا في نظر الاعتبار بعض المزايا والخصال الصحية والجغرافية من حيث خلو الموضع من الامراض والاوبئة، ومدى تلائمه لاذواق الناس وطبيعة حياتهم الاجتماعية، ووفرة المياه الصالحة للشرب، واعتدال المناخ ونقاوة الهواء، فضلا عن ترك متسعات من الارض للخضرة والبساتين. كما وصفت المدن العربية بانها ذات تنظيم دقيق لمواقع السكن والسوق واماكن الصناعات بأن تكون خارج اسوار المدينة لابعاد اضرار التلوث الناجمة عن وجود الحرف الباعثة لها[٨].

وفي مجال التنظيم الدقيق للتوزيع المكاني لمواقع السكن وجد العرب بأن اصلح الاماكن هو أن تقع الدور بين الماء والسوق، وان تكون الدور شرقية والبساتين غربية، وان تكون الدور مواجهة لمهب الريح، وعكس ذلك تكون رديئة ومولدة للامراض. تجدر الاشارة الى ان اتخاذ المواضع المرتفعة والمواجهة لمهب الريح له علاقة بالتلوث وبمراعات الظروف الصحية والابتعاد عن اضرار الاوبئة.

ثالثا: النمو المعاصر للمدينة العربية والنمط التكنولوجي المطلوب:

كان من نتائج الثورة الصناعية، واحتكاك الشرق بالغرب ان حياة جديدة بدأت تدب في واقع المدن العربية، يتجلى ذلك في تركز السكان في المدن، وتوطن الصناعة التى اصبحت مركز جذب لسكان الريف حيث الاجور العالية وفرص العمل المتوفرة، وشرايين النقل بين المدن والريف وخاصة خطوط السكك الحديد التي ادت الى نشر الصناعة وتقدمها ومن ثم تحسن الاحوال الاقتصادية للسكان.

ادت هذه العوامل الى نمو مدني هائل الى درجة ان مغريات التمدن اصبحت وبالا على المدينة بعد ان عجزت من توفير كافة المتطلبات الاساسية لسكانها، خاصة وان استمرار تدفق السكان لم يقابلها زيادة متكافئة في امكانات المدينة الاقتصادية والخدمية.

وان تحقيق التكافؤ ضمن هذا السياق أمر مشكوك فيه دون اللجوء الى استخدام ثقافة ذات مستوى عال كحل حاسم لمواجهة هذا المعترك الذى يعد احد سمات تشكل المدن العربية في أواخر القرن العشرين.

ان الناس يتكيفون دائما تبعا للاكتشافات التكنولوجية المنبثقة عن حاجاتهم منطلقين في ذلك من ان التمدن عبارة عن تحصيل ما يلزم للسكان من الادوات اللازمة لتحسين احوالهم حساً ومعنى، بيد ان ادراك هذه الفكرة قلما يكون مسألة بسيطة، او على المرء ان يتصور امكانات التكنولوجيا مسبقا

اضافة الى مسارات كل التغيرات الاخرى المنبثقة بصورة مستقلة من التكنولوجيا بما في ذلك مضمون المجتمع المقصود والتكنولوجيا الموصوفة له.

ان نظاما معدا لاناس يسافرون بعربات تجرها الخيول ويتواصلون عن طريق المذياع قد لا يكون بالضرورة ملائما لجمهور يستخدم الطائرة في تنقلاته، فليس هينا اسقاط ذلك من الحساب حتى حين يعمد الى تلاحم المجتمع تلاحما تاما واعداده للتحرك من جديد.

وعليه يجب التعامل التكنولوجي عن طريق التشابك في العلاقات، فالاغذية والالبسة والمنتجات والمواد الجديدة والصناعات الجديدة والاختلافات المكانية وتوزيع السكان أو تنقلهم مع انتاجاتهم والتبدلات في النقل والمواصلات، ليس ذات علاقة فحسب، وانما يكون من المفيد سبر اغوار الاسلوب الذى تؤثر فيه التكنولوجيا على الاشكال الحضرية من خلال تحديدات بنيوية (فيزيائية) للنمو، أو تلائم التبدلات في النقل والمواصلات واثرهما على نمط الكثافة السكانية، أو تحديد السعة الجغرافية للمدينة، بحيث تستجيب للتطورات المتوقعة[٩].

لذلك اصبح لزاما دراسة هذه الآيات واعتبارها كأسس ثابتة تبنى في ضوؤها صورة التغيير المنشود ضمن النظام الحضري العربي. واعتبارها نواة يتم بموجبها اختيار الانظمة والانماط التكنولوجية التى تتلاءم مع المتطلبات الحضرية للمدينة العربية وبخاصة اصلاح جوانب الوهن فيها وبما يخفف من حدة مشاكلها.

ان التأخر في ادخال التكنولوجيا كوسيلة لمعالجة مشاكل المدن العربية سيكلف مدننا خسائر مادية وروحية وجمالية عديدة، خاصة وان مدننا تنمو بسرعة، ومشاكلها تتضخم يوما بعد يوم، ثم ان مدن العالم المتقدم قطعت شوطا كبيرا في مضمار التحضر في مختلف جوانبه. الامر الذى يدفعنا قدما لتضييق الهوة بين مدننا العربية وبين مدن الدول التي سبقتنا في تطورها الحضاري.

رابعا: التكنولوجيا وآلية التغيير الحضري:

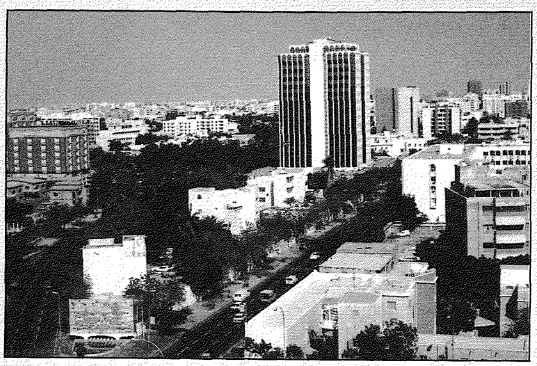
المدينة نسيج متشابك من استعمالات مختلفة تنضوى تحت اطار الوظيفة والشكل اللذين يمثلان خلاصة لطبيعة هذا التشابك، ويؤدى السكان دورا فعالا في رسم صيغة التفاعل المكاني بين هذه الاستعمالات ضمن الحيز الحضرى بعضها مع بعض من جهة وبين المدينة واقاليمها المرتبطة بها من جهة اخرى.

لذلك، فان آلية التبدل الحضرى لابد وان تمر عبر مراحل لتشمل جميع التفاعلات والعلاقات والمتغيرات وبتآلف تنظيمي وتفاعل ايجابي وعلاقات مكانية متكافئة تصب كلها في عملية التطور المنشود.

وينتظر ان يكون للتكنولوجيا اسهاماً واضحا ضمن سياق التغيير الحضرى وفي المجالات التالية:

١- إعادة تدوير المواد المغذية:

في ضوء الزيادة الحاصلة والمتوقعة لسكان المدن فانها تكون عاجزة عن تجهيز نفسها بالغذاء، وعليه تصبح عملية إعادة تدوير المواد المغذية بين المدينة والريف غاية في الضرورة، فالريف يصدر يوميا آلاف الاطنان من المواد المغذية للنبات -



جانب من مدينة جدة

النتروجين والفسفور والبوتاسيوم - الى المدينة على شكل طعام، وفي المقابل يخلق الانسان فضلات عضوية يمكن الاعتماد عليها - في حالة نجاح المدن باعادة تدويرها - في خفض تكاليف الطاقة لاغراض تصنيع السماد، وحيوية الزراعة، وبالتالي توفير الغذاء للمدن.

ان اتمام دورة المواد المغذية، اذن، هي حجر الاساس للابقاء على حياة المدن من الناحية الايكولوجية[١٠].

ويعزو الاهتمام بتدوير المواد المغذية الى ارتفاع اسعار الاسمدة، وفهم افضل للموارد الطبيعية والقيود الايكولوجية، وتحسن في تكنولوجيات او تقنيات ادارة الفضلات، فضلا عن توفير النقد، والارض، والماء العذب لاستعمالات اخرى. كما ان اعادة تدوير ومعالجة المجارى في مزارع محيطة بالمدينة يعزز من الاكتفاء الذاتي في المدن. اذ تنتج مالا يقل عن ستة مدن صينية ضمن حدودها اكثر من ٨٥٪ من خضرواتها، وجزءا منها يأتي عن طريق اعادة تدوير المواد المغذية من الفضلات البشرية.

ان المشكلة التي تواجه الدول النامية بما فيها الدول العربية هي كيفية تبني ممارسات تقنية مناسبة لتقليل المخاطر الصحية الناتجة عن مياه البواليع على العكس مما هو عليه الحال في الدول الصناعية.

فوجود التربة الليلية يشكل مرتعا للامراض المعدية السائدة، وان استعمال التربة الليلية غير المعالجة في الزراعة يدعم انتشار الميكروبات، وليس امام المدن العربية في ظل نموها السريع وزيادة عدد سكانها الكبير سوى البحث عن استراتيجيات وتقنيات تساعدها في ادارة الفضلات او اعادة تدويرها كمواد مغذية لجني الفوائد المتوخاة منها. ويمكن الاعتماد في هذا المجال على ما دأبت عليه مدن الدول الصناعية من تقنيات حديثة.

٢ - الخدمات الصحية والتكنولوجيا:

تعتمد القدرة على التدخل في اي مرحلة من مراحل مشكلة صحية ما، علي المجالات العلاجية والوقائية، ولعل دور التكنولوجيا الوقائية يفوق دورها العلاجي من حيث تقليل تكلفة الصحة المعتلة، اي المعاناة الانسانية، والتكاليف الفردية والاجتماعية.

وبالاضافة الى المجالين المذكورين فان التكنولوجيا تساهم في تهيئة الكوادر البشرية الصحية والاجهزة الفنية.

على ان توافر تقنيات التدخل الصحي لا يعني امكانية استخدامها في كل مكان، اذ تحدد العوامل الاجتماعية الثقافية مدى تقبلها، والتكاليف الاجتماعية، وبالتالي مدى ملاءمة التكنولوجيا.

وتبغي الضرورة أن تأخذ التكلفة الاقتصادية لاستخدام تكنولوجيا معينة بعين الاعتبار تكلفة اكتساب المهارات الضرورية المطلوبة لتطبيقها، وتلك نقطة مهمة نظرا لان ندوة الايدى العاملة الماهرة قد تشكل، حتى مع تغطية كل التكاليف الاقتصادية الاخرى، عقبة رئيسة.

ان التحدى الذى يواجه العاملين في المجال الصحي في المدن العربية لا يتمثل في كيفية تطوير تقنيات جديدة فحسب، وانما يتمثل ايضا في كيفية خلق، وتحسين نظم يمكنها استخدام التكنولوجيا الملائمة، اى التقنيات البسيطة، والفعالة والمقبولة، والاقل كلفة. وتمثل مواجهة هذا التحدى عاملا حاسما في التغلب على النقص الخطير في الايدى العاملة في المجال الصحي في البلدان العربية[١١].

تجدر الاشارة الى ان العاملين في تقديم الخدمات الصحية يجب النظر اليهم بوصفهم ادوات للتغيير الاجتماعي، وعليه يتعين ان يكون هؤلاء منتمين للاصول والجذور الاجتماعية التي ينتمي اليها زبائنهم في كل النواحي باستثناء الكفاءة التقنية، حتى يتحقق لهم القبول، اذ ان انتشار هذه النوعية من العاملين الصحيين ملائم من الوجهة التقنية وفعال من الوجهة الاجتماعية.

٢- مساهمة التكنولوجيا في توفير السكن:

ان معضلة ما صاحب نمو المدينة العربية قد انعكس على بنائها وهياكلها، الامر الذي ادى بقدرتها الى ان تظل محدودة، غير قادرة على استيعاب الطاقات المتزايدة الطبيعية والوافدة، وهو ما يعرض المجتمع باستمرار ليصبح مهددا بانفجارات اجتماعية عديدة، لعل مشكلة السكن تأتي في مقدمتها لما لها من انعكاسات حادة نفسية واجتماعية على سكان المدن.

والتحدى الذى يواجه المدن العربية في مضمار مشكلة السكن يتمثل بجانبين: الأول مادي ، والثاني تقني. وربما ان توفر التقانه يرتبط بتوافر قدر كاف من الموارد المالية لاقتنائها، ويصبح امر توفير السكن اللائق يرتبط بشكل لا يقبل الشك في مدن الدول العربية الغنية القادرة على شراء أو حيازة التقانه المطلوبة لهذا الغرض، وتكون مدن الدول العربية الفقيرة على النقيض من ذلك تماما[١٢].

على أية حال، فان مساهمة التكنولوجيا في حال اقتنائها تتمثل في البناء الذى يتطلب تهيئة الكوادر الفنية والهندسية، واعداد خطط البناء، وتحديد الاماكن، وتعيين مواد البناء، ونوع البناء الذى ينسجم مع رغبات السكان، فضلا عن مرافقات بناء السكن من امور تتعلق بالخدمات والمرافق العامة والبنى.

ومن جانب ثان، تحدد الوسائل التكنولوجية استعمالات الارض داخل المدينة وفقا للكثافة السكانية، وهذا يشمل ضمنيا - على الاقل - بعض القيود العملية والانشائية على المدينة[١٣].

ويعد في الوقت ذاته معيارا لتحديد الحجم الامثل للمدينة والاستيعاب المقبول وبما يخفف من

العبء المالي للتكنولوجيا التي يضطرها لاستخدام تقنيات احدث في امر معالجة مشكلة السكن في المدينة وبما لا تطيقه مدن الدول النامية، أو انه لا ينسجم مع رغبات الناس في البلاد العربية في تطلعهم بالاستحواذ على مواصفات البيت العربي الذى يختلف تماما عن نظام الشقق السكنية التى تعتبر المهرب الاخير لمهندسي السكن في الدول الاوربية أو الامريكية أو اليابانية.

٤ـ التكنولوجيا ونظافة البيئة الحضرية:

ان ضعف القاعدة التكنولوجية، وعدم استخدام الاساليب العلمية في حفظ المخلفات المنزلية وفي نقلها وفي التخلص منها أثَّر بشكل كبير في تفاقم المشكلات الصحية في المدن العربية. اذ تلجأ كثير من المدن الى نقل المخلفات والنفايات الى اماكن محيطة بها أو حرقها بوسائل غير متطورة وهي لا تضمن من الاحتراق توافر الشروط الصحية المناسبة. اضافة الى ذلك قد لا يتم نقل المخلفات والنفايات بالسرعة المطلوبة، أو بالوسائل المناسبة العلمية الصحية مما يساهم في تعكير صحة البيئة.

وفي ضوء ذلك فانه باستخدام الطرق التكنولوجية يمكن تلمس خيارات جريئة ومعالجات ابتكارية بهدف استرجاع المفيد من النفايات بتحويلها الى سماد، أو ما يشتق منها من حرارة وطاقة، وكوقود في صناعة الاسمنت. وهذا يتطلب معالجة ببعض الوسائل الكيميائية والتقنية.

وقد لقي تحويل النفايات الحضرية أو جزء كبير منها الى أسمدة عضوية اهتماما كبيرا في السنوات الاخيره. ولهذه العملية مؤشران اثنان[١٤]:

أ ـ استعمال الاساليب والمعدات اللازمة لتفسيخ المحتوى العضوى للنفايات تحت ظروف متحكم بها وذلك لتفادى الخطر على الصحة والبيئة.

ب ـ استخلاص مواد النفايات غير المرغوب فيها في السماد، مع توافر ظروف بيع هذه المواد.

واذا كان التشغيل الاقتصادى والامكانات التقنية هما المعيار الرئيسي، فلابد من استمرار استخدام الدفن الصحي في الارض كطريقة سائدة رئيسة للتخلص من النفايات، وهذه الطريقة تختلف تماما عن المواقع التي تتناثر فيها القمامة وتنتعش فيها القوارض. والمنظر السيء الذى يتخيله المرء، فقد اصبحت هذه الوسيلة علما بحد ذاتها، وذلك لما تتطلبه طريقة الدفن من معرفة جيولوجية وهيدروجيولوجية لمواقع الدفن، واعمال الهندسة المدنية والاليات الميكانيكية المتنقلة المحسنة جدا، وهي امور غيرت من وجه هذا النظام البسيط[١٥].

٥ـ تأثير التكنولوجيا في شبكة النقل الحضرية:

كانت السيارة اكتشافا رائعا، وقد وصلت ذروة تطورها عند منتصف القرن العشرين. ولكن، وبعد النمو السريع للمدن زادت درجة حركيتها وزادت على اثره الحاجة الى وسائل نقل جديدة من حيث العدد والنوع، نتج عنه مشاكل لا حصر لها تتعلق بالازدحام، والاستهلاك العالي للطاقة، وتلوث البيئة. ولعل من اكثر المشاكل اثارة هو عندما يكون المقياس الحضرى للسفر بمفهوم الزمن والمسافة. وفي حالة بقاء معدل المسافة ثابتاً لابد لمعدل السرعة ان يتضاعف، وهذا يعني وجوب ان تحتفظ كل مركبة بمسار خاص، اضافة الى شكل من اشكال الهيمنة الامنية الاوتوماتيكية.

هذا المقياس قد تنبعث من اتقان التحكم في السيطرة. ان السيطرة تتطلب معرفة بحركة المرور بدءا بدقائق ميكانيكيات الاختناق وانتهاءا بالمواصفات المثلى لشبكة النقل بصورة عامة.



الحدائق والمتاحف تمثل الجانب الجمالي والتاريخي في المدينة العربية

البدائل الممكنة للنقل الحضرى عديدة، لكن الامكانات المادية، والسعة الجغرافية للمدينة، ودرجة التلاؤم مع الضرورات الفنية لاستخدامها وتسييرها لا زالت في قيد الشك[١٦].

ويمكن للوسائل التكنولوجية الحديثة ان تؤثر بصورة فعالة على توقيع الفعاليات الحضرية وتوزيعها، مثال ذلك اجهزة الاتصال بواسطة الحاسب الآلي أو جهاز التلكس أو الفاكس التي يتوقع ان يؤدى استعمال انتشارها على الاقلال من عدد الرحلات ما بين منطقتين، أو يحتمل ان تؤثر على هيكلة المدينة بصورة عامة مستقبلا.

ان تعيين انماط الترحال مسألة عامة، غير ان باستطاعة التكنولوجيا ان تساهم كثيرا في جعلها ميسرة بصورة اكثر، وليس من المتوقع ظهور شيء جذرى عن طريق المركبات الجديدة، اذ يبدو في الحركة المرورية الشديدة، ان الشكل المنطقي الوحيد للمسافات هو الترحال السطحي، واكبر الفوائد في

ويمكن ان تطال ذراع التقنية عن طريق الاضافات الفنية البسيطة لشبكة الشوارع، عن طريق زيادة القدرة على الاستيعاب، هذا الى جانب البدائل التقنية الاخرى ذات العلاقة بانماط شبكة الشوارع وانظمتها ومرونتها (شوارع للسيارات وانفاق لخطوط القطارات - المترو) فضلا عن محددات نمط وسيلة النقل (مركبات كبيرة، واخرى متوسطة الحجم ومركبات صغيرة) اذ ان النوع الكبير يزيد من فاعلية النقل ويقلل من حدة الازدحام[١٧]. ويؤدى النقل الحكومي هنا دورا كبيرا من حيث استخدامه لتقنيات النقل من خلال مركزية ادارة النقل البلدية في المدينة.

وقبل ان نطوى هذه الصفحة لابد من الاشارة الى ان التكنولوجيا وحدها لا يمكنها ان تحل المعضلة الناجمة عن تزاحم الناس ووسائل النقل في المدينة، دون ان تكون هناك مشاركة جماهيرية فاعلة لها رغبة حقيقية بمعالجة ازمة النقل في مدنهم.

٦ـ التكنولوجيا والعلم :

التكنولوجيا اداة اجتماعية واقتصادية للعلم، وانها تطبيق للعلوم لحل مشاكل المجتمع المعقدة، ثم انها قوام المعرفة. الا ان الاشكالية المطروحة في وجه العلم والتكنولوجيا، هي النظر في كيفية استعمال معارفنا المكتسبة لتأهيل البشر لمحاربة الفقر، والبؤس، والظلم الاجتماعي، والتهميش، وكراهية الكرامة والحقوق الانسانية، والاستعمال المفرط للطبيعة ومواردها المحدودة[١٨].

اما ضعف منظومة العلم والتقانة النوعي، فهي لا تزال تشكو في محتواها وبنائها من آفتين كبيرتين: اولاهما: ضعف ارتباط منظومة العلم والتقانة العربية كماً ومحتوى بحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة، اما الآفة الثانية فتتمثل في عدم وضوح الفلسفة التي تكمن وراء منظومة العلم والتقانة وضعف ارتباطها بالفلسفة الاجتماعية الشاملة.

اذن، دور التكنولوجيا في اصلاح العلوم والمعارف الحضرية ينبع من التطور الفكرى للمجتمع الذي هو جوهر العلم والمعرفة، باعتبار ـ المعرفة ـ هدفا اساسيا من اهداف النهضة الفكرية والاجتماعية، ووسيلة اساسية من وسائل هذه النهضة، وتكمن فحوى هذا التوجه في فسح المجال امام حرية الفكر والعلم، وضرورة النزول الى حكم ما تشهد به التجربة والملاحظة، مقارنة بما يحب المرء ان يراه، او ما جرى الناس على اعتقاده.

وبعد ان ظهرت الحاجة لتطبيق النتائج العلمية في الصناعة والزراعة إبان الثورة الصناعية، بدأت القنوات تفتح ما بين المعاهد العلمية والمجتمع، وادت التكنولوجيا دور الوسيط ما بين المعاهد العلمية والمجتمع، وذلك بتحويل النتائج العلمية الى ادوات تقنية تلبي احتياجات المجتمع. وادت هذه العملية الى تسارع عوامل التنمية في المجتمعات الغربية وبدأ الاقتصاد يؤدى دوره في قولبة التكنولوجيا لتلبي الحاجات المحلية[١٩].

إن هناك تداخلا وتجاذبا كبيران ما بين العلم والتكنولوجيا والقطاعات المستفيدة، سواء أكانت هذه القطاعات انتاجية أم خدمية، وأن هناك توجها وتخطيطا للوحدات الاساسية للعلم والتكنولوجيا قائمان بالدرجة الرئيسية على وضوح الهدف وتوفير المتطلبات لكل وحدة علمية أو انتاجية، وهذا جانب لابد من الانتباه اليه عند الحاجة الى استخدام التكنولوجيا في البلاد العربية.

وعلى البلدان العربية ان تعمل على تحقيق:

أ ـ تأسيس أو تعزيز الطابع الاقليمي للمؤسسات المشاركة في نقل التكنولوجيا من اجل تحقيق انتقال اكبر للخبرات التكنولوجية بين البلدان العربية.

ب ـ اقامة صلات اوثق بين امكانات البحث العلمي والتكنولوجي العربي والشركات الاجنبية العاملة في المنطقة. ان نشاط البحث والتطوير نشاط خلاق يساهم بصورة فعالة في بناء قدرات ابداعية ودعم المهارات التقنية، وخلق جو يساعد على الابتكار والابداع.

جـ ـ دعم وتشجيع العاملين في مجال البحث العلمي والتكنولوجيا.

د . التنسيق بين مؤسسات العلم والتكنولوجيا.

٧- التكنولوجيا والتغييرات الديموغرافية:

يمكن تحديد دور التكنولوجيا في هذا المجال من ناحيتين:

اولاهما: اصلاح الريف: اذ ان الاستخدام الواسع للتقنيات الزراعية ادى الى رفع المستوى المعيشي لسكان الريف الذى يعتبر احد ابرز الاغراءات لجذب سكان المدن (الهجرة المعاكسة).

اما الاجراء الثاني: فيتمثل في المدينة ذاتها في حالة محدودية نجاح المسعى الاول، من خلال تركيز المجهودات التكنولوجية لمعالجة الثغرات الحضرية من حيث رفع كفاءة اداء المؤسسات الخدمية وبما يوفر العيش الرغيد لسكان المدن.

وفي كثير من الدول تم حساب القدرة الاستيعابية للنظام الحضرى الذى يركز على العلاقات المتبادلة بين السكان وانشطتهم والبيئة المحيطة بهم. وتم الاستناد في زيادة هذه القدرة على استثمار المال والتكنولوجيا، أو في تقدم مفاجىء في التقنية[٢٠].

ولكي يكون دور التكنولوجيا ناجحا في التغيير الديموغرافي للسكان، لابد من ان تقترن بتغيير في المهن ونمط الانتاج والاستهلاك، وربما تغيير في القيم والسلوك بالاضافة الى التغيير في التوزيع المكاني للاستثمارات والموارد البشرية.

الخلاصة:

تناول موضوع الدراسة ثلاثة جوانب رئيسة:

أولها: حقيقة الجذور التكنولوجية لدى مخططي وواضعي اسس المدينة العربية الاسلامية من خلال الكشف عن الملامح التقنية التي اتسمت بها المدينة العربية في بواكير نشأتها.

اما الجانب الثاني: فقد تناول موضوع النمو المعاصر للمدينة العربية والمشاكل الناتجة عنه، وضرورة البحث عن النمط التكنولوجي المطلوب لمعالجة هذه المشكلات.

فيما ركز الجانب الثالث: على دور التكنولوجيا في آلية التغيير المنشود في المدينة العربية وفي كافة المجالات الحضرية بما يؤمن المسار الصحيح للتحضر العربي حاضرا وفي المستقبل.

وتوصل البحث الى ثلاثة حقائق:

الأولى: ان المدينة العربية والتكنولوجيا صنوان يكمل أحدهما الآخر، الا ان الذى حدث هو انقطاع زمني غير محسوب بينهما أثر بشكل واضح فى تأخر عوامل التطور الحضارى للمدينة العربية.

الثانية: ان التكنولوجيا اصبحت تمثل سمة العصر الحديث ولا مفر من الاقتران بها بشكل أو بآخر.

وثالثة الحقائق ان مشاكل المدينة العربية وضعف تطورها لا يمكن معالجته دون اللجوء الى استخدام الاساليب التكنولوجية كضرورة ملحة للحاق بما وصلت اليه مدن العالم المتقدم.

الهوامش:

(١) باسل البستاني، التنمية والتربية في الوطن العربي، مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في الدول العربية، العدد ٣، باريس ١٩٨٤، ص ٦٣.

(٢)Hawthorne, E.P., the Transfer of Technology, OECD, Paris, 1971, P. 17.

(٣)Hichalet, C.A., Transfer of The Technology by Transrational

Companies: Traditional VS. New forms, ECWA/UNESCO seminar purls, 1981, P.1.

(٤) د. سلمان رشيد سلمان، العلم والتكنولوجيا والتنمية البديلة، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٦، ص ١٠٦.

(٥) د. سلمان رشيد سلمان، استراتيجية العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي: ضرورة ام ترف، شؤون عربية، العدد ٧٩، ايلول ١٩٩٤، ص ٣٨ - ٤٠.

(٦) مصطفى النشار، العقلية العربية بين انتاج العلم واستيراد الثقافة، المستقبل العربي، العدد ٢٠٠، ت ١، ١٩٩٥، ص ١١٧.

(٧) الماوردى، الاحكام السلطانية، مصر، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٨) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٤٨.

(٩) هارون فلايشر، تأثير التكنولوجيا على الاشكال الحضرية، حاضرة المستقبل، ترجمة المهندس محمود حمدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦، ص ٧٢.

(١٠)Joseph Lelyveld, Dutch Inaugurate Dike, a $2.4 Billion Marvel, Hew York Times, October 5, 1986.

(١١) د. وفيق حسونه، المتطلبات التكنولوجية والتنظيمية للاشباع الدائم للحاجات الصحية الاساسية في الوطن العربي، سلسلة كتب عالم المعرفة، سلسلة رقم ١٥٠، حاجات الانسان الاساسية في الوطن العربي، الكويت، حزيران ١٩٩٠ ص ١٩٧.

(١٢) ميلاد حنا، حاجة المواطن العربي للاسكان، المستقبل العربي، العدد ١٤٥ اذار ١٩٩١، ص ٨٦.

(١٣) د. محمد شهاب احمد ود. مؤمل علاء الدين، المتطلبات الفضائية لتخطيط المدينة، مطابع التعليم العالي، بغداد ١٩٩٠، ص ١٢٢ - ١٢٩.

(١٤) امانة مدينة الرياض، اساليب التخلص من النفايات واسترجاع الموارد منها، المدينة العربية، العدد ٤١، السنة التاسعة، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٩٠، ص ٣٧ - ٤٥.

(١٥) محمد حسن بامانع، تطور خدمات النظافة في مدينة جدة، مجلة البلديات، العدد العشرون، السنة الخامسة، مطابع وزارة الشؤون البلدية والقروية، الرياض ١٩٨٩، ص ٥٤.

(١٦) د. عبد الرحيم حمود الزهراني، بدائل لتحسين النقل داخل المدن الكبرى مجلة البلديات، العدد العشرون، السنة الخامسة، مطابع وزارة الشؤون البلدية والقروية، الرياض ١٩٨٩، ص ٣١.

(١٧) كلاركسن هـ . اوجلسبي، هندسة الطرق، ترجمة الدكتور علي سليمان حزين والدكتور طارق يوسف الريدي، دار جون وايلي وابنائه، نيويورك ١٩٨٦، ص ٦٩ - ٧٢.

(١٨) المهدى المنجره، الالتحام بين العلم والثقافة مفتاح القرن الحادى والعشرين المستقبل العربي، العدد ١٣٦، حزيران ١٩٩٠، ص ٢٠.

(١٩)Nathan Rosenberg and L.E. Birdzou : Scientific American, Vol.263, No.5, 1990, P. 18.

(٢٠) د. فضل ايوبي، صراع المدينة والقرية في الدول النامية، مجلة العربي، العدد ٣٧٢، السنة الثانية والثلاثون، الكويت ، تشرين الثاني ١٩٨٩، ص ٤٤.



الهندسة الوراثية.. نعمة أم نقمة ؟!

بادىء ذى بدء ، نرى من الضـــروري أن نجـــيب على الســـؤال الملح الذى بدأ يطرح نفسه مؤخراً منذ نشرت المعلومات المتعلقة بفك رموز الكروموسوم وبدء العد العكسي للنتائج المتعلقة بخريطة المخزون الوراثي البـــشــــري: لماذا الخــــوف من الهندسة الوراثية؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال نجد من المناسب أيضاً تسليط الضوء على الأسباب التي تدفعنا الى الخوف بشكل عام٠٠ وما هو معنى ومضمون الخوف أصلا؟٠

من المسلّم به أننا نخاف من المجهول ٠٠ لذلك فإن الشيء الذي لا نعرف ماهيته ومضامينه، نشعر بالخوف تجاهه٠٠ وذلك لعدم معرفتنا بما يمكن أن يؤدي إليه٠ وجهلنا هذا يدفعنا الى الشعور بالقلق والرفض٠٠ وهي كلها انفعالات نابعة من احساسنا بالحرية وشعورنا بوجودنا «كأشخاص» لهم كينونتهم وصـيرورتهـم وهويتهم٠ لذلك، وكما يؤكد العالم

بقلم المهندس : **يحيى الصعبي** - سوريا

«رولو ماي»: (إذا لم يكن للمرء أي قدر من الحرية فإنه لن يمر بتجربة القلق أبداً)٠٠ أو كما قال الفيلسوف «كيركيجارد»: (القلق هو إمكان انجاز وتعميق الحرية)، ولكن الخوف مرتبط أيضاً بالمستقبل٠٠ أو بمعنى أدق بالمجهول٠٠ فنحن نعرف الماضي واللحظة الراهنة، ولكننا لا نعرف المستقبل٠٠ ولذلك نخافه ونشعر بالقلق إزاءه٠ ويمكن أن نتغلب على هذا الخوف إذا عرفنا أي موقف يواجهنا، وعرفنا النتائج المترتبة على هذا الموقف، مما يساعدنا على التدخل لتغيير مجرى الأمور لصالحنا٠

من هنا، فإننا حين نخاف من «الهندسة الجينية - الوراثية» بوجه عام، ونحاول أن نمارس حريتنا من خلال شعورنا بالخوف والقلق، لا نخاف مما نعرفه٠٠ وإنما مما نجهله٠ فهل هو خوف ليس له أساس كما يقول العالم «انجلهاردت» (لأن الهندسة الوراثية بمعناها السلبي لم تصل حتى الآن إلى ما يخيفنا، لذلك فإن التفكير فيها بهذا المعنى تفكير مستقبلي)٠٠ فما الذي نخافه من الهندسة الوراثية؟٠

لقد استطاعت الهندسة الوراثية - حتى يومنا هذا - أن تتوصل، بامتياز، الى معرفة التركيب الوراثي للبشر، وهي تحاول، من خلال فك الرموز الوراثية، أن تصل إلى التحكم في هذه المورثات، وقد استطاعت حتى الآن أن تحقق الكثير من الانجازات ذات الفائدة العظيمة للانسانية بانتاج «الأنسولين» واكتشاف مواد تقضي على التلوث البترولي في البحار وسواها من الاكتشافات الباهرة٠٠ كما أن هذا المجال يستخدم في الكشف عن الأمراض الوراثية المجهولة٠٠ أو لمعرفة طبيعة مرض السرطان، إذن، كل ما وصلت إليه حتى الآن يخدم الانسان بصورة ملحوظة٠٠ فما هو مصدر الخطر والخوف إذن؟٠

تعتبر تكنولوجيا تجزئة المورثات، وإعادة تركيبها، أعظم انتصار حققه الانسان في مجال العلم عموماً، ومجال البيولوجيا الجزئية على وجه الخصوص حتى هذه المرحلة٠ ولكن هذه التكنولوجيا تحمل في طياتها بعض المخاطر الكامنة التى لا نستطيع حيالها سوى أن نتنبأ بها فحسب، ولذلك فهي تثير مخاوف جمهور الناس والعلماء على حدّ سواء٠ ولكن هناك ثمة فرق بين مخاوف إنسان يعرف الموضوع الذي يتعامل معه وبين مخاوف شخص آخر يقيم موقفه بناء على تصورات خيالية لا علاقة لها بالواقع٠٠ وهذا هو الفرق بين العلماء وبين جمهور الناس، الذين قال عنهم «دونالد فريدريكسون» الذي كان مديراً للمعهد الصحي الأمريكي عام ١٩٧٧م: «إن الناس ينظرون الى هذه التجارب على أنها قوى مخيفة أو مدمرة تسعى إلى تغيير طبيعة الانسان٠٠ وهذا تفكير غير عقلاني»٠ وهذا هو الفرق بين قناعات العلماء وقناعات عامة الناس، ولذلك سنتحدث في البداية عن المخاوف الواقعية أو مخاوف العلماء، ثم نتحدث عن مخاوف

** أيّ خطأ معملي غير محسوب في الهندسة الوراثية قد يؤدي الى دمار البيئة أو البشر.

** السلامة والأمن المرتبطة باجراء التجارب يشكلان الهاجس الاكبر للعلماء.

** مهما كانت الضوابط فإنها لا تمنع من اساءة استخدام تجارب الهندسة الوراثية.

** هل يمكن ايجاد كائن بشري تستحيل السيطرة عليه..؟!

الناس.

مخاوف العلماء:

تنحصر مخاوف العلماء في جوانب السلامة والأمن المرتبطة بإجراء التجارب، كأن يحدث تسرّب خلال التجارب لجرثومة وراثية الى خارج المختبر، تؤدي الى انتشار وباء أو مرض أو تشكل خطورة على البيئة الطبيعية. كذلك هناك خوف من أن تتحول جرثومة وراثية مسالمة الى ميكروب يشكل خطراً على الناس، أو تنتقل خلية تشبه الخلية السرطانية، عن طريق الفم مثلا، وخلال اجراء التجربة، مما يؤدى الى موت الشخص. وهم لا يبنون موقفهم هذا بدون أساس، ذلك لأن مخاوفهم هذه أعادتهم الى خمسينيات القرن العشرين حين كانت الحكومة الأمريكية تجري بحوثها في مختبراتها على أنواع الجراثيم المسببة للأوبئة مثل الطاعون والجدري.. وسواها من الأمراض. وقد كان الهدف من هذه التجارب معرفة تأثيرها على الناس للاستفادة منها في الحروب الجرثومية. وقد تم ايقاف هذه التجارب علناً في عام ١٩٦٩م بعد معاهدة خاصة بهذا الموضوع. والمهم أن الكثير من المتطوعين أصيبوا خلال هذه التجارب بأضرار شتى.

مخاوف الرأي العام:

إن مخاوف الرأي العام مختلفة، فهي في الغالب مبنية على مخاوف تعود الى قصص مرعبة تشبه قصة «فرانكشتين».. ويمكن إجمال هذه المخاوف بالآتي:

عالم مجنون:

يخاف البعض من وقوع هذه التكنولوجيا الخطرة بيد عالم مجنون، وهم يرون أنه حتى لو وضعت ضوابط ولوائح لمنع أي سلوك غير عادي فلن يكون هناك ضمان من أن يظهر عالم مجنون يسعى الى تحقيق أهداف غير انسانية رغم وجود الضوابط والموانع، وينتج كائناً بشرياً لا يمكن التخلص منه أو السيطرة عليه، أو يجري تجاربه لتخليق جرثومة وبائية من شأنها القضاء على البشرية كلها.

سلطة دكتاتورية:

يخاف بعض الناس من أن تقع هذه التكنولوجيا في يد سلطة دكتاتورية مستبدة تسعى الى الاستفادة من كل أنواع التكنولوجيا المتطورة على العالم.


بالهندسة الوراثية يمكن تعديل معالجة أمراض الجنين وتشوهاته - بإذن الله

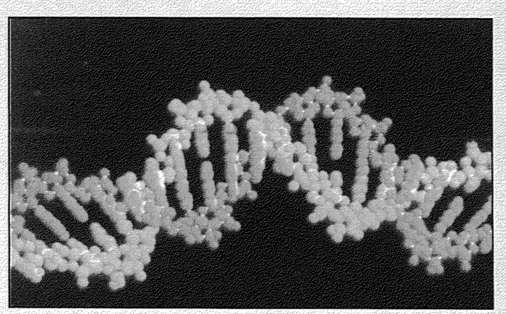
وبهذا الخصوص يقول الدكتور فؤاد زكريا: «لو أننا تيقنا أن العلم قد اكتسب قدرات كهذه في ظل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة، فإن الاحتمالات تكون مخيفة حقاً.. فمن الممكن أن تستغل الدول ذات الأنظمة العدوانية كشفاً علمياً كهذا لكي تزيد من قوة مواطنيها أو من قدراتهم على سحق خصومها بلا رحمة. ومن المؤكد أن مثل هذا الكشف لو ترك لسياسيين من النوع الذي اتخذ قرار استخدام القنبلة الذرية في «هيروشيما» لاستغلوه أبشع استغلال. ويقدم الخبير الاستراتيجي «ألفين توفلر» رأياً يتفق مع هذا الرأي يقول فيه: «إن امتلاكنا لهذه المعرفة السريعة والمتراكمة من العلوم الوراثية سيجعلنا قادرين على انتاج سلالات بشرية حسب الطلب خاصة في عالم لا تزال تسيطر عليه فكرة التعصب العنصري.. وإذا تم ذلك، فهل يمكن أن نناضل من أجل عالم يصبح فيه لون البشرية موحداً؟».

ولكن البعض لا يتفق مع هذا الرأي.. أعني أنه لا يرى مبرراً لمثل هذا الخوف، ويشبهه بخوف الانسان البدائي من الظواهر الطبيعية وهذا ما ذهب إليه «ستيفن تولن» استاذ الفلسفة في جامعة شيكاغو، حيث قال: «إن العلاقة بين الانسان وهذه التكنولوجيا الحديثة، شبيهة بعلاقة الانسان البدائي بالنار في بداية التاريخ، إذ كانت النار تعتبر شيئاً مخيفاً، فقد كان التقاء الانسان بها عملية مخيفة في البداية، ولكن النار نفسها كانت ذات قيمة كبيرة، بحيث أصبح من الصعب فيما بعد الاستغناء عنها».

ونحن الآن نسلك نفس السلوك بدون محاولة معرفة الفوائد التي يمكن أن نجنيها من هذه التكنولوجيا. وإنني أرى أن المشكلة ليست بوجود هذه التكنولوجيا أو عدم وجودها، وإنما بالمجتمع الذي سيستخدمها، فإذا كان مجتمعاً مسالما منفتحاً على العالم، فإنه دون شك سيسعى إلى خير البشرية ومنفعتها.. أما إذا كان مجتمعاً متخلفا ومستبدا فإن الدمار سيكون مصير العالم، ومثل هذا المجتمع الأخير لا يحتاج الى تكنولوجيا متطورة لكي يسعى الى الخراب، فهو سيحاول بشتى الطرق وبدون تكنولوجيا أيضاً أن يحقق أهدافه العدوانية.

الخوف على مستقبل الأجيال القادمة:

حين أعلن العلماء عن خوفهم من هذه التجارب،



الأطباء لايعرفون إلا القليل عن الجينات وكيفية عملها

الأطفال الذين سأحصل عليهم.. والذين لا يسمح لي بانجابهم؟.. كل هذا يشعر الناس بالقلق، إذ أن هذه الأبحاث دفعتهم الى طريق المستقبل المجهول بسرعة كبيرة وقبل أن يفيقوا من الصدمة».

لو تأملنا هذا الحديث لوجدنا في ثناياه خوفاً ضمنياً على المستقبل..

وسعى الشباب منهم، اعني طلبة جامعة «هارفرد» وأساتذتها، إلى عقد مؤتمر شعبي في شوارع مدينة كمبرج الأمريكية. وكان الهدف من الاجتماع، كما قال أحد البيولوجيين الشباب: «أن نشرح للناس طبيعة عملنا، لأن الناس هم المستفيدون والمتضررون من تلك التجارب».

وفي هذا التجمع تحدث أحد الحضور عن مخاوف الانسان العادي قائلا: «هناك الكثيرون منا قلقون وخائفون على مستقبل أبنائهم من هذه التجارب. فأنا مثلا أتساءل: ما نوع الأطفال الذين سأنجبهم.. أو النوع الذي لن أنجبه؟.. أعني، هل سيحدد الآخرون لي نوع

«فالناس لا يعرفون ماذا ينتظرهم ولا يعرفون ما الذي ينتظر أبناءهم، ذلك لأن تكنولوجيا من هذا النوع، كما يعتقد الكثيرون، قد تصل الى هندسة الانسان نفسه.. بمعنى، أن تسيطر عليه وعلى سلوكه وتحوله الى أداة يمكن التحكم بها واستخدامها، مما يعني أنه لم يعد آمناً على نفسه أو على أبنائه.. أو حتى على كبار السن في المؤسسات والمستشفيات، لأن الكل عرضة للتجارب.

** كل الاحتمالات مخيفة ومرعبة في ظل الهندسة الوراثية.

** من دمر هوريشيما يمكنه تدمير البشرية بكاملها بهذه التقنية الوراثية.

** في المراكز المتخصصة يمكنك اختيار الجنين الذى توده..!!!

** الهندسة الوراثية .. هذا الرعب القادم...!!!

خوف من نوع خاص:

ويذهب البعض الى أننا نعاني خوفا من نوع آخر.. ليس خوف علماء.. ولا خوف الرأي العام،

وإنما خوف فلسفي يجعلنا نفكر في الموضوع من زاويتين: الزاوية الأولى هي الانسان موضوع التجربة، والثانية هي العالم كإنسان مسؤول عن مستقبل الأجيال القادمة.

إن تهديد تجارب البيولوجيا عموماً، والهندسة الوراثية على وجه الخصوص، لكيان الانسان وخصوصيته من أهم المخاوف التى يثيرها المهتمون بهذا الموضوع من الناحية الفلسفية، إذ ترى كاتبة متخصصة مثل «تريزا إجليسيس: أن دخول الانسان كعنصر أساسي في تركيب هذه التجارب يعنى أن يفقد حرمته وخصوصيته وحقوقه الأخلاقية التي لا يمكن التغاضي عنها وهي تقصد بذلك أن محاولة العلماء التدخل في تغيير التركيب الوراثي للانسان وتحويله الى كائن ذي صفات خاصة يحددونها هم، ما هو إلا تدخل في حرية الانسان واستقلاليته، وكلها سمات تشكل عنصراً أساسياً من تكوينه الانساني .. فإذا فقد حريته فقد أيضاً إنسانيته، وبالتالي تطاولنا على خصوصيته، وهو ما يخالف مبدأ «خصوصية الحياة التى تحدثنا عنها سابقاً».

ولكن الهندسة الوراثية لا تهدد الكيان الانساني إلا إذا سعت الى تحويله إلى كائن آخر، أو حاولت التحكم بتركيبه الوراثي عن طريق تغيير سلوكه، ومن ثم يصبح إنساناً عدوانياً، أو محبطاً، أو مسلوب الإرادة، وهي كلها صفات تشكل الانسان. ولكن الهندسة الوراثية ليست كلها محاولات من هذا النوع، إذ أن هناك جوانب أخرى في هذا المجال لا يمكن إغفالها .. فهل يمكن أن نمنع فائدة عظيمة ستعم البشرية عن طريق التوصل الى علاج للأمراض الوراثية، فقط لأننا نخاف من بعض السلبيات؟.. قد نستطيع وضع بعض الضوابط لحلّ مشكلة من هذا النوع، أو نمنع الهندسة الوراثية بمعناها الموجب، ولكن لا يمكن أن نمنع الخير كله فقط من أجل بعض السلبيات.. ثم لماذا ينبغي علينا أن ننظر الى المستقبل من خلال واقعنا الذي نعيشه الآن؟.. إننا نعالج فكراً مستقبلياً من خلال منظور الحاضر، وهذا يعنى أننا نقيم المستقبل على أساس مفاهيمنا وقيمنا نحن وليس القيم والمفاهيم المستقبلية، لذلك قال «جون كلوفر»: (إن القرارات التى نتخذها للمستقبل قد لا تكون منصفة للأجيال القادمة، لأننا نحكم من خلال قيمنا الحاضرة». ثم من يدرينا أن الأجيال القادمة ستشعر بأن حرمتها انتهكت حين يتدخل العلم لتغيير تركيب الانسان الوراثي؟ إننا لا نعرف مدى قدرة هذه التكنولوجيا على التغيير، ولكننا دون شك متأكدين أن هذه القدرة ستأتي يوماً ما، لا في القريب العاجل، وانما يمكن القول، بكل ثقة، أنها ستكون بيننا يوماً ما. وحين يأتي ذلك الوقت سيفهم الكثيرون عن هذا العلم، بحيث سيتقبلونه ويسعدون بتدخلاته وقدرته على تغيير مورثاتهم. وقد يجنون الكثير من المكاسب التي قد ننظر إليها الآن على أنها حلم مرعب، ولا يجب أن نخاف من الفناء.. «لأن تاريخ العلم بمراحله المختلفة قدم لنا اختراعات واكتشافات كانت تبدو، في وقتها، أنها ستؤدي الى القضاء على البشرية ككل.. ورغم ذلك فما زلنا أحياء، بل إننا أفدنا من هذه الاكتشافات».

غير أن الذين يرفضون هذه التجارب لا يرفضونها، كما سبق القول، بسبب خوفهم من المساس بالإنسان بالمعنى السابق فحسب، وانما

يخافون على البشرية من خطأ قد يؤدي الى هلاك الجميع، أو من ظهور ميكروب يدخل المجتمع ويؤثر عليه تأثيراً بطيئاً، قد يظهر بعد سنوات عديدة ويصبح من الصعب بعدها القضاء على الوباء.

هذا ما أدركه المجتمع وكل المؤسسات التي اهتمت بالموضوع، والمهتمون بمجال الأخلاق العملية، الذين لم يكتفوا بدراسة تأثير هذه التجارب على الانسان، بل إنهم ذهبوا الى حد أخذ دور الرقيب على العلماء وعلى تجاربهم.. إذ أن مؤسسات أمريكية مثل مؤسسة «هاستنجر» ومؤسسة «كيندي للأخلاق البيولوجية» ومؤسسات عالمية أخرى مثل «مجلس المجتمع والعلم» وكلها مؤسسات كانت مهمتها منذ ستينيات القرن العشرين، دراسة التطورات التى تحدث في هذا المجال وكتابة البحوث عنها، وكانت، ولا تزال، تقوم بدور الرقيب والوسيط بين المجتمع والعلماء، الى درجة أنه أصبح لها دور كبير وفعّال في الجامعات والمنشآت العلمية، لذلك قالت الكاتبة «جون جودفيلد» معلقة على هذا الدور:

«إذا كان على العلماء أن يشعروا بالقلق، فإنهم يجب أن يخشوا هذه المؤسسات لما لها من دور فعّال في الجامعات والمؤسسات العلمية التي تقوم بها البحوث في مجال الهندسة الوراثية». بل إنه يمكن القول أن هذه المراكز تسعى الى التقريب بين وجهتي نظر العلماء والرأي العام، وتشرح للجمهور ما يمكن أن يخفى في هذا المجال، ولذلك فهي تتابع التطورات أولا بأول ، وتفتح صفحات دورياتها للعلماء والفلاسفة معاً ليوضح كل منهم موقفه. إذن، هذه المؤسسات لا تشكل خطورة على العلماء إلا بقدر ما قالت به «جون جودفيلد» بمعنى أن لها كلمة فعّالة في الجامعات بحيث يمكن أن توقف أو تعطل بعض التجارب وهذا ما يخشاه العلماء.. ولكن هذا لم يحدث إلا حين عرض العلماء أنفسهم للتساؤل بايقافهم التجارب التى كانوا يخشونها، مما يجعلنا نتساءل عن مدى مسؤولية العلماء كأساس آخر تقوم عليه تجارب الهندسة الوراثية.

العالم بوصفه مسؤول عن مستقبل الأجيال القادمة:

من المتفق عليه أن العالم هو العنصر الثاني الذي يشكل تجارب الهندسة الوراثية، بعد الانسان موضوع التجربة.. ولما كانت تجاربه هذه تخص الانسان بشكل مباشر، فهو يشعر بالقلق دون شك، إذ أن الأمر لا يرتبط بمواد جامدة أو كائنات حية من فصائل أخرى غير الانسان، بل إنه سيتعامل هذه المرة مع الانسان بشكل مباشر، مع خلاياه وأنسجته، لذلك إذا حدث خطأ فإنه يمكن أن يؤدي الى حدوث كارثة يتحمل هو مسؤولياتها الكاملة.. وهذا ما دفع العلماء الى وضع لائحة تحدد سلوكهم خلال إجراء التجارب لابعاد الخوف من المجتمع، على الرغم من أن معظم العلماء على الصعيد العالمي اعتقدوا أن هذه اللوائح الموضوعة مبالغ فيها. وقد تمادى العلماء في حرصهم على المجتمع وخشيتهم عليه الى درجة أنهم توقفوا عن هذه التجارب بشكل طوعي لمدة سنة كاملة الى أن توصلوا الى اضعاف الجرثومة الوراثية التي تستخدم في تجاربهم للتأكد من زوال خطرها.

ولكن رغم كل هذا فإنهم لم يسلموا من تدخلات

الرأي العام التي توصلت إلى حدّ عقد شبه محاكمة، وجهت فيها الأسئلة لهم حول ما إذا كانت الهندسة الوراثية يجب أن تستمر أم لا؟.. لقد وضع العلماء لوائح وقائية بدافع إحساسهم بالمسؤولية تجاه المجتمع، ولكن المجتمع اعتبر مثل هذه السلوك تصرفاً فردياً ليس من حق العلماء. وهنا حدث تصادم بين العلماء الذين يصرون على المحافظة على حريتهم، وبين المجتمع الذي يفكر في مستقبل الأجيال القادمة ويحاول التدخل فيما لا يعرفه .. فهل المجتمع على حق في تدخله هذا؟.. أم أن العلماء على حق في رفض هذا التدخل على أساس أنهم أعلم بمستقبل البشرية؟.

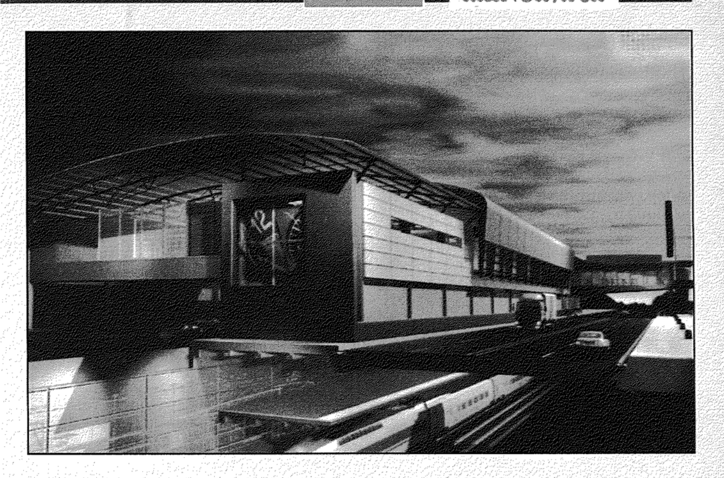
ولابد أن نعرف في البداية، وقبل الإجابة على هذين السؤالين، «أن أي دارس متعمق في الحقل العلمي الموضوعي، يعرف أن تأثير العلم الأساسي يأتي من قدرته على تحليل المشاكل - بما فيها الظواهر الطبيعية - إلى أجزاء صغيرة من أجل اختبارها وإجراء التجارب عليها، مما يعني التوصل الى كمية هائلة من المعلومات عن هذه الأجزاء تساعد على التحكم فيها إن أمكن، فيما بعد.. ولكن لسوء الحظ، حين تجتمع تلك الأجزاء أو العناصر بعضها مع بعض لا يكون سلوك المجموع كسلوك أفراد تلك المجموعة كل على حدة. وهذا بالضبط ما هو حادث في البيولوجيا، لا سيما هذه التكنولوجيا الحديثة.. فقد توصل العلماء الى تجزئة الـ «د.ن.أ»، ويمكن أن يصلوا في المستقبل الى إعادة تركيبها عن طريق إضافة أجزاء من الـ «د.ن.أ» لكائنات أخرى. ولكن سلوك التركيبة الجديدة لا يمكن التنبؤ به، وبالتالي يمكن أن يشكل خطورة على الانسان».

الاستنساخ الحيوي: نظرة مستقبلية:

في دراسة هامة بعنوان «كابوس الرعب» نشرتها المجلة العلمية المتخصصة (Scientific Horizons) بتاريخ ٢٠٠٠/٨/١١م جاء فيها: (إن الخبراء في جامعة أبسالا السويدية تمكنوا مؤخراً من انتاج نسخ أصلية جديدة لمومياء طفل يعود تاريخه الى ٤٠٠ عام قبل الميلاد)، وبالطبع ليس المقصود نسخة حية، ولكن المهم في الخبر، إن كان صحيحاً، أننا أمام بوابة كبيرة على وشك أن تفتح على مصراعيها لتدخلنا عالماً جديداً مرعباً، وليس عالما جديداً شجاعاً كعالم «الدوس هكسلي» إنه عالم ستنقلب فيه الموازين.. الانسان ليس الانسان الذي نعرفه، أو هكذا يبدو. وقد نجد أنفسنا في المستقبل ندخل «سوقاً مركزيا مكتوب عليه (سوق المورثات) نختار منه المورثات التي نرغب أن تكون في أبنائنا أو في الأشخاص الذين سيكونون نسخاً منا. وفي مجتمع كهذا ستكون الفرص أمام الانسان في البقاء أطول، من وجهة نظر العلماء، حيث يستطيع الانسان أن يحصل من النسخة المطابقة له بدلا عن أعضائه التالفة على أعضاء جديدة.. ويمكن أن يجمد الى أن يصل الأطباء الى علاج مناسب لمرضه. أما بالنسبة لغذائه فإن حصوله على أي نوع من الطعام لن يكون مشكلة لأن الأجزاء المنقرضة من الحيوانات سيعود إحياؤها بالاستنساخ.

مرجع :

Scientific Horizons, August, 2000.



التجربة في القرن العشرين من الوفرة الى الندرة

جاءت أزمة الطاقة Energy Crisis في أوائل السبعينيات (١٩٧٣) كصدمة قوية لجيل ترعرع على اقتناء الموارد الرخيصة والتكنولوجيا المتقدمة بسرعة وقد تسببت هذه الأزمة في اجراء دراسة للطبيعة المتناهية للموارد العالمية ومدى قدرة التكنولوجيا على التغلب على حدود النمو. ولكن الصورة المتغيرة للطاقة لم تكن المؤشر الوحيد الدال على أن العالم يمر بمرحلة انتقال من وفرة الى ندرة نسبية في بعض المجالات الحيوية[١].

شهدت أوائل السبعينيات تدهورا مفاجئا ومثيرا للقلق في اقتصاديات الغذاء في العالم، حيث تضاءل المخزون الاحتياطي ليتلاشى تقريبا، وظهرت المجاعات الواسعة الإنتشار في أفريقيا وآسيا. ويرجع السبب الرئيسي لهذه الندرة الى عدة عوامل متشابكة مثل ضعف المحاصيل في الاتحاد السوفيتي - سابقا - وشبه جزيرة الهند وأفريقيا شبه الصحراوية، بالإضافة الى قرار اتخذته الحكومة السوفيتية - آنذاك - بتعويض نقص الحبوب عندها باستيراد كميات منها من



بقلم : **أ.د. سالم عبدالجبار آل عبدالرحمن**
جامعة العلوم والتكنولوجيا - صنعاء

الولايات المتحدة. ثم ما لبثت أن تحسنت اقتصاديات الغذاء في العالم في أواخر السبعينيات بفضل سلسلة من المحاصيل الجيدة، ولكن عند بدء الثمانينيات، كانت هناك بوادر تدل على زيادة النقص في الغذاء.

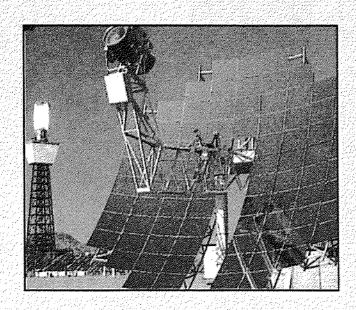
ويرجع هذا التعاقب في انخفاض وارتفاع كمية الغذاء المتوفرة في أسواق العالم الى التقلبات المناخية، ولكنه كان يخفي وراءه إتجاها خطيرا. ففي ربع القرن التالي للحرب العالمية الثانية (١٩٤٥ - ١٩٧٣) تضاعف محصول العالم من الحبوب تقريبا، حيث قفز من ٦٨٥ مليون طن الى ١٫٣٥ بليون طن سنويا. وكانت هذه الزيادة التى لم يسبق لها مثيل من قبل كافية للإبقاء على إنتاج الغذاء متقدما على طلب سكان الأرض المتزايدين بسرعة. ولكن عند منتصف السبعينيات، نفد أحد المصادر الرئيسية لزيادة إنتاج الغلة حيث تم استغلال كل الأراضي المتاحة للزراعة في العالم تقريبا.. وبالفعل فقد انطلقت عدة تحذيرات في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات بشأن تدهور بعض الأراضي المزروعة.

وعنى ذلك ان كل زيادة في إنتاج الغذاء فيما بعد كان عليها أن تأتي من زيادة غلة الأرض وتلك عملية صعبة للغاية، لأن كل تكنولوجيات زيادة غلة الأرض المستخدمة في العقود القليلة الماضية - مثل المخصبات، والمبيدات الحشرية والعشبية، والري - كانت تعتمد بدرجة كبيرة على الطاقة[٢].

ولقد أخفت الكثير من التقريرات الشاملة - وقتئذ - سمة أساسية أخرى من سمات اقتصاديات الغذاء في العالم وهي: زيادة الاعتماد العالمي على شمال أمريكا. فقبل الحرب العالمية الثانية، كانت أوربا الغربية من أكبر مستوردي الحبوب في العالم، وكانت معظم المناطق الأخرى في العالم تتمتع على الأقل باكتفاء ذاتي في هذا المجال. ولكن خلال ربع القرن الأخير، قل عدد الدول التى استطاعت سد احتياجاتها من الحبوب بإنتاجها المحلي منها، واتجه المزيد من الدول الى الولايات المتحدة وكندا لسد الفجوة الناشئة بين الطلب على الحبوب والإنتاج المحلي منها. وفي منتصف السبعينيات كانت منطقة شمال أمريكا هي المنطقة الوحيدة في العالم التى تتمتع بفائض في مواد الغذاء الأساسية وأصبحت صادراتها تشكل ثلثي صادرات العالم من الحبوب. وقد أدت هذه التبعية الزائدة للمحاصيل الأمريكية الشمالية الى زيادة خطورة مراكز مستوردي الحبوب في كل مكان بالنسبة لأي تغير يحدث في الأحوال الجوية «والتحولات في السياسات الزراعية» لمنطقة مناخية واحدة[٣].

لم يقتصر التغير الكبير الذي أصاب صورة الغذاء في العالم في عقد السبعينيات على تغير المحصول المتوفر. وقد أدت هذه الاتجاهات الى تأكيد الحاجة الى تكنولوجيات جديدة لزيادة الانتاج في السنوات القادمة. ولكن تجارب الجيل قد بينت أن التكنولوجيات الجديدة وحدها غير كافية لضمان توفير الغذاء لهؤلاء الذين لا يستطيعون شراءه. وكان لهذه الاتجاهات نتائج خطيرة بالنسبة للموقف الغذائي في الثمانينيات وما بعدها.

ويعتبر الماء مصدرا آخر من المصادر التى كانت وفرتها شيئاً مضموناً في العقود الأولى من القرن العشرين إلا أنه من الواضح أنها بدأت تتجه الى ندرتها في السنوات القليلة الماضية وستزداد هذه



الندرة أكثر في السنوات المستقبلة. فها هو «رتشارد بارنيت» يقول في كتابه «السنوات اللينة» أن: الصراع على الماء شيء حتمي حيث إن الماء يُعدّ مصدراً محدوداً ونادراً، وهناك دائماً تنافس بين الذين يشربون الماء ويروون به الأرض ويستخدمونه استخداما صناعياً. ومع ذلك فقد كان توفر الماء، مثل الطاقة، شيئا مُسلماً به لسنوات عديدة، وبالتالي اعتبره التطور التكنولوجي بمثابة سلعة مجانية ومصدرا قابلا للتجديد، ويمكن تجاهل تكلفته في تخطيط المشاريع الجديدة. إلا أن هذا المصدر لن تتضح قيمته الحقيقية تماما إلا عندما تنفد الخزانات[٤].

وفي البلاد الصناعية أيضا، ازدادت المنافسة على الواردات المائية لأجل الاستخدامات الصناعية وتوليد الطاقة والتوسع العمراني والزراعة. ومن المتوقع أن تشهد الولايات المتحدة ذات المصادر الواسعة للطاقة، والمساحات الشاسعة من الأراضي المروية والمدن الآخذة في الاتساع بسرعة، منافسة متزايدة على مصادر المياه في السنوات المقبلة، بعد أن شهدت سنواتها الماضية في نهاية القرن العشرين تنافسا حادا، فمياه نهر كولورادو، وهو شريان المياه للجنوب الأمريكي الغربي الجاف، قد استخدمت بالكامل تقريبا، ومن المحتمل ألا تكفي لسد المزيد من الاحتياجات في المستقبل. والأخطر من ذلك أن الطبقة الصخرية المائية في (أوجالالا)، وهي خزان تحت الأرض يقوم بإمداد منطقة واسعة من السهول الغربية بمياه الري، قد بدأت في إظهار علامات النضوب. ولقد ذكر الكاتب العلمي «جونا والسن» في أحد مقالاته في Foriegn Affairs أن حوالي ٤٠٪ من الأبقار التي تتغذى بالحبوب في الولايات المتحدة تتم تربيتها في منطقة تعتمد على «أوجالالا» ولكن الدراسات الهندسية بينت أن المياه الجوفية في هذه المنطقة قد تنفد في ظرف ثلاث سنوات الى عشرين سنة.

وليس من المفروض أن تنفد المصادر المتجددة وذلك حسب التعريف العلمي لها، ولكن خلال السبعينيات، اتضح أن المصادر المتجددة في مناطق عديدة تقع تحت ضغط هائل حيث ازداد الطلب عليها مما أدى الى رفع الأنظمة البايولوجية Biological Systems الى أقصى سعة إنتاجية لها، بل وجعلتها تتعداها أحيانا. وتشهد مظاهر كثيرة، مثل تدهور الأرض في مناطق عديدة من العالم وانخفاض إنتاج مصايد الأسماك والتلال المنزرعة بالأشجار، على هذه الاتجاهات. ولكن المصدر الذي حفته المخاطر «ولا تزال تحفه» بشدة في بعض المناطق هو الخشب. فقد أكدت الدراسات المتتابعة أن الغابات الإستوائية أخذت تنكمش بنسبة تثير القلق تحت ضغط الطلب المتزايد على الأرض الزراعية، والعمليات التجارية المثقلة، وجمع الأخشاب للتدفئة. وقد أدى ذلك الى بروز واستفحال مشاكل اجتماعية وبيئية خطيرة في مناطق كثيرة من العالم حيث ارتفعت أسعار أخشاب التدفئة، وازدادت عوامل التعرية في تجريد التلال من غاباتها، وانطلقت الدراسات والبحوث في وقتها مثل دراسة «العالم عام ٢٠٠٠ وغيرها» الى القول بمثل: «أنه من المتوقع أن

ترتفع أسعار المنتجات الخشبية مثل أخشاب الوقود وألواح الخشب المنشورة والحوائط الخشبية والورقية والكيميائيات المعتمدة على الخشب وغيرها.. وقد تكون نتائج ذلك في العالم الصناعي مثيرة للقلق، ولكنها لن تؤدي الى كارثة، ولكن في الدول الأقل تقدما، حيث يعتبر الخشب ضرورة من ضرورات الحياة، سوف يؤدي فقدان مزارع الخشب الى إجبار بعض الدول النامية على دفع أسعار متصاعدة بحدة لأحشاب الوقود والفحم، أو الى بذل المزيد من الجهود لجمع الخشب أو محاولة الاستغناء عنه».

وكانت هناك تنبؤات بالتحول من الوفرة الى الندرة حتى قبل حدوث أزمة الطاقة في أوائل السبعينيات، وذلك عندما نشرت دراسة «حدود النمو» في عام ١٩٧٢م[٥].

وقد تكون دراسة «حدود النمو» تتسم فعلا بقدر من التشاؤم بالنسبة لبعض المجالات، ولكن النقص الوشيك، إن لم يكن الحالي، للمصادر القابلة للتجديد وغير القابلة للتجديد يفرض مسؤولية كبيرة على التغير التكنولوجي. فالتكنولوجيات كثيفة الاستخدام للطاقة والمضرة بالبيئة التى تطورت في عصر المصادر الرخيصة والوفيرة ساهمت هي الأخرى في خلق بعض المشاكل التى ظهرت في سنوات السبعينيات. وأصبحت التغيرات في اتجاه التكنولوجيا تغيرات ملحة للغاية.

الهوامش :

(١) التنمية الصناعية وعالم الطاقة.. آفاق للتغيير من سلسلة محاضرات الباحث التى ألقاها في جامعة Harvard الأمريكية - مايو ١٩٩٠.

(٢) الطاقة.. والأمن الغذائي «قراءات في محاضرات الباحث» ١٩٩١ - ١٩٩٣م.



(٣) أما بالنسبة للدول العربية فإنها لا تزال تواجه فجوة في كثير من السلع الغذائية والتى من أهمها الحبوب والزيوت والسكر المكرر. فلقد بلغت القيمة الكلية للفجوة عام ١٩٩٥م، ٥٣ر١١ مليار دولار وارتفعت في عام ١٩٩٦م لتصل الى ٢١ر١٢ مليار دولار أي بزيادة قدرها ٩٥ر٥٪ ثم انخفضت قليلا عام ١٩٩٧م لتصل الى ١ر١٢ مليار دولار.

أنظر: د. يحي بكور «المدير العام للمنظمة العربية للتنمية الزراعية» المشاهد السياسي. العدد ١٩٠، ٣١ اكتوبر - ٦ نوفمبر ١٩٩٩م. ص ٣٢.

(٤) الطاقة.. والأمن المائي «قراءات في محاضرات الباحث (١٩٩١ - ١٩٩٣م).

(٥) من بين مجموعة الدراسات والنماذج العالمية التى اهتمت بقضايا استشراف المستقبل والتى استطاع نادي روما Club of Rome إشعال أول جذواتها. كان من بين هذه النماذج نموذج روما، ونموذج ميزاروفيتش وبتسل الذي لم تختلف نتائجه جوهريا عن نتائج نموذج فورستر ونموذج مؤسسة باريلوتشي، ونموذج ساروم Sarum وغيرها.

أنظر: «صور المستقبل العربي»، د. ابراهيم سعد الدين وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢م، ص ٢١ - ٦٣.

كرم أصيل

٤٩٦ـ مقدمـــة :

قد تقع أحداث صغيرة لرجال عظام النفوس، فيكون لها أثرها من التوجيه الخلقى إذا أخذت حقها من التدوين والذيوع، لأنها بمغزاها الرائع، تُعطى مفهوما صحيحا يجب أن يحتذى، وأنا أسمع بكثير من هذه الأحداث الصغيرة، لكنى لا أجد من يفيها حقها من الإشادة والتحليل، على حين نرى من المواقف السطحية ما تدور حوله الأحاديث رياء وزلفى لمن انتسبت إليه هذه المواقف، بل ربما اخترعت المواقف الهامشية اختراعا لتكون أداة للتقرب والنفع العاجل، لذلك رأيت أن أشير إلى مواقف قد تبدو صغيرة فى مضمونها، ولكنها كبيرة جدا في انتمائها الخلقى، وأثرها النفسى البعيد.



٤٩٧ـ فكرة طيبة :

كان أحد العلماء من أئمة المساجد في القاهرة، ذا سمعة طيبة في مجتمعه لأنه يؤثِّر بسلوكه واتجاهه قدر ما يؤثر بوعظه وخطبه، لذلك تجمع حوله المريدون من كل صوب، ورووا عنه الأعاجيب في إيثاره وتواضعه وتفانيه في قضاء حاجات المعوذين، وقد سافر أحد هؤلاء المريدين الى بلد عربى للتجارة ورجع غانما كاسبا فتحسن وضعه المالى الى حد لم يكن ليحلم به، ورأى أن يُهدي شيخه إمام المسجد هدية تناسب قدره عند نفسه، فقدم له ثوبا كبيراً من الصوف الجيد. يحتوى على ثلاثين من الأمتار ذات الثمن المرتفع، وظن أنه سيكسو بها نفسه والمختارين من ذوي قرباه.

وصلت الهدية للإمام، وعرف أن صاحبها قد من الله عليه باليسار والنعمة، فتقبلها بقبول حسن، وأخذ يفكر في أمرها على نحو يسعده حقا، فأرسل الى بعض تجار القماش من مريديه في الحيّ، وسأله كم يكفى هذا القدر من الصوف، إذا فرقته على من يستحق، فقال يكفى عشرة أشخاص لكل إنسان ثلاثة أمتار.

قال الإمام: وإذا أخذته أنت لتبيعه في محلك، وتعطيني بدله قدرا من القماش الذى يصلح للجلابيب الخاصة بفقراء الحي من الرجال والنساء، ففكر التاجر وقال يبلغ ثمنه ما يساوى مائة وستين مترا!

فقال الإمام: وإذا كان الجلباب خمسة أمتار فستكسوا اثنين وثلاثين من الناس اذن؟ قال التاجر، نعم!

فتهلل وجه الشيخ، وقال للتاجر، خذ الصوف يا صاحبي، وهيىء لنا القماش الشعبي، وسيصلك من يحمل ورقة مني ليأخذ خمسة أمتار فحسب، وخلا الإمام لنفسه ليكتب اسماء من يعرفهم من المحتاجين، فأحصاهم عدّا، وبعث اليهم ليأخذ كل محتاج ورقة عليها خاتمه، ويذهب للتاجر فيتسلم ثوبه، وهكذا تم التوزيع في أمد قريب.

وجاء التاجر للشيخ يقول له: لم لمْ تُبْق لنفسك ثوبا من الصوف لا يبلغ غير ثلاثة أمتار فقد تحتاج إليه قريبا!

فقال الشيخ: لقد أخذت الصوف كله في ميزانى عند الله يا رجل، فكيف تريد أن تنقص هذا الميزان يوم الجزاء! إن الله قد جعلنى واسطة بينه وبين هؤلاء الناس.

٤٩٨ـ فلسفة عالية:

كان الإمام الأكبر الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق أستاذاً للفلسفة الإسلامية بالجامعة قبل أن يلى مشيخة الأزهر الشريف، وكان رحمه الله ذا نَفْسٍ مطمئنة ونظرة عميقة تنسجم مع الروح الفلسفي للمادة التى يقوم بتدريسها.

تحدث عنه أحد زملائه من أساتذة الكلية بعد رحيله مشيداً بمآثره فكان مما قال: إن الشيخ كان يسعى جهده لقضاء مآرب ذوى الحاجة، وبخاصة تلاميذ الكلية، فكان يخصم من راتبه الشهرى مبلغا كبيرا لسداد مصروفات ذوى الحاجة ممن لا يستطيعون السداد، ثم يجدُّ في البحث الدائب عن وظائف مناسبة لهم بعد التخرج ليمضوا سعداء في طريق الحياة ومن نوادره العجيبة في هذا الاتجاه، أن طالبين من المتخرجين سعيا إليه لينهض بالوساطة لهما في عمل حكومي، وكان أحدهما مقرباً منه لجدّه ونشاطه، واهتمامه بالبحث الجامعى على نحو سار، أما الآخر فلم يكن يعرف عنه الأستاذ غير أنه طالب بالكلية فحسب، وقد انتهى مسعاه الى تيسر وظيفة واحدة لأحدهما، فجعلها من نصيب الطالب الذى لا يعرف عنه شيئا ولم يجعلها من نصيب طالبه الأثير لديه.

قال الراوي: ودهشنا لذلك أكبر الدهش، وسألنا الأستاذ عن هذا الإيثار ومدعاته في نفسه، فقال إنه أعطى الوظيفة لمن لا يعرف، لحكمة واضحة، لأنه بذلك سيفرض على نفسه أن يواصل المسعى لتحقيق أمل طالبه النجيب لشدة اهتمامه به، أما لو أعطاه الوظيفة ابتداء فقد يتقاعس عن تلبية حاجة زميله فتفتر همته وهو بشر! فليأخذ نصيبه الفورى، ومن الغد سأواصل المسعى بجد ونشاط، وسييسّر الله

وأصل! وفعلا لم يمض شهر حتى كانت الوظيفة في يد الطالب، لأن الشيخ لم يدخر وسعا!

ما رأى القارىء في هذا النظر الفلسفى! بل في هذا النظر الإنسانى؟

٤٩٩ـ شهامة مفرطة:

كان نادى سليمان باشا بالقاهرة في أوائل هذا القرن مأوى الكبار من الباشوات، ومنهم الوزير والسفير وعضو البرلمان، وكبار القواد من رجال الجيش، ووجهاء الأعيان من الموسرين، ومن يتخذ الجلوس بالنادى، والتمتع بمآكله ومشاربه وجلسائه مجال فخر ومباهاة.

وفي أمسية من أماسى الربيع الدافئة، جلس أحد الباشوات الضخام بأسمائهم وثرواتهم ووظائفهم فرأى ماسح أحذية يتقدم إليه راجيا أن يأذن له بمسح حذائه، فقام كمن لدغته عقرب، وضرب بكفه ساخطا، فحضر المشرف على النادى، فقال له في غطرسة: ما هذا الذباب البشري!؟ إننا جئنا هنا لنستريح من رؤية الرعاع!

وكان الأديب اللغوى الثريّ الأستاذ وحيد الأيوبي بك على مقربة منه، فشهد هذا المنظر الوقح متألما، وفكر فيما يغضب الباشا، ويعطيه درساً لا ينساه، فتقدم للمشرف العام على النادى، وسأله: متى يتغدى الباشا في النادي؟ فقال: إنه يتناول الغداء دائما في الساعة الثانية ظهرا، ويكون وحيدا إلا إذا دعا في بعض الأحيان باشا من طرازه!

فقال الأستاذ وحيد: إنه يريد أن يحجز النادى مأدبة كبرى تسع (ثلاثين ضيفا)، وأن يكون ذلك غداً في الساعة الثانية حين يهم الباشا بتناول طعامه، على أن يكون الطعام لكل ضيف من طراز ما يأكل الباشا، ولا ينحدر عن مستواه، ثم دفع الحساب جميعه ليتم الإعداد.

وفي الموعد المرتقب، حضر الباشا ليجلس وحده على مأدبته الخاصة، ونظر فإذا الأستاذ وحيد الأيوبي يتقدم ثلاثين ضيفا من ماسحي الأحذية، وبائعي السجائر ومتسكعى الطرقات، ويدخل بهم النادى ليجلس معهم على المائدة الممتدة ذات الطول البعيد، وقد مُلئت بأفخر أنواع الطعام، ففوجىء الباشا بما لم يتوقع، فقام يصرخ في وجه المشرف، ويقول له: ما هذا؟ هل نحن في بولاق! أو في الباطنية؟!

فأجاب المشرف في هدوء ياباشا: الطعام ملك لمن يدفع، ووحيد بك دفع المطلوب، إذا أردت طردهم فادفع الثمن لأعطى كل آكل ما يأكل به في مكان آخر، بعد أن يسمح وحيد بك! فقال الباشا إنها مهزلة! ثم خرج دون أن يأكل!

هنا تهلل وجه وحيد بك، وقال لقد أردت أن أطرده بطريقتى الخاصة، كما طرد بالأمس ماسح الأحذية المسكين! ليعلم أن القصاص عادل، وكان أحد المصورين على مقربة، فالتقط صورة المأدبة ومن عليها من البؤساء، ونشرها في الجرائد مفصلا أسبابها، ومعها حديث واف لوحيد الأيوبي عن دواعى هذا الكرم العجيب!.

٥٠٠ حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

جاءتني سيدة تبلغ الخمسين من العمر، ولم أكن رأيتها من قبل وبيدها ملف يجمع بعض الأوراق، وقالت في هدوء:

أنا فلانه متزوجة من صديقك فلان وكريمة الأستاذ (ع) أحد علماء الأزهر الشريف الذين فارقوا الحياة منذ ثلاثين عاما، وكان أبي أستاذ فلان وفلان ممن تتردد أسماؤهم يوميا في اذاعة القرآن الكريم وكانوا دائماً يزورون أبي في المنزل، وكنت صغيرة، وأنا أشاهدهم يجلسون عند أبي حتى الى ما بعد صلاة العشاء، ولكني أشعر بالحسرة وأبكي، لأنى لا أسمع اسم والدى وهو أستاذ الجميع، (هكذا قالت) وقد تحدثت مع أستاذ فاضل في ذلك، فقال لي إنك (تريدني) تكتب دائما عن الراحلين من العلماء، وتذيع عنهم أحاديث كثيرة. فترددت أن أفاجئك بالزيارة على غير معرفة وشجعنى زوجى، وقال إنه صديقك، ولابد أنك ستجبر خاطرى إذا عرفت صلتى به، ومعي أوراق كثيرة تحمل بعض مقالاته فلعلك تفيد منها، وتكتب عنه وترسم صورته!

أخذت أتذكر بيني وبين نفسي، ما أعرفه عن أبيها، فعرفت أنه كان يشتغل بمراجعة الكتب الدينية في احدى المطابع الشهيرة، كما كان شيخا لبعض المعاهد الأزهرية، وله آثار تدل على فضله، ولكنه مع ذلك لا يتميز بميزة كبرى تجعله مدار حديث متصل، فسكتُ مفكرا فيما يمكن أن أقوله. وقد أعجبت بوفاء السيدة لأبيها. وقد سافرتْ من القاهرة الى المنصورة، لا لشيء إلا لتبحث عمن يتحدث عنه.

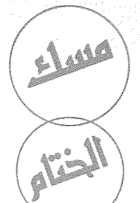
وبعد لحظة قالت السيدة: أذكر أن والدى، كان مريضاً، وكان الليل بارداً في الشتاء، فأوقدت وابور الجاز ليدفىء قدميه، وهو عاكف على تصحيح أوراق تجمع حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، فعزَّ عليّ أن يسهر هكذا وهو مريض، فقلت له يا أبي، اترك ما معك، واسترح في السرير، فالشتاء شديد البرد، ودفء الوابور لا يكفي، فنظر اليّ نظرة طويلة. وقال: يا بنيتى إنني أخْجَل من رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، حين أترك حديثه دون مراجعة، والمطبعة تنتظر المسودات في الصباح، لو كان كتاب أحد غير رسول الله {صلى الله عليه وسلم} لقمت!!

قالت السيدة ذلك، عفواً دون أن تقصد إثارتي - فشعرت برجفة في كياني، وقلت إن هذا الصنيع وحده، يوجب عليّ أن أكتب عنه، فهو أدلُّ على معدنه من عدة مجلدات.

ذكرني هذا بالأستاذ محمد زاهد الكوثرى رحمه الله ، إذ كان يصحح كتابا في التفسير أو الحديث - لا أذكر - وقد كان في احتياج شديد للمال، فهو غريب فى مصر ولا وظيفة رسمية يأكل منها، وقد عرض عليه صاحب المطبعة مبلغاً نظير قيامه بالتصحيح، فأبى وأصر، وقال كلمته الشهيرة لصاحبه:

أخشى أن يضيع ثواب الآخرة بما آخذه منك!

رحمهما الله!.



شاة أشعب .. وذئب أُهْبان

بقلم:
د. محمد العيد الخطراوي
- المدينة المنورة -

لم تبلغ شاةُ (أشعب) في الشهرة مبلغ شاة (سعيد)، لأن الله لم يسخّر لها من يصفها الأوصاف الضاحكة التي تعلق بأذهان الناس، كما توافر ذلك لشاة (سعيد)، التي كتب فيها الحمدوني مجموعة من المقطوعات الشعرية الساخرة، وللتذكير بالحمدوني نقول: هو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه. وفي (الاعلام ٣٠٧/١) : الحمدوي، نسبة إلى جده هذا. وفي زهر الآداب للحصري ١٠٤٦/٢/تحقيق البجاوي ط ٢) : الحمدوني ، والخطب سهل – فيما نحسب – توفي بالعراق سنة (٢٦٠ هجرية). واذا كنا في (شاة سعيد) قد وقفنا أمام ظاهرة البخل، والتباين في الأقدار فإننا نستطيع أن نلتقي في (شاة أشعب) مع ظاهرة أخرى ، هي ظاهرة الطمع، التي هي في اعتقادي مترتبة على شيوع البخل وانتشار الفوارق اللافتة .

وأشعب شخصية معروفة ظهرت بالمدينة المنورة، من موالي عبدالله بن الزبير، تأدب وروى الحديث، وكان مع ذلك يجيد الغناء (الاعلام ٣٣٢/١) ، عرف بالنكتة وخفة الروح، وقد نسبت إليه حكايات وطرف كثيرة، لم يخل أكثرها من النحل والوضع، حتى غدا شخصية شعبية، تشبه شخصية جحا بحيث يضيع الكثير من جوانب تاريخه الصحيح .

وهو إمام الطفيليين وأولهم في التطفيل، قيل له ذات مرة (ثمار القلوب ص ٣٧٧) : هل رأيت أطمع منك ، قال: نعم، شاة لي صعدت في السطح ، فنظرت الى قوس قزح، فظنته حبل قت، فقفزت إليه، فسقطت، فاندقت عنقها .

ومن ثم ضرب بها المثل في الطمع كما كان يضرب المثل بصاحبها. والى هذا التمثيل أشار ابن الحجّاج في قصيدته التي كتبها في زوجته حين سقطت من السطح وماتت ، حيث قال :

عـفـا الله عنهـا، انهـا يوم ودّعتْ
أجلُّ فـقـيـدٍ في الـتـراب مـغـيّبِ
ولو أنهـا اعـتـلّتْ لكان مُـصـابُهـا
أخفَّ على قلب الحـزين المعـذّبِ

الى أن قال بعد اتهامها بما لايجوز:

فـصـارت حـديثـا شـاع بين مـصـدّق
بـحـقـيـقـتـه عـلـمـا، وبين مـكذّبِ
هوى الطمع المُردي إليـهـا بِحـتـفـهـا
ومنْ يمتـثلْ أمـر المطامع يَعْطَبِ
فـأعظَمَ ياهذا لـك اللهُ ربُّهـا
وربُّك أجْـرَ الثُّكْل في (شـاة أشـعب)

وفي صحراء الجزيرة العربية الواسعة عثر أحد الشعراء على ذئب صغير، أهملته أمه، أو نفاه أبوه ولم يعترف بانتسابه إليه، فأشفق عليه، وامتدت يده إليه لينقذه من الموت، وخلطه بشياهه، وأرضعه منها، فلما كبر واشتدت قوائمه، بادر بالإساءة، وتحين غفلة من صاحبها فعدا عليها، وبقر بطن ما كانت ترضعه، ثم لاذ بالفرار، فقال الشاعر يصف تلك الحادثة بكل حزن وأسى، ويلتمس منها العظة والعبرة، مخاطبا ذلك الذئب :

بقـرتَ شـويهـتي، وفـجـعتَ قلبي
وأنـت لـشـاتـنـا ولـد ربـيـبُ
نشـأت مع السِّـخـال وأنت جَـروٌ
فـمـن أنـبـاك أن أباك ذيب
اذا كـان الطبـاع طبـاع سـوءٍ
فـلا أدبٌ يـفـيـد، ولا أديب

وكم من ذئاب بشرية سلكت مثل هذا المسلك، فكان أول ما عضت، اليد التي امتدت إليها بالمساعدة والعون، في مجال الوظائف والأعمال، او في ميدان المتاجرة والأموال، ولعمرى إنها النذالة قد يمسك عنها حتي بعض الحيوان، فقد يعذر الذئب فيما فعله مع الشاة، لأنه تصرف من خلال طبعه وسجيته، وكان على صاحب الشياه أن يدرك ذلك، ويتصرف على أساسه، ولكن ما عذر الإنسان، والعقل يملي عليه أن يكون وفياً لمن أحسن إليه، باراً بمن مد له يوماً يد العون .!

وفي معنى هذه القصة جاء المثل : (مُستَرعي الذئب) – ثمار القلوب ٣٩١ – قال : يضرب لمن يضع الشيء في غير موضعه، ويأتمن الخائن ويستعين بمن هو عليه. فيقال : مسترعى الذئب ظالم، ومستودع الذئب ظالم. ويقف الذئب دائما شبحاً مرعبا يطارد الغنم ويهددها بالقتل، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية. وفي ضالّة الغنم : هي لك أو لأخيك أو للذيب. وفي العصر الحديث كتبت قصص كثيرة للصغار والكبار تعالج منطق الذئاب وضعف الأغنام والقطعان، وترمز بذلك غالبا إلى علاقة المظلومين بالظالمين. وفيما يشبه الأساطير جاء المثل : (فلان ذئب أُهْبان) ، يضرب للشيء العجيب، وفي كلام مالا يتكلم – ثمار القلوب ص ٣٨٦ – أما مورده فقالوا : إن رجلا يدعى أُهْبان بن أوس السلمي، كان في غنم له، فعدا الذئب على شاة منها، فصاح فيه أُهْبان ليذرها، فأقعى الذئب وقال له : أتنزع مني رزقاً رزقنيه الله ؟! قال أهبان. فصفقت بيدى تعجباً، وقلت : والله ما رأيت ولا سمعت أعجب من هذا فقال : أتعجب من هذا ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين هذه النخلات – وأومأ بيده الى أبيات المدينة – أي المدينة المنورة – يحدث بما كان ويكون، ويدعو الى الله عباده؟ قال فجئت الى النبى – صلى الله عليه وسلم – وأخبرته بالقصة ، وأسلمت .

فكان يقال لأهبان : مكلِّم الذئب، كما قيل لأولاده: بنو مكلِّم الذئب. قال الشاعر :

الـى ابـن مـكـلِّـم الـذئـب، ابـن أوس
رحلتُ غـدا، فكنتُ على أمـان

(ينظر في القصة الاستيعاب لابن عبد البر ١١٥/١/والاصابة لابن حجر/٩١)
وقال رزين العروضي يهجو بعض ولد أُهبان (ثمار القلوب ص ٣٨٧/والحيوان ٢١٧/٧) :

تـهـتـمْ علينا بأن الذئب كلّمكمْ
فـقـد لعـمـري أبوكمْ كلّم الذّيبا
فكيف لو كلّم الليث الغَـضـوب، إذن
تركـتـمُ الناس مـأكـولا ومـشـروبا
هـذا الـسِّـنْـدِيُّ، لا أصلٌ، ولا طَـرَفٌ
يكلّم الفـيل تصـعـيـدا وتصـويبـا

قال الجاحظ: في شعر رزين مغالطة، لأن أولاد أهبان لم يدّعوا أن أباهم كلّم الذئب، بل ادّعوا أن الذئب كلّم أباهم، أما السندي فهو الذي يكلم الفيل. والناس قد يكلمون الطير والبهائم والكلاب والسنانير وغيرها، ويبدون في ذلك مهارات كثيرة، بما يتميزون، وتعلوا أقدارهم أقدار بعض، وإنما الشأن في تكليم مالا يكلم الإنسان كالذئب، ويزيد ذلك عجبا، حينما يكون الحيوان هو المكلِّم – بكسر اللام .

كل عام
وأنتم بخير

الكشاف السنوي

لموضوعات
مجلة المنهل
للعام
١٤٢٢ هـ
٢٠٠١ - ٢٠٠٢ م
المجلد ٦٣
العام ٦٧

الموضوع	الكاتب	١٤٢٢هـ=٢٠٠١/٢٠٠٢م	ع	ص / ص
بعض المبادىء التربوية في خواتيم سورة البقرة	د. صالح أبو عرّاد الشهري	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٣٢-٣٣
تعدد الزوجات بين التشريع والتعطيل	سهيلة زين العابدين حماد	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	١٠٨-١١٧
الصحابة محدثون وفقهاء من خلال بعض كتابات ابن حزم	د. صباح زخنيني	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٦٠-١٦٧
في الاجتهاد المعاصر	إلياس بلكا	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٣٤-٤٣
مذاهب وفرق (٢) الخوارج	حاتم أحمد الطيب الشيخ	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٤٤-٤٧
مذاهب وفرق (٣) الخوارج	حاتم أحمد الطيب الشيخ	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٨٦-٨٩
من البلاغة القرآنية	عبدالعزيز بن صالح العسكر	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٥٢-٥٣
نحو تفعيل مؤسساتنا الاسلامية	د. عبدالحليم عويس	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٤٨-٥٥
الهداية والضلالة	د. عبدالعزيز الخطابي	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٣٨-٤١
هل عقوبة الحدود الإسلامية قاسية؟	د. بو جمعة جمى	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٢٤-٣١
الأماكن والبلدان :				
أيام في قطر	د. خالد عزب	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٩٢-٩٧
بونه .. الجزائرية	عبدالناصر خلاف	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٩٤-٩٩
الدنمارك .. ذكريات ومعالم (الحلقة الأولى)	فتحي عبدالحميد المراغي	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٩٢-٩٩
الدنمارك .. ذكريات ومعالم (الحلقة الثانية والاخيرة)	فتحي عبدالحميد المراغي	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٩٨-١٠٥
رحلة الى سلطنة عمان	عبدالله بن حمد الحقيل	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٨٤-٩١
عين لندن .. فكرة تراثية تحولت الى مشروع تجاري	وجدي ابو الريحة	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٢٠-٢٣
مدينة «الرقة» السورية	هشام عدرة	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	١٠٠-١٠٥
اليابان لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة (١)	عبدالله بن حمد الحقيل	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٩٤-١٠٧
اليابان لؤلؤة الشرق وبلاد الشمس المشرقة (٢ والاخيرة)	عبدالله بن حمد الحقيل	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	٨٠-٩٣
التراجم والشخصيات :				
أبو العيناء ظريف العميان والأدباء	د. عبدالرزاق حسين	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٤٦-٤٩
أدباء من الخليج العربي (٤) «صالح بن سالم اليعربي»	عبدالله بن أحمد الشباط	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٦٦-٦٧
أدباء من الخليج العربي (٥) «سليم عبد الرؤوف»	عبدالله بن أحمد الشباط	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	١٠٤-١٠٥
أدباء من الخليج العربي (٦) «محمد على ناصر آل توفيق»	عبدالله بن أحمد الشباط	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٥٠-٥١
أدباء من الخليج العربي (٧) «منى الذكير»	عبدالله بن أحمد الشباط	رجب وشعبان/أكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٦٦-٦٧
أدباء من الخليج العربي (٨) «سلطان سعد القحطاني»	عبدالله بن أحمد الشباط	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	١٠٠-١٠١
أعلام في طريق الحق : الشيخ محمد بن صالح العثيمين	د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٣٠-٣٣

الموضوع	الكاتب	١٤٢٢هـ=٢٠٠١/٢٠٠٢م	ع	ص / ص
مسك الختام :				
مسك الختام (سمو نفس وتجليات روح)	د. محمد رشاد الريان	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	١٥٨
مسك الختام (أيام في طيبة)	د. طاهر تونسي	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	١٥٨
مسك الختام (نحن أم هم)	زهير الأنصاري	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	١٦٠
مسك الختام (الكلمة أمانه)	على العمري	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	١٧٦
مسك الختام (شاة أشعب وذئب أهبان)	د. محمد عيد الخطراوي	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	١٦٦-١٦٧
مما قل :				
مما قل (مغزى الهجرة النبوية)	عبدالقدوس الأنصاري	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	بدون
مما قل (حرب العاشر من رمضان)	عبدالقدوس الأنصاري	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	بدون
مما قل (مما قل)	عبدالقدوس الأنصاري	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	بدون
مما قل (الاهتمامات الداخلية والخارجية في الاسلام)	عبدالقدوس الأنصاري	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	بدون
مما قل (ليشهدوا منافع لهم)	عبدالقدوس الأنصاري	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	بدون
منهليات :				
منهليات (أما بعد)	السماني كمال الدين	المحرم وصفر/مارس وابريل	٥٧٣	٣
منهليات (أما بعد)	السماني كمال الدين	الربيعان/مايو ويونيه	٥٧٤	٣
منهليات (الحضارات .. حوار أم تصادم ؟!)	السماني كمال الدين	جمادى الأولى والآخرة/أغسطس وسبتمبر	٥٧٥	٣
منهليات (مابين العدالة المطلقة والظلم المطلق)	نبيه الأنصاري	رجب وشعبان/اكتوبر ونوفمبر	٥٧٦	٣
منهليات (الكل .. ركب موجة الارهاب)	المحـــرر	ذو الحجة/فبراير ومارس	٥٧٨	٣



المنهـــل

مفتاحك الى عالم الثقافة



شغف الريادة

